الولاية بالمفهوم القرآني

ضمانة لحماية الأمة من الاختراق

مجموعة كلمات بمناسبة

ذكرى يوم الولاية

ألقاها السيد

عبد الملك بن بدر الدين الحوثي

الطبعة الثالثة

كل الحقوق محفوظة

تم الصف والإخراج في

الوحدة الفنية

بمكتب السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي

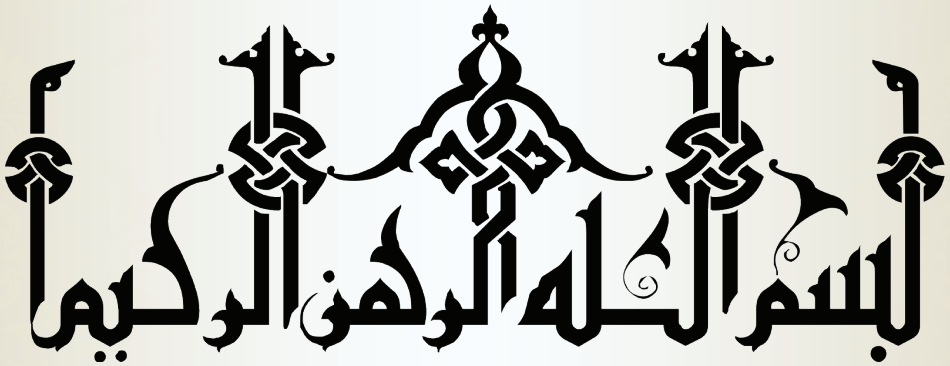
بسم الله الرحمن الرحيم

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٣

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا وقائدنا وقدوتنا وحبيب قلوبنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، أرسله الله إلى الخلق، داعياً إلى الحق، يهدي إلى الصراط المستقيم، اللهم صلّ وسلم وبارك وترحم وتحنن على خير خلقك وخاتم أنبيائك ورسلك محمد وعلى آله الطاهرين.

أيها الإخوة المؤمنون الأعزاء الشرفاء الأوفياء

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وأرحب بكم في هذه المناسبة العزيزة والذكرى المجيدة، وأبارك لكم وأهنؤكم، وأسأل الله أن يكتب أجركم، وأن يبارك فيكم، وأن يتقبل منكم، إنه سميع الدعاء.

أيها الإخوة المؤمنون الأعزاء في هذه المناسبة العزيزة التي أتت في ظرف مهم ومرحلة خطرة تعيشها أمتنا الإسلامية وشعبنا اليمني المسلم العزيز، أتت هذه الذكرى (ذكرى يوم الولاية)، ذكرى لها شأنٌ عظيم تجاه قضية أساسية بالنسبة للأمة الإسلامية، قضية مصيرية، قضية أساسية لدينها ودنياها، أتت مناسبة يوم الولاية في مرحلةٍ تسعى أمريكا فيها لفرض ولايتها على

الأمة، الولاء في الموقف، والولاية في الأمر، والتدخل في كل شأن من شئون هذه الأمة، والتحكم بمصائر الشعوب الإسلامية والعربية، الأمر الذي يمثل خطورة كبيرة **جدًّا** على كل مسلم، على دينه، وعلى دنياه، وعلى هويته الإسلامية، الأمر الذي لا ينسجم بحال من الأحوال مع انتماء الإنسان المسلم لإسلامه، الإنسان المسلم الذي ينتمي إلى الإسلام ديناً، وإلى أنبياء الله ورسله وخاتمهم محمد قدوةً وقادةً ومعلمين، وينتمي إلى نهج الله المقدس القرآن الكريم؛ **نور** الله في عباده، لا ينسجم بحال من الأحوال أن يقبل أي فرد مسلم صادق في انتمائه ثابتٍ على هويته بأن تحكمه أمريكا، أو بأن يكون ولاؤه لها، أو تكون ولايتها عليه، إن الله ﷻ قال في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿٥١﴾﴾[المائدة: الآية ٥١].

إننا من خلال إحيائنا لهذه المناسبة، عندما نحييها بوعي وبفهم لمدلولها، ونجعل منها منطلقاً أساسياً لترسيخ وتثبيت مبدأ الولاية بالمفهوم القرآني؛ **فإننا** نتحرك في الموقف الصحيح عندما نرفض الولاية الأمريكية، الولاية في الأمر، الولاية في الشأن، التدخل في واقعنا وفي مصيرنا، في أي شأن من شئوننا، والولاء لهم في الموقف، والولاء لهم فيما هم عليه من سياسات إجرامية وظالمة وهدّامه لا تنسجم بحال من الأحوال مع إسلامنا، ولا مع قرآننا، ولا مع أخلاقنا، ولا مع مبادئنا، ننطلق في هذا الموقف الذي هو نابعٌ من تمسكنا بكتاب الله ﷻ، هو الموقف الطبيعي، الموقف الفطري، الموقف السليم، هم بأنفسهم ما كانوا ليقبلوا لا بولايتنا عليهم، ولا بالولاء لنا من داخل شعوبهم.

فإحياؤنا لهذا اليوم هو واحدٌ من تعبيرات رفضنا لولايتهم والولاء لهم، وسعيٌ منا لتثبيت المبدأ الحق (الولاية لله ﷻ)، وعندما ننادي بهذا المبدأ القرآني (ولاية الله) فهو المبدأ الحق الذي تحتاج إليه الأمة حاجة ماسة؛ **حتى** لا تكون أمةً مفصولة عن ربها، عن نبيها، عن قرآنها، عن نهجها، فتكون أمةً مغلوبة؛ **لأن** مبدأ الولاية هو المبدأ الذي يمكن أن يحفظ لأمتنا المسلمة كيانها وعزتها واستقلالها، إذا سقط هذا المبدأ فإن وراءه سقوط الأمة، واختراقها، وهيمنة أعدائها عليها، أي ثقافة، أو أي مبدأ، أو أي فكر، أو أي رؤية سياسية يمكن أن تحصن أمتنا الإسلامية من هيمنة أعدائها عليها من اليهود والنصارى، ومن سيطرتهم على ولاية الأمر فيها والهيمنة عليها؟

أعظم تكريم للإنسان أن يكون وليه هو الله

في هذه المناسبة العزيزة نحرص وبشكل كبير على تعميم حالة الوعي لمفهوم الولاية وِفق الرؤية القرآنية، وإدراك مدى أهميتها، وما يترتب عليها، ونتحدث عن الموضوع كما قدّمه الله ﷻ في كتابه الكريم، **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ۝٥٦﴾ [المائدة: الآية ٥٥-٥٦]، هكذا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الله؛ **أراد** لنا كأمة مسلمة أن يكون هو ولينا، ما أعظمه من شرف، وما أسماه من تكريم، وما أسوأ وما أقبح وما ألأم من يبحثون عن بديل عن الله ﷻ، وبديل عن ولايته جلّ وعلا، أليس من الكفر بالنعمة؟ أليس من اللؤم والخسة والدناءة؟ أي بديل عن ولاية الله سوى ولاية الشيطان؟ من يتولى أولياء الشيطان هو يتولى بذلك الشيطان، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف: الآية ٥٠].

﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ يا مؤمنون، يا أمة محمد، يا شعبنا اليمني العزيز: وليكم الله، تتولونه، ترتبطون به هذا الارتباط الوثيق، هذا الارتباط الذي لا يمكن أن ينفصم، والذي يترتب عليه كل خير، وكل عز، وكل فلاح، وكل خير في الدنيا والآخرة، ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ يتولى كل شئونكم، يتولى هدايتكم، يتولى تأييدكم بالنصر، يتولى رعايتكم، يتولى أمركم في كل شأنكم، فيما يرسمه من منهج، فيما يحدده من أعلام، في كل ما يدير به شأنكم كله، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، ولاية الله ولاية شاملة، فيها الرعاية، فيها الهداية، ألم يقل الله ربنا ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[البقرة: من الآية ٢٥٧]، إنها الولاية الإلهية التي تخرج من تمسك بها واعتصم بها وثبت على نهجها من كل ظلمات التضليل، ومن كل ظلمات الجهل ومن كل ظلمات الظلم، يمنحه الله النور، فيكون في هذه الحياة عزيزاً ومستنيراً بنور الله، ينور الله قلبه، ويضيئ له الطريق؛ **فيعجز** كل الأعداء بكل وسائلهم التضليلية من إضلاله، ومن تجهيله، ومن التلعب به، ومن تضليله في مبدئه، أو في رؤيته للواقع.

والولاية الإلهية فيها نصر، عندما نتولى الله ونكون في إطار الولاية الإلهية؛ **نكون** في طريق النصر، في طريق العزة، في طريق القوة، الله ﷻ **يقول:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: من الآية ٧]، ثم يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۝١٠ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۝١١﴾[محمد من الآية: ٨-١١]، **ألم يقل** ﷻ **في**

كتابه المجيد: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[الأنفال الآية: ٣٩-٤٠]، سبحانه ما أعظمه، ما أقواه! سبحانه ما أجلّ كرمه وما أعلى شأنه، هو يقول جلّ شأنه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الحج: من الآية ٧٨]، هذه ولاية الله، ولاية الله هي هداية ونصر وعزة، رعاية شاملة، إدارة كاملة لكل واقع حياتنا من منطلق رحمته، من منطلق حكمته، من منطلق لطفه، من منطلق قوته وعزته.

ولاية الرسول هادياً وقائداً ومعلماً

وولاية الرسول ﷺ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الولاية الأخرى؛ **البديل عن الله:** هو الشيطان، البديل عن الرسول: هو من رموز الطاغوت، رموز الشر، رموز الباطل، مضلوهم وطواغيتهم وكبارهم إجراماً وفسقاً؛ **من** أولياء الشيطان، يا مؤمنون ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وولاية الرسول ﷺ هي امتدادٌ لولاية الله ﷻ، **والله قال:** ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: من الآية ٦]، ولاية الرسول هادياً، قائداً للأمة، زعيماً للأمة، مديراً لشئون الأمة، يعمل على هدايتها وتزكيتها وبنائها وإصلاحها وتعليمها، وله حق الطاعة وحق الولاء، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: الآية ٨٠]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة الآية: ١٥١].

الإمام علي يواصل مشوار الرسول الأكرم

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ الإمام علي عليه السلام بمؤهلاته الإيمانية الراقية، والذي في مثل هذا اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، في السنة العاشرة من الهجرة، والرسول صلى الله عليه وآله عائدٌ من حجة الوداع، وفي وادي خُم بلّغ ما أمره الله بإبلاغه بهذه الولاية، الإمام علي عليه السلام ولايته هي امتداد لولاية الرسول قائداً من بعده للأمة، معلماً، مرشداً، زعيماً، يعمل على هداية الأمة، يواصل مشوار الرسول صلى الله عليه وآله في بناء الأمة، في هدايتها، في إدارة شئونها، في تطبيق دينها وفقاً لمسئوليتها العظيمة ودورها العظيم،

أبلغ الرسول أمته في بلاغه الشهير، والذي نحرص من خلال إحيائنا لهذه المناسبة أن نحافظ على ذلك البلاغ؛ **ليبقى** للأمة عبر الأجيال شهادةً للرسول بالبلاغ، وإكمالاً للحجة، وإتماماً لها على الناس، الرسول خطب في الثامن عشر فقال في خطابه المشهور عندما وصل إلى الموضوع المطلوب: **(يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا عليٌ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)**، الإمام علي بمؤهلاته الإيمانية والربانية كان هو الجدير بهذا الموقع، كان لديه الكفاءة اللازمة لمسئولية بهذا الحجم، مسئولية عظيمة أن يَخلُف النبي صلى الله عليه وآله، ويتولى من بعده الموقع الأول في الأمة هادياً، ومربياً، ومعلماً، وزعيماً، ومرشداً، وبانياً لهذه الأمة، الإمام علي بمؤهلاته التي كانت معروفة ومشهورة وتحدث عنها النبي صلى الله عليه وآله في مقامات متعددة، منها في مقام خيبر عندما قال صلى الله عليه وآله: **(لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، يفتح الله على يديه)**، تجلى في ذلك المقام مستوى أهلية الإمام علي عليه السلام لتلك المسئولية العظيمة، رجلاً في مستوى المسئولية، رجلاً لديه الجدارة

ببناء هذه الأمة، بالارتقاء بها، بتعليمها، بقيادتها في مواجهة أعدائها مهما كانوا ومهما كانت إمكانياتهم، لديه هذا المستوى العالي من الإيمان، منزلة عظيمة سامية رفيعة عند الله العظيم **(يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)**، هذا الرجل العظيم الذي يحبه الله ورسوله أليس جديراً منا بالمحبة؟ أليس جديراً منا بأن نتولاه؟ أليس جديراً بالمقام العظيم في قيادة الأمة وهداية الأمة؟

الرسول يؤكد مكانة ودور الإمام علي

في مقام آخر؛ والرسول يؤكد مكانة علي في الأمة، ودوره المستقبلي الكبير من بعده، **قال** ﷺ: **(أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)**، مقام علي من محمد في أمة محمد مثل مقام هارون من موسى في أمة موسى، فكيف- كيف- يمكن للبعض أن يضع في هذا المقام غير علي وقد وضعه الله في المقام اللائق على لسان نبيه! عليٌ بهذه المنزلة- من هذا الموقع كشخصية بعد رسول الله ﷺ- ليس هناك في كل الأمة من هو في مستواه ولا في مقامه، عليٌ بمؤهلاته الكبرى في كل المجالات، **في مجال العلم: (أنا مدينة العلم، وعلي بابها)**، عليٌ قرين القرآن، بل القرآن الناطق، المهتدي بالقرآن، المستوعب للقرآن، المتمسك بالقرآن، الهادي بالقرآن، قال عنه المصطفى ﷺ: **(عليٌ مع القرآن، والقرآن مع علي)**، عليٌ الذي هو على الحق، متمسكٌ بالحق، ثابتٌ على الحق، عالمٌ بالحق، يهدي الأمة إلى الحق، ويسير بها في طريق الحق، **قال عنه الرسول: (عليٌ مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيثما دار)**، عليٌ بمؤهلاته، بكماله، بموقعه العظيم بعد رسول الله محمد، أراد الله له أن يكون هو بكل تلك المؤهلات من يقود الأمة بعد نبيها، وأن تتولاه الأمة؛ **لأنه** النموذج الراقي لمن يلي أمر الأمة، وعندما قال الرسول **(فهذا عليٌ مولاه) هذه تعني**: هذا هو اللائق

بهذه الأمة التي يراد لها أن تكون أمة عظيمة، يناط بها مهام عظيمة وجسيمة، هذا هو اللائق بهذا الدين العظيم، بأمة عظيمة، برسول عظيم، وبمهام عظيمة، رجل لديه المؤهلات كلها في نفسه. وتجاه الأمة حكمة ورحمة، تحدث القرآن الكريم ونطق برحمة علي، بإخلاص علي، برأفة علي.

الإمام علي عليه السلام الذي تصدق بخاتمه وهو راكع، عندما دخل سائل إلى مسجد النبي وطلب من الناس أن يتساعدوا معه، لم يتعاون أحدٌ معه ممن كان حاضراً في المسجد، والإمام علي كان يصلي، في أعظم لحظاته، اللحظات التي يعيش فيها خشوعه وإقباله إلى الله، وفي أهم لحظة وأعز لحظة وأكثرها انشغالاً بقلبه؛ **التفاتاً** إلى الله وخشوعاً لله، وهو في تلك اللحظة الأهم؛ **انتبه** لذلك الفقير الذي لم يتعاون معه أحد، وأشار إليه بخاتمه ليأخذه، نفسيةٌ ممتلئةٌ بالرحمة للناس، والرأفة بهم، والحرص عليهم.

الإمام علي ونظرته للحكم والسلطة

عليٌ عليه السلام الذي آثر على نفسه؛ وهو في أمسّ الحاجة إلى الطعام بعد إتمام صيامه، ولا يوجد في البيت غير ذلك الطعام الجاهز للعشاء، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: الآية ٨-٩]، هذا الرجل العظيم الرباني، قرين القرآن، تلميذ محمد، من هو بمنزلة هارون من موسى، أراد الله له أن يكون هو ولياً لهذه الأمة المسلمة بعد نبيها، وفعلاً، عندما آل إليه أمر الخلافة بعد فترة زمنية معروفة؛ **ثبت** أنه عليه السلام بمستوى المسؤولية، كان في مستوى المسؤولية، **يتعامل من موقعه في الخلافة:** يشعر بالمسؤولية، لا طامعاً، ولا يعتبرها مغنماً، لا يعتبر السلطة ولا ولاية الأمر مغنماً ومكسباً للتسلط وجمع

الثروة. كلا، يعتبرها مسؤوليةً لإحقاق الحق، لإقامة العدل، لبناء الأمة، لهداية الأمة، لتزكية أنفسها، لبنائها بناءً عظيماً، **قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين** عليه السلام **بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال** عليه السلام: **والله لهي أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً**، لا قيمة للسلطة، إلا إذا كانت وسيلة لخدمة الأمة، إذا كانت للرحمة بالناس، إذا كانت لهداية الناس، بعيداً كل البعد عن الظلم، متورعاً يخشى الله، يخشى الله في عباده، ورحيماً بالناس، وهو القائل: **(وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أو أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا)**، وهو القائل: **(والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت)**، **(ما فعلت)؛ عدل حقيقي**، الأمة التي ترزح تحت الظلم، الأمة الإسلامية التي تعاني من ظُلم ما حلّ بمثلها على أمة من الأمم؛ **لأنها** ابتعدت عن ذوي العدل، عن ذوي الرحمة، حتى صار وضعها على ما هو عليه، وعندما كان يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين لم يقاتل لتثبيت سلطان، ولا طمعاً في جاه، ولا طمعاً في مال، وهو القائل: **(اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك)**.

وحينما كان ينادي في الأمة يدعوها لنصره لتثبيت العدل، لإقامة الحق، للتأسيس لمستقبلٍ قائمٍ على العدل والحق والخير لهذه الامة، فيتخاذل عنه الكثير من الناس **ولا يستجيبون:** صمٌ، بكمٌ، عميٌ، **كان** عليه السلام **يدعو الله فيقول:**

(اللهم أيما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سماعه لها إلا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك، ثم أنت بعد المغني عن نصره، والآخذ له بذنبه)، وهكذا كان عليه السلام في مستوى المسؤولية؛ **واعياً بها**، لا طامعاً بحكم، ولا معتبراً لها مغنماً. من هنا نفهم أهمية ولاية الأمر في الإسلام، وأنها **يجب** أن تكون امتداداً لولاية الله، خاضعةً للمعايير والمؤهلات التي حددها الله. هذه أمة مسلمة، نحن مسلمون، من يلي أمرنا **يجب** أن تكون عنده رحمة وحكمة، **يجب** أن يكون عارفاً كيف يربي الأمة، كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه اعداءها وعلى أساس دينها وعلى أساس منهج ربها؛ **لأن** لولاية الأمر صلة وثيقة بإقامة الدين، ولهذا قال الله لنبيه محمد: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧].

واقع الأمة اليوم.. كارثة كبرى

عندما- أيها الأخوة الأعزاء- نتأمل في واقع أمتنا اليوم، في واقع شعوبنا العربية المظلومة المقهورة المعانية عناءً لا نظير له في الأرض، نرى النتائج السلبية لعدم فهم ولاية الأمر، وأهميتها وصلتها بواقع حياة الناس وبدينهم ودنياهم، ولاية الأمر لها صلة بكل شؤون حياتنا، **بكل شئون حياتنا:** اقتصادنا، عزتنا، أمننا، سلامنا، هدايتنا، ديننا، دنيانا، هكذا هي ولاية الأمر، هي الأساس لبناء الأمة، هي أساس عزها، هي أساس بنائها، أساس قوتها، كل ذلك في صلاح ولاية أمرها. فكيف هو الوضع القائم؟ ليس هناك أي معايير ولا مؤهلات- لا قرآنية ولا إنسانية- يعتمد عليها الحكام، أو تعتمد عليها الحكومات التي تحكم على الشعوب العربية، لا أي مؤهلات ولا أي معايير ذات

صلة بطبيعة المسئولية في ولاية الأمر، في أمتنا الإسلامية، في شعوبنا العربية يحكمنا حكومات جائرة، ظالمة، باغية، تذل الأمة، تقهر الأمة، وتجعل من الأمة أمة مستعبَدةً لأعدائها، خاضعةً مقهورةً مستذَلةً لليهود والنصارى، **ولاة أمر ليس لهم أي مؤهل:** لا إنساني، ولا قرآني، ولا فطري... ولا أي شيء، ولاة أمر وحكومات ظالمون، مجرمون، طغاة، مستبدون، لم يفعلوا للأمة شيئاً، لا بنوا اقتصاد الأمة... أمتنا الإسلامية في اقتصادها تعيش أسوأ من أي وضع لأي أمة أخرى على الأرض، ولا بنوا عزة الأمة، بل أذلوا الأمة، ولم يواجهوا أعداءها، ولم يدافعوا عنها، ولم يوفروا لها الحماية. وضعٌ مؤسف، أُعتُمِدت المسألة من دون أي مؤهلات، الحكومة سواءً في اليمن أو أي شعب عربي لا تحتاج إلى أي مؤهلات، لا رحمة، ولا حكمة، ولا دين، ولا ضمير، ولا شرف، يعتمدون على التغلب، وعلى التسلط، وعلى الانتهازية، وعلى فرض الأمر الواقع ليسيطروا على الشعوب، ولينفذوا في هذه الأمة أجندة الخارج المعادي.

عندما نتأمل المستوى والواقع الذي وصلت إليه أمتنا المسلمة؛ فإنه كارثةٌ كبرى، كارثة كبرى، أصبح من يقرر ولاية أمرها هي أمريكا، بمعايير أمريكا، بالمؤهلات التي تراها أمريكا والتي تكفل وتضمن قيام حكومات انتهازية على مستوى فظيع من الانحطاط والظلم والانتهازية والإجرام، قادرة على تنفيذ مخططات الأعداء، فأصبحت أمريكا هي من تفرض حكومات، وهي من تقرر ولاة وتُعيِّن رؤساء، وتُصادق حتى على الموظفين والمسئولين، ووفق معاييرها التي تضمن قيام حكومات متسلطة تنفذ أجندتها، بعيداً عن كل المعايير الإلهية، وهكذا.. وبأي حق تمتلك أمريكا التحكم في ولاية أمر الأمة الإسلامية؟ وبأي معايير وبأي مؤهلات؟ **من يستطيع أن يقول:** إن أمريكا تحرص وتسعى إلى أن نكون أمةً عزيزة، أمةً قوية، أمة مستقرة، أمة في مستوى مسئوليتها؟ وهل

سيحرص الأمريكي- حينما يعين حكومة أو يفرض سلطةً معينة- على بناء قيمنا، على بناء ديننا، على بناء أخلاقنا؟ هل لدى الأمريكي قواسم مشتركة معنا حتى يُفوَّض هو لأن يقرر ولاية الأمر على حسب ما يشاء ويريد؟ الأنظمة القائمة تتعامل مع ولاية الأمر على أنها مغنم مادي كبير، وموقع للتسلط وللاقتدار لممارسة العدوان بحق الآخرين، **يعني** الحكومات القائمة يعتبرون السلطة ليس لخدمة الأمة، وليست السلطة عندهم للدفاع عن الأمة، وليست السلطة عندهم من أجل بناء الأمة، ولا من أجل بناء اقتصادها ومن أجل أمنها، ولا من أجل استقرارها، السلطة عندهم وسيلة للحصول على ثروات الشعوب، من خلال وزارة المالية، من خلال النفط، من خلال مصالح الشعوب التي ينهبونها، وسيلة للسيطرة والتغلب، وممارسة التسلط والقهر والعدوان من خلال استغلال الجيوش، ومن خلال استغلال المؤسسات العسكرية، السلطة عندهم إرضاء للنزعة التسلطية وهواية المناصب وعشق المناصب، وهكذا نرى ما يسمى بحكومة الوفاق؛ **أثبتت** ذلك، وكشفت حقيقة بعض القوى المتلبسة بالدين، كحزب الإصلاح؛ **الذي** ما إن وصل إلى السلطة حتى تسابق موظفوه ومسئولوه للسطو على المال العام وعلى الوظيفة العامة، وجعلوها نهباً، وجعلوها مغنماً، وليست مسئولية، ولا قداسة لها ولا أهمية لديها سوى هذا.

الحل الصحيح للخروج من المأزق

لذلك أيها الأخوة الأعزاء نرى ضرورة أن تستمر الثورات الشعبية؛ لأنها بداية تحرك في الاتجاه الصحيح، نحن شعوب مسلمة؛ من حقنا أن نطالب بالعدل، وأن نصرّ على إقامة حكومات عادلة، حكومات تقيم فينا العدل، حكومات تدافع عن الشعوب، لا تفتح بلدان شعوبها للعدوان والمعتدي، حكومات ترى عزة الأمة فوق كل اعتبار، لا تسعى للتسلط ولا للإذلال ولا

للقهر. المعايير الإلهية هي معايير لمصلحة الناس، الله يريد للناس العدل، وينبغي أن يكونوا هم من يتفاعلون مع ذلك ويحرصون على إقامته، **يجب** أن تستمر الثورات، ولو أن هناك جهود كبيرة لإفشال الثورات العربية واحتوائها، وإعادة الشعوب إلى أسوأ من الوضع الماضي، هكذا يحرص الأمريكيون على إعادة الشعوب إلى أسوأ من الوضع السابق. **يجب** أن تستمر الشعوب في ثوراتها، حتى يتحقق في واقعها ولاية أمر بشكل سليم وفق المعايير الإلهية، قائمة على العدل والرحمة والمؤهلات القرآنية، بدلاً من المؤهلات الأمريكية. وما يحقق للأمة أن تتحول إلى أمة غالبة قوية عزيزة متماسكة هو مبدأ الولاية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، يتحقق لنا يا أمة الإسلام، يتحقق لنا يا شعبنا اليمني العزيز، يتحقق لنا- أيها المؤمنون- كل مكاسب الولاية الإلهية إذا نحن تحركنا **على هذا الأساس:** إذا نحن تولينا الله، تولينا رسوله، تولينا الإمام علياً، تولينا الذين آمنوا التولي الصحيح، **التولي لله الذي هو قائمٌ على أساس:** إيمان، وثقة، ومسئولية، وجهاد، وعمل، وطاعة، وتصديق، وثقةً قويةً بالله ﷻ، التولي للرسول اقتداءً به، تمسكاً به، سيراً على هديه، تمسكاً بنهجه، تولياً للإمام علي عليه السلام كرمز للأمة بعد نبيها، وولي لها من عند الله بعد نبيها صلى الله عليه وآله، هذا هو ما يفيد الأمة ويضمن لها من الله النصر والتأييد والعزة وِفق هذا الوعد الإلهي الذي لا يتخلف ابداً، **لأن** الله لا يخلف وعده، ولا يبدل قوله، وهو -جلّ شأنه- هكذا قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

إن أمتنا المسلمة اليوم في ظل الهجمة الأمريكية والإسرائيلية عليها، وهجمة دول الكفر عليها، بين خيارين، وبين مسارين، **وبين اتجاهين:** إما طريق تكون فيها غالبة، قاهرة، قوية، عزيزة، مؤيدةً من الله، منصورةً

من الله، مسددةً من الله. وإما طريق تكون فيها الأمة مقهورة، مغلوبة، مُستذَلة، مُهانَة. **وطريقان واضحان:** إما طريق الولاء لأعداء الإسلام الذي نتيجته الخسران، وإما طريق التولي الحقيقي لله ﷻ.

ونحن في هذا اليوم وفي هذه المناسبة نعلن ونؤكد مسارنا الذي كنا ولا زلنا عليه كمؤمنين: مسار التولي لله، والتولي لرسوله، والتولي للإمام علي، والتولي لآل محمد ﷺ، والسير في نهج القرآن، والاعتصام بالله، والتوكل عليه، والتمسك بنهجه، **ولهذا رددوا معي دعاء التولي: (اللهم إنا نتولاك، ونتولى رسولك، ونتولى الإمام علياً، اللهم تقبل منا يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نبرأ إليك من أعدائك، ونبرأ إليك من أعداء رسولك، ونبرأ إليك من أعداء الإمام علي، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واهدنا بكتابك الكريم، وانصرنا بنصرك، وأيدنا بتأييدك، واجعلنا معتصمين بك، متوكلين عليك، إنك سميع الدعاء).**

أشكر لكم هذا الحضور، فأنتم- إن شاء الله- من أولياء الله، وأولياء رسوله، وأولياء الإمام علي عليه السلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٤

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألَّا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، ورضي الله عن صحبه المنتجبين.

أيها الإخوة الأعزاء في صعدة وفي صنعاء، وفي كل المناطق التي فيها متابعون للكلمة، ومحتفلون بهذه المناسبة العزيزة

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أبارك لكم حلول هذه المناسبة العزيزة، وأحييكم وأحيي كل جماهير شعبنا الوفية المؤمنة التي احتفت واحتفلت بهذه المناسبة بشكل كبير ومنذ البارحة في الاحتفاء بالألعاب النارية، واليوم في التجمعات الحاشدة في معظم المحافظات الشمالية.

أحيي الجميع ونُقدِّر بكل أكبارٍ وإعزاز هذا التفاعل الكبير، وهذا الاهتمام المتميز والملفت، والذي يدلِّل على إيمان هذه الجماهير ووعيها وإدراكها لأهمية هذه المناسبات الدينية، وحقيقةً نحن نعتز بشعبنا اليمني العزيز وتفاعله الكبير مع المناسبات الدينية، وما يدل ذلك عليه من تنامٍ للوعي، ومن ارتباطٍ وثيق ومحبةٍ أكيدةٍ لدينه ولرموز دينه العظماء، وفي

مقدمتهم الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

يتميز شعبنا- ويدرك ذلك كل المتابعين والمهتمين- باهتمامه الكبير، وحضوره الحاشد، وتفاعله المتميز مع كل المناسبات الدينية، وبالرغم من الاستهداف الكبير للمناسبات الدينية، بدءًا من الحملات العدائية الدعائية المغرضة التي تستخدم كل الأساليب **وكل المنطق السيء:** التكفير، والتبديع، والتضليل، وكل المفردات السيئة التي يحشدها أعداء هذه المناسبات، يحشدونها من أجل تنفير الناس وإبعادهم عن الاهتمام بهذه المناسبات، **وصولاً إلى الاعتداءات المباشرة والمتنوعة:** قتلاً، وجرحاً، وأشياء كثيرة متنوعة من أشكال الاستهداف والاعتداء التي ينفذونها.

في هذه المناسبة فقط- وإلى حد الآن- بلغنا ما يقارب أحد عشر اعتداءً قامت القوى الهمجية بتنفيذها في كثير من المناطق: البعض منها في حجة، والبعض منها في عمران، وفي المحويت... وفي محافظات أخرى، اعتداءات على المحتفلين، المحتفين بهذه المناسبة؛ **بدون** مبرر، بدون ذنب، بغير حق! هكذا همجيةً وعدواناً وظلماً وتهجماً لا مبرر له، ولا يمكن أن يبرر بأي حالٍ من الأحوال، بالرغم من كل هذه المعوقات؛ ومن بينها قطع الطرقات، إلا أن كل هذه العوامل السلبية والمعوقات المصطنعة لم تتمكن ابداً من إبعاد شعبنا عن هذه المناسبات، وبقي الحضور الفاعل والكبير ملحوظاً ومشهوداً وبيناً.

هذه المناسبات العزيزة التي يتصدى لها ويحاول منعها القوى الهمجيةُ الباغية الظالمة، والتي للبعض منها ارتباط بأجندة تخدم الخارج. هذه المناسبات العزيزة، للناس الحق كل الحق أن يحتفلوا بها؛ **لأنها** مناسبات دينية وشرعية وسلمية، وبناءً على ذلك- من القانون، من الشرع، بكل الاعتبارات- هي حقٌ للناس، ولا يمتلك أحد الحق أن يمنعهم، ولكن تلك القوى التي

تريد- دائماً- أن تفرض لها وصاية على الناس، واستحواذاً عليهم، وتحكماً بهم وبتوجهاتهم، تريد أن تفرض- ولو بالعدوان، ولو بالقتل، ولو بأشكال الهمجية- أن تفرض وصايتها على الناس، وتواصل ما اعتادت عليه في السابق من التحكم والمنع لمثل هذه المناسبات، **ولكنا نقول لكل تلك القوى الهمجية:** إن زمن السيطرة على الناس، والاستحواذ عليهم، والتحكم في شؤونهم بغير حق، كل هذا قد مضى وولّى، وليس بالإمكان أن تعيدوه كما كان في الماضي.

لماذا يستاؤون من هذه المناسبات؟

وعندما نتساءل عن الأسباب التي تدفع تلك القوى الهمجية لمعاداة مثل هذه المناسبات الدينية العزيزة، وفي مقدمتها مناسبة ذكرى المولد النبوي، وهذه المناسبة مناسبة الغدير، وغيرها من المناسبات الدينية، لماذا يعادونها؟ لماذا يحاولون منعها؟ لماذا يستاؤون منها هذا القدر من الاستياء وهذا المستوى من المحاربة؟ لماذا؟ هذا يدلل على أهميتها، تلك القوى هي تقلق من الالتفاف الجماهيري المشهود في مثل هذه المناسبات؛ **لأنه** التفاف حول مضامينها، التفافٌ حول جوهرها وأساسها وما تُبنى عليه، وما تدعو إليه، وما يقدم فيها، وهذا يقلقهم إلى حدٍ كبير.

أيضاً ما تكسبه الجماهير من تلك المناسبات من تنامٍ في الوعي، وتفاعلٍ في الموقف، هذا- أيضاً- يقلق تلك القوى الهمجية التي لا تريد للشعب أن يعي ولا أن يتفهم، ولا تريد له أن يتحرك في الموقف وفقاً لمسئولياته وواجباته، يقلقهم- أيضاً- من هذه المناسبات؛ **أنها** تعزز الروابط الأخوية بين أبناء شعبنا اليمني، **وتتجاوز كل العناوين الأخرى:** العناوين المناطقية، العناوين المذهبية... وغيرها من العناوين، هذه المناسبات الدينية تعزز من حالة الإخاء والتفاهم والتعاون، والشعور بالموقف الواحد، والوجهة الواحدة، والأسس الواحدة،

والمنطلقات الواحدة، بكل ما لهذا من إيجابيات ذات أهمية كبيرة، ومن هنا ندرك أن تلك القوى حينما انزعجت من هذه المناسبات وهي تحاربها بكل أشكال المحاربة: أمنياً، وعسكريا أحيانا، وعلى المستوى الإعلامي، على المستوى الثقافي والفكري؛ **إنما** لأهمية هذه المناسبة، **ولكن نحن نقول:** بالرغم من كل المحاربات، وكل الأعمال التي يهدفون من خلالها إلى منع هذه المناسبات، فإن المردود كان عكسياً، كلما حاربوا الناس وحاولوا ترهيبهم ومنعهم من الحضور في هذه المناسبات؛ **فإنما** الناس يزدادون تفاعلاً ويحضرون أكثر وأكثر، ويتحررون من كل ما يحاول أولئك تقييدهم به، والاستحواذ عليهم من خلاله، الناس يحضرون أكثر، التفاعل يزداد، الاهتمام يزداد.. وعلى أولئك أن يستوعبوا الدرس، كل تلك القوى الهمجية، حقاً هي همجية، وهي لا يروق لها هذه المناسبات التي تقام بشكل حضاري، لا يروق لها ذلك، وتتألم من ذلك، عليهم أن يستوعبوا الدرس، وأن كل محاولاتهم في الماضي باءت بالفشل، وأن أي محاولات مستقبلية لمواجهة هذه المناسبات الدينية ستبوء- أيضاً- بالفشل، ولهم الخيبة والخسران.

مبدأ الولاية منهج ومسار للحياة

هذه المناسبة العزيزة (مناسبة الغدير) مناسبة ذات أهمية كبيرة؛ **لأن** لها صلةً بموضوعٍ أساسيٍ يُهِمّ كل مؤمن، وهو مبدأ الولاية، ومبدأ الولاية هو مبدأٌ قرانيٌ إيماني، وليس ابداً من إنتاجٍ مذهبي، **ويجب** التعاطي معه على هذا الأساس، بعيداً عن القيود والأغلال المذهبية التي تكبِّل الكثير من الناس وتقيدهم عن الانفتاح على الحقائق القرآنية، بل وتجعل البعض يتسرع في المواقف السلبية ابتداءً، دون أي تفهّم ولا تفاهم. ولنسمع ما قاله الله في كتابه الكريم، **يقول الله** سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴿٥٦﴾﴾[المائدة: ٥٥-٥٦]، ثم لنسمع ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وهو عائدٌ من حِجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، في مثل هذا اليوم، في غدير خُم، بين مكة والمدينة، ومعه عشرات الآلاف من جموع المسلمين العائدين معه من حِجة الوداع، بعد أن نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة الآية: ٦٧]، وبعد نزول هذه الآية المباركة، في وقت الظهيرة، في وقت حرارة الشمس وحرارة الرمضاء وبعد أن أمر بإعادة من كانوا قد تقدموا، وانتظر في ذلك المكان حتى تكامل الجمع، وبعد ذلك رُصَّت له أقتاب الإبل ليصعد عالياً فوقها؛ **ليراه** الجمع كله، وأصعد علياً عليه السلام معه، ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وآله خطبةً عظيمة إلى أن وصل إلى الموضوع المقصود فرفع يد علي وقال: **(يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)**، من خلال الآية القرآنية السابقة، ومن خلال هذا النص النبوي الذي هو مِصداق لها، ندرك أهمية مبدأ الولاية الذي يتحقق للأمة به أن تكون حزبُ الله، وتحظى برعاية الله، وهدايته، ونصره، وتأييده، كما وعد هو سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وبهذا يمكن للأمة أيضاً أن تحمي نفسها من الوقوع تحت هيمنة وولاية أعدائها، وعندما نقرأ الآية المباركة ونتأمل النص النبوي نجد التناسق العجيب بين الآية وبين النص، التناسق كل التناسق، وندخل إلى الموضوع نفسه، إلى مبدأ الولاية الذي **يجب** أن نفهمه، وأن نعيَه، وأن نستوعبه، وأن نؤمن به، وأن يكون لنا مبدأ ومنهجاً ومساراً في الحياة.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، **فما هي ولاية الله لعباده المؤمنين؛ لأن** الخطاب هنا لمن؟ هو للمؤمنين، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ أنتم أيها المسلمون، أنتم أيها المؤمنون وليكم الله، فما هي ولاية الله لعباده المؤمنين؟ إنها ولاية رعاية، ولاية هداية، ولاية رحمة، يهديهم، يؤيدهم، يرعاهم بلطفه ورعايته في كل أمورهم وشؤونهم، ينصرهم، يوفقهم، يدبِّر شئونهم، يحدد لهم ويقرر لهم الأسس والمعايير والمؤهلات لولاية أمرهم؛ **باعتبار** ذلك من تدبيره لشؤونهم، يتولى تدبير شؤونهم في كل مجالات الحياة ومختلف نواحي الحياة، ﴿اللَّهُ﴾، الله وليكم، الله العظيم الرحيم، الله أرحم الراحمين، الله ملك السموات والأرض، إله السموات والأرض، فاطر السموات والأرض، قيوم السموات والأرض، وليكم أيها المؤمنون، فكيف نتولى الله؟ وكيف يتحقق لنا أننا في واقعنا نتولى الله؟ بإيماننا به، بثقتنا به، بتوكلنا عليه، بالتزامنا بتعاليمه وطاعته، بتسليمنا لمنهجه، بإذعاننا لأمره، بمحبتنا له، بتولينا لأوليائه، وعدائنا لأعدائه.

تتحقق لنا حينئذ هذه الصلة (ولاية الله)، حينما نتولاه ونحتمي بهذه المظلة (مظلة الولاية الإلهية)، فنحظى بكل تلك الرعاية التي يرعى الله بها أولياءه في مختلف شؤون حياتهم، وصلتنا بالله التي تحقق لنا الولاء له، والتولي له، هي كتابه ورسوله ﷺ، ولذلك لن يتحقق لنا التولي لله والولاء له ﷻ دون التولي لرسوله ﷺ. لا يتم لنا في واقعنا أن نتولى الله إلا بالتولي لرسوله ﷺ، فولاية الرسول ﷺ هي امتداد لولاية الله، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: من الآية ٦]، هو أيضاً قال ﷺ: **(إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم)**، لذلك ندرك أهمية الولاية؛ **لأننا** نتحدث- أساساً- عن ولاية الله، ثم ما هو امتداد لولاية الله، نتحدث- أساساً- عن هذا المبدأ المهم الكبير. البعض ممن

يعميهم الحقد والتعصب الطائفي والمذهبي لا ينظر إلى المسألة من بداياتها، ينظر فقط إلى مسألة الإمام علي عليه السلام، ثم له موقف سلبي تجاه مسألة الإمام علي عليه السلام، وبذلك لا يلتفت إلى المسألة من أساسها ولا من بداياتها.

مبدأ الولاية.. الارتباط والتسلسل

مبدأ الولاية هو يرتبط أساساً بولاية الله سبحانه وتعالى، ثم ما يترتب عليها، ثم ما هو امتداد لها، ولاية الله؛ **وامتداد** لولاية الله سبحانه وتعالى: ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي امتداد لولاية الله؛ **لأنها** تُجسِّد تلك المواصفات والقيم التي هي من عند الله سبحانه وتعالى، وهي مرتبطةٌ بالله سبحانه وتعالى -أيضاً- ارتباطها بمنهج الله سبحانه وتعالى لعباده، ولذلك يقول الله عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، **وهكذا هو الرسول:** رحيمٌ بالمؤمنين ورؤوف بهم، هكذا هي الولاية الإلهية في امتداداتها، **امتدادات ترتبط بنفس تلك المواصفات العظيمة:** الرحمة (رَحِيمٌ)؛ **لأنه** يُجسِّد ولاية الله الرحيم، ورؤوف بالمؤمنين؛ **لأنه** يُجسِّد ولاية الله الرؤوف بعباده المؤمنين، يُجسِّد- كذلك- في حرصه على هداية الناس والعمل على إنقاذهم وتحقيق سعادتهم في الحياة، وفلاحهم في الدنيا والآخره، يُجسِّد رحمة الله سبحانه وتعالى وإرادته الخير لعباده.

فولايته ولاية رحمة، وهداية، وتربية، وبناءٌ للأمة، وإصلاحٌ لها، وهو يأمر بأمر الله، ويشد الأمة إلى الله، ويهديها إلى الله، وإلى ما فيه الخير لها، والعز لها، والصلاح لها، والرشد لها، وما فيه سعادتها. وطاعته من طاعة الله، وقد جسد هو القيم الإلهية الرسالية على أرقى مستوى، **فهذه ولاية الرسول علينا:** قائداً، هادياً، معلماً، مربياً، آمراً، ناهياً، يتولى بناء الأمة وتربيتها وإصلاحها وقيادتها في كل شؤونها. والتولي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خلال المحبة له،

والاقتداء به، والتمسك به، والسير على نهجه، والامتثال لأمره، والعداء لأعدائه ومباينتهم. وبهذا يتحقق لنا التفاعل مع طبيعة المسئولية المرتبطة بالولاية، التفاعل القائم على الاتباع، على العمل، على الالتزام، على التمسك، على المحبة، هذا التفاعل يتحقق به التولي لرسول الله ﷺ، ثم يتحقق ويتم ويكتمل ويتطابق التولي لرسول الله ﷺ بالتولي للإمام علي عليه السلام، وهذا صريح كلام الرسول ﷺ **حينما قال: (فمن كنت مولاه، فهذا عليٌ مولاه)**، وكذلك الامتداد المتسلسل في النص القرآني: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وصدقة الإمام علي عليه السلام بخاتمه وهو راكع شهيرة متواترة بين علماء الأمة، الآية المباركة قدمت الإمام علياً عليه السلام بمواصفاته ومؤهلاته الإيمانية الراقية عندما قدمته **على هذا النحو:** بإيمانه، بإقامته للصلاة، بما يدلّل على رحمته العظيمة بالناس وهو يتصدق بخاتمه وهو في حالة الركوع، قدمته الآية بمواصفاته الإيمانية ومؤهلاته المرتكزة على القيم، وقدَّمه الرسول محمد ﷺ في يوم الغدير باسمه وشخصه أمام الأشهاد، في مرأى الجموع الكبيرة (عشرات الآلاف من المسلمين)، لتنطبق مواصفات ومصاديق تلك الآية القرآنية على الإمام علي عليه السلام، فقُدِّمت الآية لمواصفاته ومؤهلاته، وقدَّمه الرسول مع ذلك- أيضاً- باسمه وشخصه للأمة.

الإمام علي حلقة الوصل الوثيقة للأمة بنبيها

فالإمام علي عليه السلام **هو حامل القيم الإيمانية** التي تؤهله لقيادة الأمة، وأن يكون هو حلقة الوصل الأمينة والوثيقة والتامة للأمة بنبيها ﷺ، فالأمة اختلفت بعد نبيها أشد الاختلاف، وأمام تشعب الطرق، وتعدد السبل، واختلاف المسالك؛ **فإن** الامتداد الأصيل والنقي والتام للنهج المحمدي والموصل إليه هو عليٌ عليه السلام، **كما قال رسول الله** ﷺ: **(عليٌ مع القرآن، والقرآن مع علي)**، وكما

قال ﷺ: (**عليٌ مع الحق، والحق مع علي**)، وكما قال ﷺ: (**يا عمار إذا سلك الناس وادياً، وسلك عليٌ وادياً، فاسلك وادي علي**)، ونحن في هذه المسيرة نحن ننطلق من هذا المنطلق: نسلك وادي علي الذي يوصلنا ويربطنا بالنهج المحمدي إلى الصراط المستقيم، وذلك ما نطمئن إليه ونثق به، ونحن منه على يقين، **ويقول** ﷺ: (**يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق**)، في هذا المسار الإيماني، وهذا المسلك الذي هو مسلكٌ مؤكدٌ، ينطلق فيه الإنسان على بينةٍ وبصيرةٍ وهدىً بكل وثوق، ليصل بك- فعلاً- إلى المنهج المحمدي الأصيل.

والإمام عليٌ عليه السلام **هو الأكمل والأرقى**- بكمال إيمانه وقيمه- لقيادة الأمة، حاذياً بها حذو نبيها، **ولديه المؤهلات اللازمة:** إيمانٌ عظيم بالله، ولهذا قدمته الآية المباركة بأول صفة من صفاته، **وهي الصفة الإيمانية:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، إيمانٌ عظيمٌ بالله- على أرقى درجات الإيمان- يؤهله لأن يكون في مستوى المسئولية الكبيرة والعظيمة، رحمةٌ عظيمةٌ بالأمة، ليس متجبراً، ولا طاغياً، ولا متعسفاً، ولا ظالماً، رحمة عظيمة بالأمة، واستيعاب عظيم لهدى الله ولمنهج الله، وعلمٌ كبيرٌ به، فهو الأذن الواعية، وهو باب مدينة علم رسول الله ﷺ. فتولينا للإمام علي عليه السلام يمثل حلقة وصل وامتداداً لولاية النبي، وامتداداً لمشروعه العظيم، ومُجسِّداً لقيم الإسلام، وارتباط الأمة به ارتباطٌ بمسار الهداية الذي يوصلك إلى الرسول، ومن الرسول إلى الله، وتأثر الأمة به له مردوده التربوي العظيم في عزمها، وفي همتها، وفي استشعارها للمسئولية، وفي تفانيها في سبيل الله، وفي مواجهتها للتحديات... وفي سائر الأمور التربوية.

الإمام علي نموذج المؤهلات والمعايير القيادية

ثم هو النموذج الأرقى والأسمى والأكمل الذي يجب أن تتطلع الأمة إليه، لمعرفة المعايير والمؤهلات لقيادتها التي يمكن أن تقودها في مسار الولاية الإلهية، فولاية أمر الأمة وموقع قيادة الأمة هو من الأساسيات في إطار الولاية الإلهية؛ التي تحقق للأمة ارتباطها بها وفوزها بمكاسبها، هذا هو مبدؤنا، هذا هو فهمنا لتلك النصوص من كتاب الله ومن بلاغ الرسول صلى الله عليه وآله.

العجيب أن البعض لهم موقف سلبي تجاه المعايير والمواصفات والمؤهلات الراقية والإيجابية، والتي هي لصالح الأمة، فما إن نتحدث نحن أو غيرنا حتى يبدون استياءهم الكبير، وانتقادهم، وأقوالاً، وكتابات... وأشياء كثيرة، [لماذا تقولون مواصفات ومعايير إلهية؟]، **نحن نقول: يجب** أن يمتلك من يقود الأمة الإسلامية، من يقود المسلمين، **من يقود شعباً مسلماً أن يمتلك المعايير الإلهية:** يكون عنده رحمة، يكون عنده المؤهلات لإقامة العدل، يكون عنده حكمة، يكون عنده معرفة بأساسيات الدين، يكون عنده توافق وتناسب مع طبيعة المسئولية التي هي مسئولية كبيرة، ولها تأثيرها الكبير فوق كل تأثير في واقع الأمة وفي كل شؤون الأمة. يستاؤون من ذلك، [كيف تقولون **يجب** أن يكون عنده رحمة، حكمة، مؤهلات لإقامة العدل؟! هذا غلط، هذا...]، أشياء كثيرة يقولونها عن هذا الموضوع.

في المقابل- هؤلاء الذين لهم موقف سلبي تجاه هذه المسألة- في المقابل يسلِّمون بمعايير مقلوبة وسلبية وفظيعة، وآثارها سيئة في واقع الأمة، ودجَّنت الأمة للظالمين والجائرين، وأصابتها بالتبلد السياسي، فلا يمانعون أن يكون من يقود الأمة. أو يحكم شعباً معيناً أن يكون فاجراً، أن يكون ظالماً، أن يكون جاهلاً أمياً، أن يكون متجبراً وأن يكون فاسداً، وأن يكون خائناً، ويقدِّم للأمة

وهم قدموا للأمة ثقافة (**أطع الأمير وإن قصم ظهرك وأخذ مالك**)! هؤلاء الذين لديهم هذه المعايير المقلوبة يسلِّمون بها، يُثقفون بها ويسلمون لها، ويقدمونها وهي لا تستسيغها حتى الفطرة الإنسانية، الفطرة الإنسانية لا تستسيغها ابداً، **أمر عجيب!** يستاؤون، ينتقدون، يسخطون من أن نتحدث عن معايير إلهية، عن مؤهلات إيمانية أو ما شابه، ثم يُسوّقون لمعايير مقلوبة: فاجر، ظالم، طاغية، متجبِّر، لص، ينهب ثروات شعبه وينهب مقدرات أمته، ليس عندهم مانع، **المؤهلات لديهم هي ماذا؟** المؤهلات لديهم ثروة مادية يستطيع أن يشتري بها النافذين والمؤثرين، أو قوة عسكرية يستطيع أن يتغلب من خلالها أو يسيطر من خلالها، أو يدبِّر انقلاباً عسكرياً من خلالها، **أو الاستناد إلى عصبية:** إما عصبية عنصرية أو أي عصبية، أو طائفية... أو ما شابه، هذه المؤهلات فحسب، **وبالتالي لا يهم أن يكون كيفما كان من يحكم الأمة ويتحكم في كل شؤونها:** يأمر، وينهى، ويدبر، ويتحكم، لا يهم عندهم أن يتّصف ولا أن يحمل أي مؤهلات، هذا غريب، وهذا عجيب!

ووصولاً إلى إيكال المسألة بكلها إلى الأعداء، أنه ليس بالضرورة أن تكون الأمة هي المعنية بشأنها وولاية أمرها، وأن يكون الأمر خاضعاً لمعايير منسجمة مع مبادئها وقيمها، لا يهم ذلك لديهم. في نهاية المطاف أوكلوا المسألة بكلها إلى الأعداء، فالأعداء هم من يتحكمون في شؤون الأمة، ويصنعون لهم أقنعة، كثير من المسئولين والزعماء والسلاطين هم بمثابة أقنعة، يكون الزعيم الفلاني قناعاً وراءه مدبِّر وآمر وناهٍ ومقرر: هو أمريكي، أو صهيوني... أو ما شابه. أوكلوا المسألة- في نهاية المطاف- إلى الأعداء، وسلموها إليهم للتحكم بها كيفما يشاؤون ويقررون ويريدون. موقع القيادة للأمة هو الموقع الأهم والأشد والأخطر تأثيراً في واقع الأمة، مسألة بهذه الأهمية؛ **ما هي** الثقافة

الراسخة بين أوساط شعوبنا عن المعايير والمؤهلات اللازمة لتبَوُّء هذا الموقع بكل ما يمثله من أهمية، ويتناسب مع طبيعة المسئولية المنوطة به؟ ما هي الثقافة السائدة لدى كل أفراد الأمة؟ يُفترض تجاه مسألة بهذه الأهمية، بتأثيراتها الكبيرة التي تطال كل فرد من أبناء الأمة، أن يكون هناك ثقافة واعية، سائدة، راسخة، فما هي هذه الثقافة؟ حالة فراغ سائدة وتبلد رهيب تجاه هذه المسألة، هيأ- لحدٍ كبير- لأن يكون لدى الأمة القابلية بأن يقودها ويحكمها ويتولى أمرها الجائرون، الظالمون، المجرمون، الفاسدون، الذين لا يمتلكون أي مؤهلات- والبعض منهم- ولا حتى لإدارة مدرسة، فما بالك بالأمة على مدى قرون من الزمن، ومن يقرأ التاريخ يدرك ذلك- وللأسف الشديد- وكان هذا عاملاً أساسياً في أن يكون مسار الأمة منحدراً إلى الأسفل، فهي لم تستفد لا من عامل الزمن؛ **ولها** مئات السنين، ولا من إمكاناتها المادية الهائلة، ولديها الثروة النفطية الهائلة وغيرها من الثروات، ولا من موقعها الجغرافي الأكثر أهميةً في الأرض، ولذلك، لو كان مسارها صحيحاً بكل هذه المقومات لكانت أرقى الأمم، ولكان لها السيادة على العالم، ومن حيث الأساس لم يكن للحكام والدول أي مشروع نهضوي ولا حضاري لبناء الأمة والارتقاء بها، ولا حتى إدراك لطبيعة المسئولية لتكون في مستواها، كان المشروع- على الأغلب- مشروع سيطرة، ينظرون هكذا إلى مسألة قيادة الأمة وولاية أمر الأمة، دائماً مشاريعهم مشاريع سيطرة؛ **للتمكن** من الاستمتاع بالسلطة، لجمع الثروة، وللنفوذ، وللسطوة والانتقام من الآخرين، ولذلك حرص الظالمون والمجرمون على مدى تاريخ الأمة- على المستوى الفكري والثقافي- على مواجهة الثقافة الصحيحة في هذا الأمر، وترسيخ ثقافات باطلة غير مقبولة، تتيح لهم شرعنة الاستبداد والظلم والطغيان، ثم وصل واقع الأمة إلى ما وصل إليه.

الولاية الإلهية لمواجهة الولاية الأمريكية

ونحن في هذا العصر وفي هذه المرحلة لمواجهة الولاية الأمريكية التي تريد أمريكا أن تفرضها على العالم، أمريكا تسعى أن يكون لها على كل شعوب العالم ولايةٌ مطلقة، ولايةٌ لها ولإسرائيل. في مواجهة ولاية الأمر اليهودية ليس هناك أي ثقافة في مستوى المواجهة لهذه الثقافة ولهذه الهيمنة الأمريكية والغربية، إلا أن تحتمي الأمة بمظلة الولاية الإلهية بمفاهيمها الصحيحة، هذا ما يمكن أن يحمي الأمة، وإلا فالبديل هو الولاية الأمريكية، وأن تكون أمريكا وإسرائيل هي من تتحكم في شؤون الأمة، أن يكون ما هو سائد في واقع الناس، ما يُفرض على الناس، ما يعمله الناس، ما يتوجه فيه الناس، ما يُلزمون به، ما يُلزمون بالتقبل له، هو ما تريده أمريكا، لا ما يأمر به الله، هو ما تقرره الإدارة الأمريكية وتسعى له إسرائيل لا ما يأمر الله به في كتابه! فيأمر الله بأمر ويوجه توجيهاً معيناً، ويكون هناك في المقابل إرادة أمريكية مناقضة لهذا التوجيه الإلهي، توجه أمريكي يعارض هذا التوجيه الإلهي، وهناك- يؤثِر ما تريده أمريكا على ما أمر به الله، فيكون المتَّبَع، يكون المتَقَبَّل، يكون السائد هو ما تدعو إليه أمريكا وتريده أمريكا؛ **وتسعى** له أمريكا وإسرائيل، ما يُدفع إليه الناس، ما يؤمر به الناس، ما يوجه إليه الناس، ما تُبنى عليه حياتهم، ما تدار به أمورهم سياسياً، واقتصادياَ، وثقافياً... وفي كل أمورهم وشؤونهم على حسب ما تقرره أمريكا وإسرائيل.

يكون المتَّبَع- بدلاً من القرآن الكريم وتعليمات القرآن الكريم- تعاليم الإدارة الأمريكية، وما يُقدِّمه السفير الأمريكي والمسؤولون الأمريكيون الذين يزورون هذه الدولة العربية أو تلك، يكون همّ الزعيم العربي، أو الحاكم العربي، أو النظام العربي، أو الحكومة العربية المعينة أن تُمضي على شعبها،

وتفرض على شعبها وتوجه شعبها، وتقرر في شؤون شعبها ما تريده الإدارة الأمريكية. وما الذي ستريده الإدارة الأمريكية؟ ما الذي ستقدمه أمريكا وإسرائيل لشعوبنا ولأمتنا، وهي العدو الحاقد الذي لا يريد لنا أي خير، وهي المفلسة: ليس لها أخلاق، ولا إنسانية، ولا ضمير، ولا شرف، ولا مبادئ محقة، فئة تعادِي الله وتعادِي البشرية وتعادِي الإنسانية، هل يمكن أن يقدموا لنا ما فيه خير لنا؟ كل ما يقدمونه من خطط، كل ما يفرضونه علينا من رؤى، **من ثقافات في أي شأن من شؤون حياتنا:** سياسياً، أو اقتصادياً، أو عسكرياً، هو بما يضرب أمتنا ويحقق مصالحهم هم وحسب، وهذه حقيقة واضحة، ومن يتأمل الواقع يدرك أنه لا مخرج للأمة **إلا بهذا المبدأ: (مبدأ الولاية)**، ولاية الله سبحانه وتعالى، والتي من امتداداتها ولاية رسوله، ومن امتدادات ولاية رسوله ولاية الإمام علي عليه السلام، والذي كان هذا اليوم هو ذكرى ذلك البلاغ، الذي سيبقى عبر الأجيال مخلَّداً في كل زمن وفي كل عصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم وأن يجعلنا من المتولِّين له، والمتولِّين لرسوله، والمتولِّين للإمام علي عليه السلام، ونبرأ إلى الله من أعدائه، ومن أعداء رسوله، ومن أعداء الإمام علي عليه السلام، أعداء الحق والإسلام والقرآن، أعداء الإنسانية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٥هـ

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهَ رَبِّ العالمين، وأشهد ألا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبينُ، وأشهَدُ أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلى آله الطاهرين، ورضي الله عن صحبه المنتجبين.

أيُّها الإخوة المؤمنون

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ:::

نبارك لكم بهذه المناسبة التي يحتفل بها شعبنا اليمني اليوم في كثيرٍ من المناطق، هذه المناسبة التي حافظ شعبنا اليمني على إحيائها منذ مدةٍ قديمةٍ -وعبر الأجيال- كمناسبةٍ دينيةٍ متميزةٍ ذات أهميةٍ كبيرة.

شعبنا اليمني العظيم الذي تميَّز بحفاظه الكبير على مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، وارتباطه الحميم والوثيق والعزيز بالإسلام منهجاً، وبالإسلام مبادئ، وقيماً، وأخلاقاً، وبرموز وأعلام الإسلام ابتداءً بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

شعبنا اليمني العظيم الذي له خصوصية في علاقته الحميمية بالإمام عليٍ عليه السلام، الإمام علي عليه السلام الذي اختاره الرسول صلى الله عليه وآله ليكون مبعوثه إلى اليمن لدعوة أهل اليمن إلى الإسلام كمهمةٍ خاصة، اختار النبي فيها تلميذه العظيم

والمتميِّز، وجندي الإسلام العظيم، هذا الرجل العظيم الإمام علياً عليه السلام ليكون هو بالتحديد- كمهمةٍ استثنائية- مبعوثه إلى اليمن، إعزازاً لأهل اليمن، وأملاً في أهل اليمن، وإكراماً لأهل اليمن، وأملاً عظيماً في أهل اليمن، أن يكون لهم دورٌ متميزٌ وعظيمٌ في نصرة الإسلام، وإعلاء قيم الإسلام، والتمسك بالإسلام.

وكان لخروج الإمام علي عليه السلام إلى اليمن، وإسلام أهل اليمن على يديه، وبجهوده؛ **برسالة** النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي بلّغها فيهم، وبما كان عليه هو عليه السلام من مؤهلاتٍ إيمانية، وأخلاقية، ومعرفية مؤثِّرة جسَّد فيها قيم الإسلام على أرقى مستوى، فرأى اليمنيون آنذاك في الإمام علي عليه السلام في أخلاقه، في قيمه، في قدرته على التبليغ للرسالة الإلهية، وهو يدعو إليها مبعوثاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مبعوثاً من خاتم الأنبياء وسيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى أهل اليمن في الإمام علي عليه السلام قيم الإسلام، وأخلاق الإسلام، ومبادئ الإسلام، ورأوا فيه- أيضاً- وسمعوا منه معارف الإسلام نقيةً أصيلة، فكان أن عظُم ارتباطهم بالإسلام، وبالنبي، وبالقرآن، وبالإمام علي عليه السلام.

بقي هذا الارتباط الوثيق والصادق بالإسلام رسالةً ومنهجاً ونبياً، وبتلميذ الرسول الأكرم الإمام علي عليه السلام، بقي ثابتاً وأصيلاً تتوارثه الأجيال في بلدنا اليمن جيلاً إثر جيل، لم تستطع أي عوامل، أو مؤثرات خارجية، أو طارئة أن تمحي من الوسط اليمني هذا الارتباط المبدئي، والفكري، والثقافي، والقيمي، والأخلاقي بالإسلام العظيم، وبرموزه العظماء، وبالنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ **ولهذا** كان لليمنيين دورٌ متميِّز عبر التاريخ، وكان لهذا الارتباط المبدئي، والثقافي، والفكري، والوجداني أثر عظيم وطيب في نفوس أهل اليمن، في أخلاقهم، في قيمهم، في ثباتهم على المبادئ، وكان له أثره الكبير في وفائهم لهذه المبادئ ولهذه القيم.

نحتفل اليوم في كثيرٍ من المناطق في بلدنا اليمن، كما يحتفل البعض- أيضاً- في مناطق أخرى من العالم، ومن حقنا أن نحتفل بهذه المناسبة الدينية العزيزة علينا، والتي لها حالةٌ استثنائية، ولها- أيضاً- موقعٌ عزيزٌ في مبادئنا، وقيمنا، وثقافتنا، وفكرنا، والآخرون الذين يشنِّعون علينا، أو يعترضون، أو ينتقدون، أو يتحاملون، أو يستاؤون، لا مبرر لهم ابداً.

نحن نلحظ أنه في الآونة الأخيرة يتزامن مع هذه المناسبة إطلاق حملاتٍ دعائية ومشوّهة، تعتمد إلى حدٍ كبير على الأكاذيب والافتراءات، والتقوُّل علينا بما لا نقول، ولا نعتقد، ومحاوِلةً لتشويه هذه المناسبة العزيزة والمهمة، ومن العجيب أنَّ كثيراً من الكتابات والمقالات تنطلق من بعض الكتّاب اليساريين أو الحداثيين الذين يعتبرون أنفسهم يتبنَّون الديمقراطية، وحرية الكلمة، وحرية الرأي! ثم لا نرى هذه الحرية لديهم، ولا ديمقراطيتهم أمام مثل هذه المناسبات التي لا يطيقونها، ولا يتحمَّلونها، بل يهاجمونها، ويشنّعون، ويحرضون... إلى غير ذلك! كذلك البعض الذين- دائماً- بلهجةٍ طائفيةٍ مقيتة- يحاولون التصدي لمثل هذه المناسبة، وهي مناسبة دينية مشروعة، تستند إلى أصلٍ ثابت، وتتحدث عن مناسبةٍ عظيمة، عن مقامٍ عظيم.

إحياء هذه المناسبة شهادة وتخليد للبلاغ النبوي

هذه المناسبة- أيها الإخوة الأعزاء- هي أولاً شهادةٌ للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ببلاغه التاريخي العظيم، الذي حينما بلَّغه قال أمام الملأ جميعاً: **(ألا هل بلغتُ؟ اللهم فاشهد)**. إننا ونحن نحيي هذه المناسبة وعبر الأجيال، إنما نشهد للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أنَّه بلَّغ ذلك البلاغ الذي أُمر بتبليغه.

هذه المناسبة- أيها الإخوة الأعزاء- هي- أيضاً- تخليد لذلك البلاغ الذي أراد له الرسول ﷺ أن يبقى في أمته عبر الأجيال، تعرف به الأمة جيلاً بعد جيل؛ **لأن** بلاغات الرسول، وتوجيهات الرسول التي أطلقها عامةً في أوساط أمته، وأوساط المؤمنين والمؤمنات، هي للأمة كلها عبر الأجيال، جيلاً بعد جيل، وخصوصاً ما يتعلق بالثوابت والأسس، والقضايا المهمة والرئيسية التي ليست وقْتِيَّة، ولا ظرفية؛ **إنما** هي للأمة كلها جيلاً بعد جيل، فهذه المناسبة هي تخليد، وهي إحياء، وهي- أيضاً- حفاظٌ على ذلك النص المهم الذي أقرَّت به كل المدارس الفكرية والثقافية الدينية في أوساط المسلمين، كل المذاهب في مدارسها وفي كتبها الحديثية المهمة أقرَّت، وأكَّدت، ونقلَت واقعة الغدير، وبلاغ الرسول ﷺ في يوم الولاية، ذلك البلاغ التاريخي العظيم، وذات الأهمية الكبيرة للأمة، فنحن نحافظ على نصٍ نبويٍ مهمٍ يبقى متوارثاً بين أوساط الأمة، **معنى ذلك:** أننا نحيي سنَّة رسول الله، وأننا نحافظ بحقٍ على سنَّة رسول الله ﷺ، وبلاغاته المهمة التي وجهها إلى أمته، والتي يترتب عليها أمورٌ مهمة **جدًّا** في واقعها وحياتها، سنتحدث عنها في سياق حديثنا في هذه الكلمة.

أيضاً من أهمية ما في هذه المناسبة: أنها مناسبةٌ لترسيخ مبدإٍ قرآنيٍ، إسلاميٍ، نبويٍ، إيماني، من أهم المبادئ، وهو مبدأُ الولاية، ومبدأُ الولاية ليس مبدأً يعبِّر فقط عن طائفةٍ ابتكرته، أو مذهبٍ اخترعه، أو مدرسةٍ فكريةٍ أنتجته، أو متقوِّلٍ تقوّل به. لا، إنه نصٌ من الله العظيم، إنها آيات القرآن التي تتلى في كتاب الله في سورة المائدة، وإنه البلاغ التاريخي العظيم المتواتر بين الأمة، والذي نقلته كل مدارسها، ومذاهبها، هذا البلاغ الذي على لسان الرسول ﷺ في يوم الغدير.

مبدأ الولاية وأهميته في الإسلام

إنَّ مبدأ الولاية هو مبدأٌ من أهم المبادئ في الإسلام، والطريقة والنص القرآني الذي تضمن هذا المبدأ، وقدَّم له المفهوم الواضح والبيِّن، قدَّمه بما يدلل على أهميته القصوى.

إنَّ الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، هكذا يقدِّم الله لنا فيما قاله هو سبحانه وتعالى، وليس فيما رجَّحه مفكِّر، أو نطق به كاتب، أو قدَّمه شخص آخر كفَرَضية يريد أن يفرضها على الناس. لا، إنما قدَّم الله سبحانه وتعالى لنا هذا المبدأ كمبدأ عظيم، نحتاج إلى أن نستوعبه جيداً، وأن نتفهمه جيداً، وبعيداً عن الحساسيات المذهبية، وبعيداً عن التقوُّلات التي تهدف إلى **التشويه:** التشويه للفكرة، التشويه للمبدأ، التشويه للثقافة. يعتاد الآخرون أن يتقوَّلوا ويرسموا من عندهم هم صورةً سلبية؛ **ثم** يجعلون منها -هي- هدفاً لكلامهم، لمقولاتهم، لتعليقاتهم، لانتقاداتهم، لتشنيعاتهم... **إلى ما هو أكثر من ذلك:** إلى تحريضهم، إلى عدائهم... إلى غير ذلك.

ولكن نأتي لنتناول الموضوع في جو النص القرآني، في جو كتاب الله كمسلمين، كمؤمنين، بعيداً عن أطروحات الآخرين، وعن تفكيرهم، كمؤمنين بكتاب الله، بآيات الله، برسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، كمتمسكين بمنهج الله.

ولاية الله تعالى

ما هي ولاية الله ﷻ؟ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، إنَّ الحساسية لدى البعض تجعلهم في موقفٍ سلبيٍ **جدًّا** بعيداً عن مسألةٍ من أهم المسائل في الإسلام ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ﷻ، الله -جلَّ شأنه- تحدث عن ولايته في القرآن الكريم كثيراً وكثيراً.

إنَّ ولاية الله والتولي لله هي علاقةٌ إيمانيةٌ، وعروةٌ وثيقةٌ يرتبط بها الإنسان المؤمن مع الله ﷻ، ولاية الله ﷻ وهو الرب، وهو الملك، وهو الإله، وهو الهادي، وهو المدبِّر، **ولايته لعباده المؤمنين:** يتولى هو رعايتهم، وهدايتهم، ونصرهم، ومعونتهم، إنَّ هذه الولاية تعبِّر عن طبيعية العلاقة الإيمانية، والارتباط الوثيق بين المؤمن وبين الله، المؤمن الذي يتولى الله، يعتمد على الله، يلتجئُ إلى الله، يستعين بالله، يستنصر بالله، وهو- أيضاً- يسير في واقع حياته على ضوء توجيهات الله، وتعليمات الله، وهداية الله ﷻ.

هذه الولاية التي قال عنها -جلَّ شأنه-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[البقرة: من الآية٢٥٧]، هكذا هي الولاية الإلهية: ولاية هداية ونور ونصر، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[محمد: الآية١١]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: من الآية٦٨]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: من الآية١٩]... آيات كثيرة تتحدث عن ولاية الله، وكيف نتولى الله، وكيف تكون عملية التولي لله حالةً من الارتباط الإيماني الوثيق بالله ﷻ **في كل مقامات الحياة:** رؤيةً، وبصيرةً، ونوراً، واستبصاراً، وفي مواجهة التحديات، والأخطار، والأعداء،

والمعضلات، وكذلك ارتباط بحبل الله ﷻ الذي به نكسب من الله معونته، ونصره، ورعايته، وتوفيقه، وتسديده، ونتفيأ في ظل الولاية الإلهية برحمة الله الرحيم، وكرم الله الكريم، ونصر الله القوي العزيز، وهكذا هي مسألة إيمانية طبيعية، بعيداً عن تشويه الآخرين، ومحاولتهم أن يتحدثوا عن المسألة بطريقة بشعة ومشوِّهة وكأن المسألة لا أساس لها لا في القرآن ولا على لسان الرسول ﷺ.

ولاية الرسول

ثم يقول الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، ولاية الرسول من موقعه في الرسالة، رسولاً يبلِّغ رسالات الله، قائداً، هادياً، زعيماً، مربِّياً، معلِّماً، مرشداً، له ولايةٌ علينا فيما يوجِّهنا به من توجيهات الله، ودين الله، وتعاليم الله، وإرشادات الله ﷻ، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ من انفسهم﴾[الأحزاب: من الآية٦]، النبي ولايته علينا أولى بنا حتى من أنفسنا؛ **أولى بهم** من أنفسهم، هكذا يقول الله في القرآن الكريم، وولايته علينا؛ **التي** فيها أن نهتدي به، أن نحبه، أن نحذُوَ حذْوَه، أن نتأسى به، أن نسير بسيرته، أن نستجيب له، أن نتَّبع أوامره التي هي من أوامر الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: من الآية٨٠]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[المائدة: من الآية٩٢]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[آل عمران: من الآية١٣٢]، وهكذا هو ارتباط حميم ووثيق، ارتباط اهتداء، واقتداء، واتِّباع، وتمسّك بمحبة، بإعزاز بالنبي ﷺ، وولاية الرسول هي امتداد لولاية الله ﷻ في مستوى الرسالة، وفيما يتعلَّق بالرسالة من مسؤولياتٍ رساليَّة قام بها النبي ﷺ على أكمل وأتم وجه.

ولاية الإمام علي

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وكان الإمام عليٌّ عليه السلام الذي هو بالاتفاق بين المفسِّرين من انطبقت عليه هذه المواصفات، الإمام عليّ قُدِّم هنا بمواصفاته الإيمانية كمؤمنٍ في أعلى درجات الإيمان- وأيضاً- كمجسِّدٍ للقيم الروحية والأخلاقية للإيمان العظيم في عبادته لله سبحانه وتعالى، في رحمته بالناس، في اهتمامه بأمر الأمة.

الإمام علي عليه السلام قُدِّم في نص الغدير، وفي كثيرٍ من النصوص، قُدِّم لهذه الأمة كتلميذٍ للرسول، يجسِّد في واقعه الحياتي، والعملي، والأخلاقي، والقيمي، والمعرفي، النموذج الأكمل والأرقى، وحلقة الوصل الآمن والأوثق، والرابط العظيم الذي ترتبط به الأمة إلى نبيها صلى الله عليه وآله في مدرسة الإسلام الكبرى والعظيمة، مدرسة الإسلام في منهجها، وفي رموزها، وفي مقدَّساتها، وفي قيمها، وفي أخلاقها.

الرسول صلى الله عليه وآله وحينما كان عائداً من حجة الوداع، ووصل إلى غدير خم: ما بين مكة والمدينة، وأتاه الأمر الإلهي بتقديم البلاغ التاريخي، وهو على مقرُبَة، لم يبق بعدها إلَّا عدة أشهر حتى توفاه الله، فإذا به وبعد الترتيبات المتميزة والاستثنائية في ذلك اليوم لجمع الحجيج وهم عشرات الآلاف، وبعد أن رُصَّت له أقتاب الإبل، صعد عليها ومعه عليٌّ عليه السلام، ونادى والناس صامتون، وكلهم يترقَّب الموقف، وكلهم يتأمل المشهد، وكلهم يصغي، وقدَّم مقدِّمةً في خطبته المهمة والتاريخية، ثم حينما وصل إلى الموضوع الأهم والمقصود قال صلى الله عليه وآله: ((**يا أيُّها الناس: إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من**

والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله))، وهذا النص هو مما أجمعت الأمة عليه، وتلقته بالقبول، وهو متواترٌ بين أوساط الأمة، وبقي بينها جيلاً بعد جيل تتوارثه في مجاميعها الحديثية المهمة.

الإمام علي عليه السلام في نصوص كثيرة يقدِّمه الرسول لهذه الأمة بما هو عليه من مؤهلاتٍ إيمانية عالية، باعتباره هو الأكمل إيماناً والأرقى، والذي يمكن أن يقوم بهذا الدور المهم في أوساط الأمة بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، رجلاً عظيماً في مستوى المسؤولية الكبيرة.

الإمام علي في النصوص النبوية

الإمام علي عليه السلام الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله فيما أجمعت الأمة على صحته: ((عليٌّ منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبي بعدي))، الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله فيما هو ثابتٌ لدى الأمة جميعاً: ((لا يحبك إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق))، علامة فارقة، دور أساسي ومهم، لهذا المستوى تصبح محبة الإمام علي عليه السلام علامةً فارقةً بين المؤمن الصادق، وبين المنافق المتملق، والمنتسب للإسلام وهو بعيدٌ عن روح الإسلام، المنافق لا يمكن أن ينسجم مع الإمام علي عليه السلام، له دائماً موقف سلبي من الإمام علي عليه السلام، **أمَّا** المؤمن الصادق فهو يجد نفسه في مدرسة الإيمان، وفي أخلاق الإيمان، وفي قيم الإيمان، وفي مبادئ الإيمان ملتقياً مع الإمام علي عليه السلام، والإمام عليٌّ في تلك المدرسة هو أستاذ عظيم، ومربي، وقائد، ومتميز؛ **ولذلك** النبي صلى الله عليه وآله في مقاماتٍ كثيرة بلَّغ الأمة، وتحدث إلى الأمة عن عليٍّ عليه السلام؛ **لأنه** يؤسس لدورٍ مهم لهذا الرجل العظيم الذي أراد للأمة أن ترتبط به ارتباطاً مهماً.

النبي ﷺ حتى على المستوى المعرفي والعلمي وهو يقول: ((أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها))، فعَليٌّ جسَّد الكمال الإيماني في أمة محمد على **كل المستويات:** على مستوى المبادئ، والأخلاق، والقيم، والعلم، والمعرفة، على مستوى المؤهلات اللازمة لطبيعة المسؤولية الكبيرة.

الإمام علي عليه السلام قال عنه الرسول ﷺ في قصة خيبر: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرارٌ غير فرار، يفتح الله على يديه))، بمحبتنا للإمام علي عليه السلام نحن نحب من يحبه الله ورسوله، أفلا نحبه نحن؟ أفلا نحب من أخبرنا النبي ﷺ أنه رجلٌ يحظى بمحبة الله ومحبة رسوله؟ وهذه دلالة قاطعة على أنه رجلٌ مؤمنٌ صادقٌ عظيمٌ في كمال الإيمان.

الإمام عليٌّ عليه السلام الذي قال عنه الرسول وهو يتحدث عن مدى ارتباط هذا الرجل بالقرآن الكريم: ((عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي))، وقال عنه في مقامٍ آخر: ((عليٌّ مع الحق، والحق مع علي))- أيضاً- هو الذي أخبر النبي ﷺ أنه **((سيقاتل على تأويل القرآن كما قاتل النبيُّ على تنزيله))**: من سيتولى الحفاظ على المفاهيم النقية والصحيحة للقرآن الكريم، حينما يعمد البعض إلى تحريف تلك المفاهيم في أوساط الأمة.

وهكذا نجد أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام عندما نتحدث عنه؛ لم نفعل منكراً ابداً! هذه المناسبة مناسبة عظيمة ودينية ومتميزة وإيجابية، والإمام علي عليه السلام كان في ما قاله عنه الرسول، وفيما شهد به التاريخ له، في ما نقله التاريخ من سيرته وأعماله ومواقفه، فيما قدمه من معارف- كذلك- واقعاً متطابقاً، واقعاً متطابقاً، فيما نُقل عن النبي بشأنه، وفيما نُقل عنه هو

في أقواله وأعماله وممارساته، منذ بدء أمره، منذ أن كان تلميذاً وجندياً عظيماً في مدرسة الإسلام ومع النبي ﷺ، وقد خضع لتربية خاصة وعناية إلهية كبيرة، وكذلك من بعد وفاة الرسول ﷺ إلى حين لقي الله شهيداً

الإمام علي النموذج الراقي للحاكم المسلم

وحينما تمكَّن من الوصول إلى موقع الخلافة، وبايعته الأمة، والتفت حوله الأمة، وأقامت دولةً إسلامية؛ كان عليه السلام في موقعه في المسؤولية، في توجيهاته، وقراراته، ومواقفه، وسيرته العادلة؛ **قدَّم** النموذج العظيم والراقي للحاكم المسلم.

الإمام علي عليه السلام حينما نقف فقط مع بعض نصوصه التي قدَّمها إلى بعض ولاته، مثلاً: في عهده إلى مالك الأشتر، من يتأمل تلك النصوص؛ **يجدها** نصوصاً متميِّزةً، تدلل فعلاً على أنَّ هذا الرجل هو الذي يمتلك الرؤية القرآنية الصحيحة عن ولاية الأمر في الإسلام، ومهام الحاكم المسلم.

نقرأ بعضاً من هذه النصوص تبرُّكاً في هذا اليوم العظيم، يقول الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر بعدما ولّاه مصر:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

(هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)، هكذا لخَّص مهام الحاكم المسلم في أربع نقاط أساسية: (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)، شملت هذه النقاط الأربع الأمور الأساسية التي هي من مسؤوليات، بل من صميم مسؤوليات الحاكم المسلم والوالي في الإسلام.

فماذا يأمره به؟ (أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْر، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فَيَما أَحْبَبْتَ أَو كَرِهْتَ، وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ).

اللهِ! ما أعظم هذه المعادلة! وما أعظم هذه الأسس! وما أرقى هذه التوجيهات! كيف يربِّيه حتى في المستوى الوجداني، والنفسي، والشعوري تجاه الرعية.

ثم يقدِّم له أساساً مهماً في التعاطي معهم: (فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ).

ثم يقول له محذِّراً له من الظلم ومن الاستبداد: **(وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ)**؛ **لأن** من يتسلط على عباد الله بالظلم والجور ويستغل منصبه ومسؤوليته في الجبروت والظلم للناس؛ **هو** يدخل في خصومةٍ مباشِرةٍ مع الله.

(وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ؛ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَو مَخِيلَةً): تعاظمت نفسك؛ **أنك** قد أصبحت والياً وحاكماً، لديك جيش، لديك إمكانيات... إلى غير ذلك، **(فأحدَثَ لك هذا أُبَّهة، أو مَخِيلَة فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، ويَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ)**.

ثم يحذِّره من عوارض المسؤولية التي يُبتَلَى بها البعض من حالة التعاظم، أو الاستكبار، أو التعالي، أو التغطرس؛ **لأنه** صار حاكماً، أو زعيماً، **أو مسؤولاً: (إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ)**.

ثم يوجِّهه توجيهاً عظيماً ومهماً على أساسٍ من العدل: (أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ للهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَو يَتُوبَ...)

وهكذا يستمر في تقديم توجيهات ثمينة وعظيمة، لم نسمع بها لأي حاكمٍ أو زعيم، ونجد أنفسنا كمسلمين أحوج ما نكون إلى استرجاع تلك القيم، والمبادئ، والأخلاق؛ **لتكون** حاضرة في واقعنا وفي حياتنا، في مستوى المسؤولية، وفي كل واقع الحياة، ونجد أنفسنا- أيضاً- أحوج ما نكون إلى ترسيخ مبدأ الولاية والارتباط الوثيق بالإسلام في منهجه، وفي رموزه، وفي مقدَّساته، خاصةً ونحن في مرحلة تواجه الأمة فيها أكبر المساعي من المستكبرين لطمس هويتها، وتزييف وعيها، وفصم ارتباطها بمنهجها، ومبادئها، وقيمها، وإسلامها.

المرحلة تحتم علينا الارتباط الواعي بمبدأ الولاية

نحن في مرحلة لا يمكن أن نحتمي من مستوى الغزو- الهائل والكبير- الثقافي، والفكري... وعلى كل المستويات؛ إلَّا بهذه المبادئ: بمبدأ الولاية أولاً، هذا الرابط الوثيق الذي يربطنا بوعي، وبفهم، وببصيرة بمنهجنا، ومبادئنا، وقيمنا، ورموزنا، ومقدَّساتنا.

وهنا يمكن أن نستفيد من هذه المناسبة في هذا السياق، وبقدر ما تتعاظم جهود الأعداء في هذا الشأن، ولتحقيق مبادئهم أو أهدافهم المشؤومة والسيئة التي تستهدفنا في قيمنا الحضارية والإسلامية والأخلاقية والإنسانية، بل تستهدفنا في وجودنا كأمة، كأمة لها تاريخ، لها مبدأ، لها دين، لها حضارة، يستهدفوننا لمحو وطمس معالم هويتنا، وديننا، ومبادئنا، وأخلاقنا، ووجودنا الحضاري بكله؛ **نحتاج** اليوم إلى هذه القيم، وإلى هذه المبادئ.

نحن- أيها الإخوة الأعزاء- في بلدنا اليمن، ونحن نحتفي بهذه المناسبة في كثيرٍ من المناطق كمناسبة أصيلة، ليست طارئة في واقعنا اليمني؛ **وبالتالي** البعض الذين يحاولون أن يعملوا حالة من الاستنفار الطائفي، أو المذهبي...

أو غير ذلك؛ **هم** مخطئون، هم مخطئون؛ **لأننا** مهما كان واقعنا اليمني؛ **نحن** دائماً في تعايشٍ قائمٍ على أساس الإخاء ضمن مدرسة الإسلام الكبرى، كنا ولا نزال كذلك في بلدنا اليمن، كان الزيدية والشافعية على مدى التاريخ يعيشون جميعاً بعضاً مع بعض إخوةً في الإسلام، ويجمعهم الوطن الواحد، والهم الواحد، والمصير الواحد، في عيشٍ مشتركٍ بودٍ وإخاءٍ واحترامٍ متبادل.

اليوم ما يحاول البعض أن يثيره في البلد هو يأتي أصلاً في سياق سياسي، والبلد يمر بمرحلة حسَّاسة ومهمة واستثنائية، خصوصاً ونحن نعيش حالة الاستهداف كيمنيين، حالنا كحال سائر المنطقة، حال بقية الشعوب، كل شعوب المنطقة هي مستهدفة في كل شيء، جهود كبيرة على المستوى السياسي، على المستوى الأمني، على المستوى الاقتصادي... حربٌ شاملة، حربٌ شاملة على رؤوس شعوب هذه المنطقة في كل المجالات.

اليوم وبعد أن تقدَّم شعبنا اليمني إلى الأمام خطوات ثابتة، وراسخة، وقوية، ووطيدة، هذه الخطوات في ظل ثورته الشعبية وهو ينشد تغيير واقعه نحو الأفضل، تَنْصَبّ المزيد من المؤامرات والمكائد، ولا تتعاطى القوى السياسية في البلد بقدر المسؤولية، **يعني:** تؤثِّر على البعض المناكفات السياسية، والبعض الآخر لا يزال محكوماً- أيضاً- بهاجسه الخاص كحزب، أو فئة معينة.

ضرورة التعاطي المسؤول مع اتفاق السلم والشراكة

نحن ننادي في هذه المناسبة كل القوى السياسية في البلد أن تتعاطى بمسؤولية، نحن أمام استحقاق تاريخي، ومهم، ويخدم البلد، ولمصلحة البلد، وهو اتفاق السلم والشراكة، إننا نؤكِّد على ضرورة الإسراع في تنفيذ هذا الاتفاق، **وفي المقدِّمة:** الإسراع في الاتفاق على رئاسة الوزراء، اليوم يمكن أن يكلِّف رئيس

الجمهورية شخصاً كفؤاً لرئاسة الوزراء، ومتفقاً عليه، لكن لماذا التأخير؟ التأخير هذا مشبوه، كل ما يجري في هذه الفترة من تأخير، ومماطلة، وتسويف، وتعاطٍ بارد تجاه تنفيذ هذا الاتفاق، وتجاه تشكيل الحكومة، ليس لمصلحة البلد، ابداً، البلد يتضرر أكثر فأكثر، وكأنَّ البعض يحرص على أن يعطي للخارج فرصةً أكبر للتدخل أكثر في شؤون هذا البلد، ووضع المزيد من العراقيل والعوائق أمام شعبنا اليمني في مساره الثوري والسياسي لإصلاح وضعه، وتغيير واقعه.

الآخرون- من يتآمرون على البلد- هم المستفيدون من كل هذا التأجيل، والتأخير، والتسويف، والمماطلة، والتعاطي البارد، والباهت، والضعيف أمام مسؤولية كبيرة على الجميع، هم من يحرِّكون في هذه الأيام الورقة الأمنية، تجلَّى بوضوح في التفجير الغادر والإجرامي في ميدان التحرير أنَّ الورقة الأمنية ورقة خارجية، المتظاهرون خرجوا لينتقدوا تدخل الخارج، وليطالبوا بعدم الالتفاف على الاستحقاقات والمكاسب الثورية؛ **فقُتِلُوا**، فقُتِلُوا في هذا السياق، **سياق واضح:** أنت تخرج لتحتج على تدخل الخارج فتُقْتَل، ماذا يعني هذا؟ **يعني:** أنَّ الورقة خارجية بامتياز، وهذا شيء معروف، حتى لدى كبار المسؤولين في الدولة، هم يعرفون أنَّ ما يسمى بالقاعدة إنما هي ورقة خارجية تُفَعَّل في البلد، وأول مستفيد ومفَعِّل ومغتنم لهذه الورقة هي أمريكا بالتأكيد، وهناك دول إقليمية أيضاً تستفيد.

لماذا لا تريد بعض القوى الدولية والإقليمية لنا كيمنيين أن نكون شعباً مستقراً وآمناً، وأن نقيم لنا حكومةً عادلةً وفق مخرجات الحوار الوطني، وأن نصحح وضعنا، ونلملم جراحنا، وكذلك نعمل على معالجة مشاكلنا كيمنيين، وأن يكون لنا في واقعنا وعلاقاتنا في المنطقة الدور الإيجابي؟ لماذا

لا يريدون ذلك؟ ما الذي يريدونه بالضبط من شعبنا وبلدنا؟ هم ليس منبع قلقهم، ولا منبع مخاوفهم أنَّ بلدنا إذا بنى واقعه، وبنى دولته، وأصلح وضعه، واستقر على المستوى الأمني، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، ليس هناك مخاوف من أننا بلد بدون قيم، أو بدون أخلاق، أو متوحشين، أو نمثِّل شراً على العالم، أو على محيطنا العربي والإسلامي. لا؛ **لأن** شعبنا اليمني معروف بقيمه، وأخلاقه، ومبادئه العظيمة والمتميزة، هو شعب كريم، وشهم، وعزيز، وأخلاقه عالية، ودوره إيجابي بالتأكيد. ليست مشكلتهم معنا هي ذلك، المشكلة هو أنهم لا يريدون لنا أن نكون بلداً مستقراً، ولا شعباً عزيزاً ولا حراً، مشكلتهم معنا هي أنهم يريدون أن يكونوا هم من يقرر، ومن يتخذ القرار على كل المستويات، من يتحكم في واقعنا، أن نبقى شعباً ضعيفاً، مشتتاً، فقيراً، بئيساً، محروماً، لا نشهد أمناً، ولا نعيش استقراراً، هذا ما يريدونه بالضبط، وهو ما لا يمكن أن يقبل به شعبنا اليمني.

وللجنوبيين.. دعوة أخوية صادقة

في هذه الأيام- أيضاً- تَعمد بعض القوى الدولية والإقليمية إلى تحريك الملف الجنوبي، ليس حرصاً منهم في حلِّ المشكلة الجنوبية، لو كانوا أهل حرص، أو كانوا سينطلقون من منطلق إنساني وأخلاقي وقيمي، لما كانوا متفرجين على مأساة إخوتنا وأحبائنا في الجنوب منذ عام أربعة وتسعين وإلى الآن! هل أنهم كانوا نائمين فأفاقوا من رقدتهم، وانتبهوا إلى واقعٍ بئيس، فتحركت فيهم الحمية الأخلاقية، ودفعهم الضمير الإنساني أن يتعاطوا مع المسألة؟! لا، هم يتآمرون على الجنوب، هم لا يحبون لا الشماليين، ولا الجنوبيين، ولا أي يمني، هم يريدون لليمني أن يبقى تحت أحذيتهم، وألَّا يرفع رأسه عزيزاً مستقلاً بقراره في أمر نفسه، وتدبير واقعه.

اليوم هم يتآمرون على الجنوب بمثل ما يتآمرون على الشمال، بمثل ما يتآمرون على كل مواطن يمني، وهذا أمر مؤسف! يتطلب وعياً عالياً من الجميع، وتعاطياً بمسؤوليةٍ من الجميع، من كل القوى، ومن كل المكونات؛ **حتى** نتعاطى بمسؤولية أمام الله، وأمام التاريخ، وأمام شعبنا، وأمام مستقبلنا.

إنني أؤكِّد أننا نمد أيدينا لإخوتنا الجنوبيين لنكون إلى جانبهم، ونقف معهم بالعدل وللعدل لحلِّ القضية الجنوبية، التي هي قضية أساسية ورئيسية في البلد لا يمكن تجاهلها، ولا تجاوزها، ولا تمييعها، والمتآمرون عليها كُثُر، حتى من داخل الجنوب هناك من تآمر على القضية الجنوبية في الجنوب وفي الشمال، والآن هناك من يتآمر حتى من خارج البلاد.

وإنني أوجه دعوةً أخويةً ناصحةً صادقةً إلى الإخوة من القادة الجنوبيين المتواجدين في الخارج: حبَّذا لو أتيتم إلى بلدكم إلى صنعاء معززين، مكرمين، شامخين؛ **لمعالجة** هذه القضية، ومناقشة هذه المشكلة، والوصول إلى الحل العادل في الإطار الداخلي، وليس في الإطار الخارجي.

أنا أعتقد اليوم أنَّ الظروف مهيأة وأحسن من أي وقتٍ مضى لحلِّ المشكلة الجنوبية حلاً عادلاً؛ لأننا مستعدون كثورةٍ شعبيةٍ أن نقف بكل ثقلنا مع إخوتنا في الجنوب، بكل إمكاناتنا، بكل رصيدنا الشعبي كثورةٍ شعبية لحلِّ مشكلتهم ومعاناتهم ومظلوميتهم.

وإنني أؤكد لهم من جديد أن لا يثقوا بالخارج تجاه القضية ابداً، الخارج لن يتعاطى ابداً على أساس مصلحتهم كجنوبيين، التعاطي الخارجي هو تعاطٍ تآمري، هو يستهدف الجنوب، ويستهدف فقط الاستغلال القذر بعد طول تعامٍ

وتجاهلٍ وتآمرٍ على القضية الجنوبية، هو يريد أن يستثمر القضية فحسب.

ولذلك نحن معنيون في هذه المرحلة كشعبٍ يمني، وكقوى، وكمكونات، أن نبادر بدون تأخير إلى تنفيذ اتفاق السلم والشراكة، وأن نبدأ جميعاً مع إخوتنا الجنوبيين خطوات متسارعة وجادة في معالجة وحل المشكلة الجنوبية حلاً عادلاً، وأنا أقول وأتمنى أن يكون هذا- أيضاً- **هو ما يؤمن به الجميع:** أنَّ العدل هو الذي ينبغي أن يكون هو الأساس في حلِّ أي قضية، وأي مشكلة؛ **ما فوق** العدل هو ظلم، وما دون العدل هو ظلم، وينبغي أن نرضى جميعاً بأن يكون العدل هو الأساس الذي نُعَوِّل عليه.

المستوى الأمني.. لماذا غض الطرف؟

على المستوى الأمني نجد أنَّ هناك خلل أولاً في الإرادة السياسية، ليس هناك إرادة سياسية جادة في التعاطي مع الاختلالات الأمنية، هناك غضٌ للطرف، هناك تسهيلات لتنفيذ الجرائم، تصوروا أنه كان هناك خبر لدى الأجهزة الأمنية، ومعلومة واضحة لديهم أنَّ هناك مخطط لعملية تفجير، ومع ذلك تغاضوا، وسكتوا، وتجاهلوا، وتركوا الوضع الأمني مفلوتاً، وتعاطوا بلا مسؤولية. هناك مشكلة في الإرادة السياسية في البلد للتعاطي الجاد مع الاختلالات الأمنية، ومع الأخطار التي تستهدف في المقدِّمة الجيش، وتستهدف الأمن، وتستهدف كذلك منشآت الدولة، هناك غض للطرف، وتساهل مقصود، ونحن لا نقبل بأن يستمر هذا التساهل، وهذا التعاطي اللامسؤول؛ **لأنه** يُضِر بالبلد، ويضر بالدولة، ويؤثِّر على حاضر ومستقبل البلد، وواجبنا كقوى سياسية، ومكونات، وثورة شعبية، أن نضغط لمعالجة هذه المشكلة؛ **حتى** تنشأ إرادة سياسية جادة للوقوف ضد الاختلالات الأمنية والأخطار على المستوى الأمني، **وأن نتعاون في هذا**

السبيل جميعاً: حكومةً، وشعباً، دولةً... الجميع معنيون بهذا؛ **لأنه** يستهدفهم.

أيضاً على المستوى الأمني نفسه هناك اختلالات أمنية- أيضاً- تساعد عليها حالة الاختراق الكبير للمؤسسة الأمنية والعسكرية، حالة اختراق مؤكد في مفاصل مهمة في المؤسسة العسكرية والمؤسسة الأمنية، ونحن نأمل أن تجري عملية تطهير وتصحيح للمؤسسة العسكرية والأمنية؛ **حتى** لا تبقى مخترقة من قبل تلك الفئات الإجرامية، التي تعمل لمصلحة الخارج، وتسعى إلى تدمير وضع البلد.

والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين وأَشهَدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللَّهُم برِضَاك عن أَصْحَابِهِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصار، وعن سائرِ عِبَادِك الصالحين.

أيها الإخوةُ الأعزاء، شعبَنا اليَمَني المسلم العزيز، الإخوة المؤمنون والمؤمنات في كافة أنحاء الأرض:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

يحتفل شعبُنا اليَمَني العزيز في كثيرٍ من المناطق، ويحتفل المؤمنون في كثيرٍ من أرجاء الأرض في هذا اليوم المبارك، في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة من هذا العام ومن كُلِّ عام، بمناسبةٍ إسْلَاميةٍ دينيةٍ عزيزةٍ ومهمة، هذا اليوم العظيم هو يومٌ وصفه- الله سبحانه- وتحدث بشأنه عن أنَّه كان يوماً تاريخيًا عظيمًا، قال عنه- جلَّ شأنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: من الآية ٣]، يذكر المفسِّرون وأصبح من الثابت تاريخيًا وفي السير أنَّ هذه الآية المباركة، أنَّ هذا النصَّ القرآني العظيم نزل في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، فهو إذاً يومٌ عظيم، يومٌ أكمل اللهُ فيه الدين، وأتم فيه النعمةَ، ويومٌ أتمَّ فيه تعاليمه المهمة التي تضمن سعادة البشرية، وصلاح حياتها، واستقامة أمرها إن هي تمسكت بها.

شعبُنا اليَمَني العزيز بحُكم إيمانه، بحُكم هُويته، بحكم مبادئه وقيمه وروابطه الإسْلَامية عبر التاريخ؛ **يهتمُّ** بهذه المناسبة وتوارثُها عبر الأجيال، كما يهتمُّ بالمناسبات الدينية الأُخْرَى وعلى رأسها ذكرى المولد النبوي الشريف، غير غريبٍ على شعبنا اليَمَني أن يهتمَّ بهكذا مناسبات، وأن يتفاعلَ معها بكلِّ محبة وبكلِّ إعزاز وبكل اهتمام، هذا هو شأنُ المؤمنين، هكذا هم المؤمنون عادةً في الاهتمام بمبادئ الدين، لمناسبات الدين، القيمة المهمة في النفوس، في المشاعر، في الوجدان لكل ما له صلة بإيمانهم، بدينهم، بقيمهم، بمبادئهم، وهذا هو واقع شعبنا اليَمَني العزيز، يمن الإيمان، وهل نتوقعُ من يمن الإيمان ممن قال عنهم النبيُّ فيما روى عنه ﷺ: ((**الإيمان يمان، والحكمة يمانية**))، إلَّا أن نراهم في طليعةً الأُمَّة في كُلِّ ما يعبِّرُ عن الإيمان، وفي كُلِّ ما يرتبطُ بالإيمان، وفي كُلِّ ما له صلةٌ بالإيمان، ومن ذلك هذه المناسبة بمضمونها وحدثها التاريخي الكبير الذي سنتحدَّثُ عنه.

يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة شَهِدَ حدثاً تاريخيًا إسْلَاميًا عظيمًا ومهماً وأساسياً، ذلك، كان أثناءَ عودة النبي ﷺ من حجة الوداع، وحجة الوداع هي كما أسماها، النبيُّ ﷺ ودَّعَ فيها أمته، **وقال في خطبته الشهيرة وهو في الحج يخاطب أمته: ((ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا))**، كما قال- أَيْضاً- في خطبته في مناسبة الغدير التي سنتحدث عنها، **قال كذلك: ((إني**

أوشك أن أدعى فأجيب))، فالنبيُّ ﷺ كان يعيشُ في أدائه الرسالي، في حركته في الأُمَّة، في خطاباته واهتماماته وتوجُّهاته يعيشُ في وجدانه الاستعداد للرحيل من هذه الحياة، وهو فيما يقدِّم للأمة، وفيما يوجِّه به الأُمَّة، وفيما يتخاطبُ به مع الأُمَّة، هو في المراحل النهائية لتمام الرسالة الإلهية في تبليغه ﷺ ونشاطه التبليغي في أوساط الأُمَّة، وكان يحسس الأُمَّة بهذا، **حينما يقولُ: ((ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا))، حين يقول: ((إني أوشك أن أُدعى فأُجيب))**: فأجيب اللهُ وأرحل إلى جواره، ويستضيفني إلى رحمته، **ويحسسُ الأُمَّة:** أنما سأقدِّمُهُ لكم وما أقولُه لكم هو في غاية الأَهميَّة لما بعد رحيلي من هذه الحياة، لما بعد ارتقائي وعروجي إلى رحمة الله ﷻ، أي أنَّ ما كان يقدِّمه في المرحلة الأخيرة والمحطة الأخيرة من محطاته الرسالية هو مهمٌّ **جدًّا** لما بعد ولمستقبل الأُمَّة.

النص القرآني الساخن.. الأبعاد والدلالات

ولذلك الرسول ﷺ وَأثناء عودته من مكة من الحج، وفي طريقه إلى المدينة، وفي منطقة بالقُرب من الجُحفة، في منطقة في وادي غدير خم، في تلك المنطقة نزل عليه قولُ الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: من الآية ٦٧]، نصٌّ مهمٌ **جدًّا** وساخن، يدلل على أمرٍ في غاية الأَهميَّة، لحيوية الرسالة بكلها، للحفاظ على الرسالة في مستقبلها، لإعطائها الواقع والدافع العملي والفعَّال في الحياة، لاستمراريتها بالشكل الصحيح والنقي. الآية المباركة لا تعني- بأي حالٍ من الأحوال- أنَّ النبي ﷺ كان يتردد في التبليغ. نهائياً، هو لا يخشى في الله لومة لائم، وهو معروف ﷺ بتفانيه في سبيل الله، وهو- أساساً- قد تجاوز مراحل صعبة **جدًّا** في تبليغ الرسالة، **تناول أهم القضايا الحسَّاسة جدًّا:** بلَّغ التوحيد، وواجه حالة الشرك التي كانت ثقافةً باطلةً مترسِّخة يتعصب لها المجتمع على

أشد حال من العصبية، **وبلَّغ أمور الإسْلَام- جملةً وتفصيلاً- في كُلِّ الاتجاهات:** الجوانب العقائدية، الجوانب العملية، كذلك الموقف الإسْلَامي، الموقف القرآني من كُلِّ حالات الانْحرَاف السائدة في واقع الحياة في الأرض، الموقف من الانْحرَافات السائدة في أوساط الوثنيين، الانْحرَافات المنتشرة في أوساط اليهود، في أوساط النصارى، في أوساط... كُلِّ حالات الانْحرَاف في الأرض، وقدَّم مشروعه الرسالي مشروع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دين الله الحق الذي يمثِّل الصراط المستقيم، والتصحيح الفعلي والحقيقي السويّ لواقع البشرية، والذي يعالج كُلَّ اشكالات البشر.

أَيْضاً على مستوى الصراع، الآية هذه في آخر حياته، ما قبل وفاته قد تكون بأقل من ثلاثة أشهر، ما قبل وفاته قد تكون بأقل من ثلاثة أشهر، في شهر ذي الحجة أواخر السنة العاشرة للهجرة، وهو توفي- على اختلاف الروايات- **في السنة الحادية عشرة:** إما في صفر، أَو في أول ربيع، على حسب اختلاف الروايات. على كُلٍّ في آخر حياته يأتي هذا النص، تُرَى ما هو هذا الذي له كُلُّ هذه الأَهميَّة، وأهميته مرتبطة بحيوية الرسالة بكلها، بمستقبل الرسالة بكلها، بفاعلية الرسالة في أثرها في الناس وأثرها بالحياة؛ **لأن قوله:** ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: أنَّ هناك مسألة مهمة، بلاغُها وتمسُّكُ الأُمَّة بها؛ **يعطي** حيوية لكل رسالة الله، يعطي نجاحاً للمشروع الإلهي بكله؛ **عدم** تبليغها أَو تبليغها وعدم تفاعل الأُمَّة معها؛ **له مردود** سلبي يعود عكسياً في إضعاف الدور الديني، الأثرِ النافع والمفيد لرسالة الله في واقع الحياة، الفاعليةِ لبقية تعاليم الإسْلَام.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **أمرٌ كهذا له هذه الأَهميَّة،** عليه هذا التأكيد، وأحيط بضمانة إلهية؛ **لتمكينه** من تبليغ هذا الأمر في وسطٍ بات وسطٌ إسْلَاميٌّ، الشرك امحى- آنذاك- من الجزيرة العربية بكلها، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، كضمانة لتمكينه من التبليغ، وإقامة الحُجَّة لله على عباده.

التحضيرات للبلاغ المهم

النبيُّ ﷺ **توقف على الفور**، وعمل على إعادة مَنْ قد تقدَّموا من الجموع الغفيرة التي كانت معه في رحلته إلى الحج، واستقر حتى تلاحَقَ المتأخرون، واجتمع الكل في منطقة غدير خُم. في خُمٍّ؛ رُصَّت أقتاب الإبل، وكان الوقت في الظهيرة أثناء الحرارة الشديدة، وفي جوٍ مشمسٍ وواضح، وَجَمَعَ الجميع، واستقروا في ذلك الجو، في كُلِّ ما يوحي بأَهميَّة الموقف، وأَهميَّة ما سيقدّم للأمة، أنه أمرٌ استثنائيٌ فاصلٌ ومهم، وليس مجرد أمرٍ عاديٍ وبسيط نهائياً، تحت حرارة الشمس في الصحراء، في مكان مكشوف لا ظلالَ فيه إلا خمس شجرات دوحات قمَّ ما تحتهن، ورصت أقتاب الإبل ليصعدَ من عليها الرسول ﷺ، وهناك تقدَّم النبي ﷺ والجموع الغفيرة كلها تنظر إليه، تُرى ما هو هذا الذي قد نزل؟ ما هو هذا الأمر المهم الذي اقتضى سرعة الإبلاغ على هذا النحو، وإعطاء عملية الإبلاغ جواً يوحي بالأَهميَّة القصوى لما سيقدم؟ الكل انصتوا، والكل سكتوا وجلسوا في تلك الحرارة الشديدة، والكل ينظر باتجاه الرسول ﷺ الذي صعد على أقتاب الإبل؛ **ليراه** الجميعُ بوضوح، وأصعد معه علي بن أبي طالب عليه السلام فوق أقتاب الإبل، وتحدَّث بخطبته الشهيرة التاريخية المهمة **جدًّا**، وهي كذلك خطبة الوداع ، في واقع الأمر، **وهو قال فيها: ((إني أوشك أن أدعى فأجيب))**، **يعني:** سنة الله معي هي سنته مع الأنبياء من قبلي، الكل رحلوا من هذه الحياة، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: الآية٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: من الآية ٣٤]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٤]، سنَّةُ الله معه سنته مع من قبله من الأنبياء، إلَّا أنَّ هناك فارق كبير **جدًّا** في مسألة حسَّاسة للغاية، الأنبياء الآخرون السابقون

ما قبله كان يعقبُهم في مراحل وفترات أنبياء، يذهب نبي، بعد فترة يأتي نبيٌ آخر أَو رسولٌ آخر... وهكذا، أمَّا النبي محمدٌ ﷺ فهو خاتم النبيين، ولا نبي بعده، وأمَّته آخر الأُمَم، والبشرية من بعده ستعيش الحقبة الأخيرة على الأرض، والمرحلة الأخيرة للبشر على الأرض، والقيامة والساعة اقتربت؛ **ولذلك** فليس هناك اعتبار أنَّ نبياً آخر سيأتي، أَو أنَّ هناك كتاباً غير القرآن سينزل في مرحلة من المراحل... أَو أي شيءٍ آخر. لا، الرسول ﷺ هو خاتم الرسول والأنبياء، والقرآن الكريم خاتم الكتب الإلهية والمهيمن عليها، ولكن هل سيَترك النبي ﷺ ما بعده فراغاً تاماً، خصوصاً والتاريخ البشري في مراحله الأخيرة لربما من أهم مراحل التاريخ، ولربما هو خلاصة عن كُلِّ مراحل التاريخ بكل ما فيه من تطوُّرات مهمة، ومتغيرات كبيرة، وواقع جديد، وأمور مهمة **جدًّا**، وتطور كبير في واقع البشرية، وأحداث ساخنة، ومتغيرات كثيرة... إلى آخره.

نص البلاغ ثابت مقطوع بصحته لدى الأمة

الرسولُ ﷺ قَدَّمَ في خطابه في ساحة الغدير مسألتين مهمتين، قال: ((وإني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابداً))، يعني: أنا حينما ألحق بجوار الله لن أترككم عبثاً، لن أترككم مهمَلين، لن أترككم بدون دليل ومعالم على الحق والهدى. لا، أنا تاركٌ في أوساطكم ضمانة لأن تستمروا في طريق الهدى، وفي طريق الحق، وألا تتيه بكم وتتفرق بكم السبل المعوجة، وألا تتيهوا وتضلوا وتضيعوا، ((**كتاب الله**- وحَثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، وسمَّاه الثقل الأكبر- **وعترتي أهل بيتي، إنَّ اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**))، واستمر في خطابه وأكَّد عليهم الإقرار له بتبليغ الرسالة، وبكمال التبليغ، وبإقامة الحُجَّة عليه، ثم أعلن إعلانًا مهمًا **جدًّا** تاريخيًا واستثنائيًا، وقال فيه وقد انصت الجميع، والكل

مركِّز، الجو كله يساعد حتى على عملية التركيز، **وإعطاء المسألة أهميَّة: ((أيها الناس أو يا أيها الناس إنَّ اللهَ مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمَن كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه))**، أخذ بيد علي عليه السلام ورفع يده أمام الجميع؛ **حتى** يسمع الجميع ويشاهدوا، وفي الأخبار والروايات أنه رفع يده ويد علي عليه السلام حتى بان بياض إبطيهما، **((فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهم والِ من ولاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله))**، كان هذا من أهم النصوص، والنص الرئيسي والموضوع الرئيسي الذي هو فحوى ومضمون البلاغ الذي أكَّدت عليه الآية القرآنية المباركة: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

ثم نأتي إلى هذا النص الذي كان في هذه المناسبة العزيزة والمهمة، والذي كان له أَهميَّة كبيرة **جدًّا** بحكم الأَهميَّة التي أعطته الآية، **ودلَّت عليه الآية المباركة:** ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وهنا من المهم **جدًّا** أن ندرك وأن نعي جيدًا وبعيداً عن الجو المذهبي، والحساسيات المذهبية، والعصبيات المذهبية، أن نأتي إلى الموضوع بكل شفافية وبكل موضوعية من خلال ما أعلنه الرسول، وخصوصاً أنَّ هذا النص متفقٌ عليه، ثابتٌ بين الأُمَّة، لا خلاف بين الأُمَّة في ثبوت مسألة الغدير، ونص الغدير، ورواية الغدير، **مع مستوى معيَّن مثلاً فيما يتعلق بالنص: ((فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه))**، مسألة فيما يتعلق بالأمة ثابتة **جدًّا جدًّا جدًّا** لا جدال فيها؛ **إن كان** هناك جدال في الدلالات أَو الاعتبارات الأُخْرَى هي مسألة أُخْرَى، **يعني:** مسألة ثانوية، لكن النصّ كما هو، **الجو كما هو:** من الثابت المقطوع به، المتواتِر- كما في مصطلح أهلِ الحديث والعلماء- المتواتر بين الأُمَّة، فهو متواتِر بين الأُمَّة، متلقى بالقبول بين الأُمَّة، مقطوعٌ به بين الأُمَّة، وثابتٌ بلا شك ولا مِرية.

إنما نأتي إلى الموضوع- أيضاً- من بوابته القرآنية، هناك إلى جانب النص النبوي، إلى جانب البلاغ الذي بلَّغه الرسول عن ربه بأمر ربه، هناك- أيضاً- نصٌ قرآني يتطابق كُلَّ التطابق مع هذا الاعلان، هو قول الله ﷻ- وأيضاً- في سورة هي آخر السور القرآنية نزولاً، وفي المرحلة الأخيرة من نزول القرآن، ومن حياة النبي ﷺ: سورة المائدة، ورد قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥- ٥٦]، نجد هنا أَيْضاً الكلامَ نفسَه، والبلاغ النبوي عن الله ﷻ والنص القرآني كلاهما قدَّم عنوان الولاية: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾، والمسألة مسألة مهمة **جدًّا**، لربما البعض في الوسط الإسْلَامي أثَّرت عليهم العصبيات المذهبية التي هي داءٌ فظيع، بلاءٌ أصاب الأُمَّة بشكلٍ رهيب، وعمى، هي تُعمي الأعين، وتصم الآذان عن إدراك الحق، وعن فهم الحق، هي تصنع في كثير من الأحيان الحواجز حتى أمام الواضحات والبديهيات.

مبدأ الولاية.. معراج للنصر وخلاص من القهر

النص القرآني مع البلاغ النبوي عن الله ﷻ قدَّم مفهوماً وعنواناً اسمه: (الولاية)، ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، **((إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين))**، النص القرآني كُلُّ مسلمٍ يقرأ القرآن هو يقرأه: ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، هذا النص المهم الذي ترتب عليه في النص الآخر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، ترى مع الأَهميَّة أنَّ هناك جاذبية إلى مدلول ومضمون هذا النص، الأُمَّة فيما تعانيه من تحديات وأخطار، الأُمَّة اليوم التي هي مغلوبة ومقهورة، وتعاني من إذلال أعدائها لها، وهيمنتهم عليها، وتغلبهم عليها، قدِّم لها في هذا النص مسارٌ محدّدٌ من الله، لا هو قول

إمام مذهب، ولا قول فقيه أَو عالم، ولا قول منظِّرٍ أَو مفكر، ولا قولٌ اجتهادي، نصٌ صريح، نصٌ صريح: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، يُفترَضُ بنصٍ كهذا في هذه الأَهميَّة لأُمَّةٍ مقهورةٍ معانيةٍ مستضعفة تكالبت عليها **الأُمَم الأُخْرَى:** الأمريكان وَالصهاينة والإسْرَائِيْليون... وَغيرهم، كُلَّ أولئك الذين تكالبوا على الأُمَّة فأذلوها، وقهروها، وتحكّموا بها، وتدخلوا في كُلِّ شؤونها، وفرضوا عليها إرادتهم وتوجُّهاتهم وسياساتهم وما يريدونه، أمة كهذه يُفترَضُ أن تكونَ متطلعةً إلى النصر، إلى العزة، إلى الغَلَبَة؛ **لتكونَ** أمةً غالبة متحررة، نص مهم بكل ما للكلمة من معنى مهم، وفي نفس الوقت جذاب.

الإنْسَأن المستضعفُ المعاني المقهور يتطلع إلى كيف يتحرر، كيف ينتصر، كيف يغلب، كيف يعتز، نص جذاب، ولكن تلحظ مع كُلِّ هذا هناك من الكثير في الوسط الإسْلَامي جفاء تجاه هذا النص، تجاه هذا المبدأ، تجاه هذا الموضوع، جفاء ووحشة، يستوحشون ويتهربون من الجو بكله، من العبارة بكلها من العنوان بكله، أصبح عنوان الولاية- نتيجة للحساسيات المذهبية- عنواناً يفر منه الكثير، يستوحش منه الكثير، يا جماعه، **الله هو الذي قال:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم عندما تأتي إلى هذا النص ليس فيه ما يوحش، ليس فيه ما يدعو للتهرب، ليس فيه ما يقلق، ليس فيه ما يُنَفِّر، لكن داء العصبية أخطر داء بُلِيَت به الأُمَم.

﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، **هل هذه مشكلة؟** أنتم يا أيها الذين أنتم مؤمنون مسلمون تنتمون إلى الدين الإسْلَامي، تعتبرون القرآن كتابَ الله كتابكم، وتعتبرونه حجةً عليكم؛ ونهجكم، تعتبرون رسول الله محمداً ﷺ نبيكم، تعتبرون أنفسَكم ملزمين بما جاء به، برسالته، ومعتزين ومفتخرين بذلك، بحكم هذا الانتماء،

بحكم هذا التدين، بحكم هذه الهوية، **الله وليكم:** وليكم الذي يتولى شؤونكم، يتولى رعايتكم، يتولى هدايتكم. هل تنفتح الأُمَّة على أن تتأمل ما معنى ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ **حتى تأتيَ إلى الخطوة المهمة جدًّا:** التفاعل العملي مع مبدأ الولاية، التي يترتب عليه تغيير واقع الأُمَّة بكله، من أمة مغلوبة إلى غالبة، من أمة مقهورة إلى قاهرة، من أمة تنتصر على أعدائها ويتغير واقعها نحو الأفضل بشكلٍ جذري، ما هناك انفتاح على المسألة. الوحشة نتيجة العصبيات المذهبية صنعت حاجزاً كبيراً دون الالتفات إلى هذا المفهوم، وإلَّا لو هناك التفات إليه لكان له تأثيرٌ كبيرٌ في واقع الأُمَّة؛ **لأن الله هو الذي قال:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، ولاية الله ﷻ هي ولاية الإله، ولاية الله الذي نعبده، ولاية الألوهية كإله لنا، ولاية الربوبية كرب لنا نؤمن به، نعبده، نخضع له، نطيعه، نثق به، نتوكل عليه، نذعن لأمره، نعتمد عليه، نستهديه، ولاية هداية، هو الهادي الذي يهدينا، يأمرنا، يوجّهنا، يبصّرنا، يعلّمنا، يقدم لنا ويرسم لنا معالم الصراط المستقيم وطريق الفوز والنجاح والفلاح والعزة والخير، يدلنا على كُلِّ الخير، على المصلحة، على الخلاص، على الحلول لمشاكل حياتنا، يرعانا في كُلِّ شأننا، ينصرنا في مواجهة أعدائنا، فولاية الله ولاية الألوهية، ولاية الربوبية، ولاية الهداية، ولاية المعونة... وهكذا ولايةٌ شاملة، ولاية الرب على المربوبين، ولاية الإله على العبيد العابدين له الراجعين إليه، وهي ولاية الملك، هو ملك الناس، رب الناس وملك الناس وإله الناس، **ولاية الملك الذي له الحق في التصرف في مملكته في عباده:** يأمر، ينهى، يشرِّع، يقنن، يفرض، يحلل، يحرم؛ **لأن** هذا العالم بكله مملكته، الناس والعباد مخلوقاته، والرب ليس فضولياً يريد أن يفرض نفسه على الجميع، وأن يتدخل في شؤونهم، الجميع عباده وعبيده ومملوكاته ومخلوقاته، والجميع مربوين له، هو الرب،

والإله، والملك، والمالك، والخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والمبدع، والمعيد... إلى غير ذلك، وهذا هو جوهر الإسْلَام، جوهر رسالة الله ﷻ إلى العباد.

ولاية الله رحمة للبشرية

وولاية الله هي ولاية رحمة، هو يرحم عباده، يتولاهم برعايته، وحتى توجيهاته، حتى تعليماته من منطلق رحمته بهم، فيما فيه الخير لهم، يريد لهم العزة، يمنحهم حتى من عزته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، يمنحهم الحكمة، يريد لهم الكرامة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: من الآية٧٠]، يريد لهم الخير، يريد لهم أن يكونوا أحراراً، وكل الأنبياء الذين أرسلهم كان من مهامهم الرئيسية تحرير الناس من العبودية للطواغيت؛ **لأن** الإنْسَان بين **حالة من حالتين: إما** أن يكون عبداً لله، **أو** عبداً للطواغيت.

ثم ولاية الله ﷻ التي فيها كُلّ هذا الارتباط الشامل: ترتبط بربك الله من كُلِّ واقع حياتك، في كُلّ شأنك، في كُلّ أمرك، في كُلّ واقعك، في كُلّ ظروفك، في مسير حياتك بكلها.

ولاية الرسول امتداد لولاية الله

تأتي ولاية الرسول امتدادًا لولاية الله، ولهذا لم يقل مثلاً: [إنما وليكم الله ووليكم رسوله ووليكم الذين آمنوا] لا، عبارة واحدة ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، والرسول ﷺ ولايته- من موقعه في الرسالة كرسول- ولي في رسالته، يبلغ رسالة الله، يربينا، يعلمنا، يهذبنا، يزكينا، يقيم علينا حجة الله ﷻ، له علينا حق الأمر والنهي؛ **لأنه** لا يأمر إلَّا بأمر الله، ولا ينهى إلَّا بنهي الله، وله علينا أن نعظِّمه، أن ندرك فيه عظمة الرسالة، عظمة قيم الرسالة، عظمة مبادئ الرسالة التي جسدها في واقعه وفي حياته، وكان عظيماً بها،

وعظيماً بمكانته عند الله ﷻ، نُجِلُّه، نحبه، وشيءٌ طبيعي أن تحب رسول الله ﷺ، أن تحب كُلَّ تلك القيم التي كانت متجسدةً فيه ومتمثلة به وفيه وفي حياته على أسمى ما يكون في واقع بشر.

الرسول ﷺ وليٌّ طاعته من طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: من الآية٨٠]، **لنا هذا الارتباط به:** معلماً، قائداً، هادياً، آمراً، موجِّهاً، مربياً، مزكياً، أسوةً، قدوةً، وأن يتحقق هذا الارتباط حقيقةً.

ولاية الإمام علي امتداد لولاية الرسول

ثم يأتي امتداداً لولاية الرسول ﷺ لأن منهج الله ممتد لا ينقطع فيتوقف عند الرسول ﷺ وانتهت مهمة الرسالة، مهمة الدين، مهمة التعليمات الإلهية، وأعلن نهايتها، ليست من المنتجات التي لها تاريخ انتهاء بعد عام أو عامين (فول، أَو بازاليا... أَو ما شاكل). لا، هذه رسالة ممتدة إلى قيام الساعة.

﴿وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، واتفق المفسِّرون أنَّ المقصود بهذه الأوصاف، والمقدَّم بهذه **المؤهلات الإلهية:** هو الإمام عليٌّ عليه السلام في حادثة إعطائه وتصدقه بالخاتم في ركوعه، التي كان لها دلالة مهمة ومعبِّرة **جدًّا**.

على كُلٍ، الخطاب للمؤمنين، وأكيد أن هناك طرفاً آخر، المؤمنون مخاطبون بأن يتولوه، بأن يدركوا ولايته؛ **أنها** امتداد لولاية الرسول ﷺ، وإلَّا لو افترضنا أن المعني هؤلاء المؤمنون فمَن المُخاطب بتولي هؤلاء المؤمنين، ثم يأتي بعد ذلك ليقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، لماذا؟ التولي ليس مجرد انتماء مذهبي، ولا كلام يتكلم به الإنْسَان وانتهي

الأمر. لا، التولي ارتباط عملي، ارتباط سلوكي، التزام مبدئي وأخلاقي، هذا هو التولي، التولي سيرٌ في الطريق، التولي تحركٌ في الصراط المستقيم، التولي التزامٌ بالرسالة الإلهية في مضامينها، في مبادئها، في قيمها، في أخلاقها، هذا هو التولي، وهنا ندرك في هذا السياق- أيضاً- أنَّ الإمام علياً عليه السلام دوره مهمٌ في الأُمَّة؛ **لأن** مرحلة ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتأكيد لا يمكن- وهذا هو الذي حدث بعد كُلِّ الأنبياء- إلَّا أن تكون مرحلة حسَّاسة بكل ما تعنيه الكلمة، وهذا حدث بعد كُلِّ الأنبياء والرسل السابقين، عادةً مرحلة ما بعد النبي ما بعد الرسول تكون مرحلة حسَّاسة **جدًّا**، في كثير من تجارب البشرية بعد الكثير من الأنبياء والرسل كان يحصل فيها اختلافات، تباينات واضطراب، وتعدد في الاتجاهات، في المفاهيم، في النقل... في غير ذلك، الله هو يعلم أنَّ واقع هذه الأُمَّة بعد نبيها لن يكون مختلفاً عن سائر الأُمَم، هو حكى في سورة البقرة عندما قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ [البقرة: من الآية٢٥٣]، الأُمَم- عادةً- عندما يحدث فراغ كبير في واقعها، ليس فقط بعد الأنبياء، حتى بعد أي زعامة رئيسية مهمة **جدًّا** بنت أمةً يحصل في الأُمَم اختلافات، تباينات، اتجاهات متعددة متنوعة، ولكن للدين الإسْلَامي؛ للرسالة الإلهية خصوصية، ليست واقعاً عادياً وما هناك مشكلة، فلتختلف عليها الأُمَّة، فلتتباين فيها الأُمَّة، فلتتناقض فيها الأُمَّة، فلتضطرب فيها الأُمَّة، لا، فلتضِع جهود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي بذلها بشكلٍ كبير، فليفرَّغ هذا الدين من مضامينه الرئيسية، مبادئه القيِّمة، لا، هناك حساسية كبيرة، فكان لا بدَّ من أن يكون هناك امتداد للنهج الإلهي وإن لم يكن في موقع النبوة.

الإمام علي والمؤهلات البارزة المميزة

ولذلك قال الرسول ﷺ **كلمته الشهيرة المشهورة في الأُمَّة**، الثابتة بين أوساط الأُمَّة، المروية من جميع فرق الأُمَّة، قال عن علي عليه السلام: ((**عليٌّ مني بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبي بعدي**))، موقع هارون من موسى معروف، أي إنْسَان يَسْلَم من العصبية سيدرك أنه الموقع الأول بعد موسى، **يعني:** ليس هناك بين أصحاب موسى، بين جماعة موسى، بين أمة موسى، من له موقع هارون ابداً، استثنى النبي النبوة ((**إلَّا أنه لا نبي بعدي**))، لكن يمتد دوره كوزير، كوصي، كمعلم، كقائد، امتداداً أصيلاً نقياً مضموناً لرسالة الله سبحانه وتعالى للإسْلَام، لتعاليم الإسْلَام، حاملاً لهذه الرسالة قيماً، أخلاقاً، مبادئاً، سلوكاً ممارسةً، قيادةً، فكان الإمام علي عليه السلام، وله في واقعه المؤهلات البارزة والمميزة، لم يكن شخصية مغمورة، أَو مشكوكٌ في أهليتها لمثل هذا المقام، لمثل هذا الدور، لمثل هذه المهمة. لا، كان الإمام علي عليه السلام متميِّزاً بوضوح في كُلِّ واقعه الإيماني منذ بداية مسيرة الإسْلَام؛ **له** واقع يختلف عن كُلِّ الآخرين من المؤمنين برسول الله، من تلاميذ رسول الله، من أصحاب رسول الله، من أنصار رسول الله ﷺ، متميِّزاً في إيمانه، في وعيه، في علمه، في جهاده، متميِّزاً في كُلِّ واقعه، متميِّزاً بارتقائه البارز الواضح الملموس.

ثم حينما أتى النبي ﷺ ليتحدث عن الإمام علي عليه السلام لم تكن مجرد مدائح، أَو عبارات تشجيعية، أَو عبارات تحفيزية. لا، إنما ليعزز له دوراً مستقبلياً في الأُمَّة لاعتبارات مهمة في مستقبل الأُمَّة، وحساسة في مستقبل الأُمَّة، **فحينما كان الرسول يقول:** ((**عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ**))، ((**عليٌّ مع الحق، والحق مع عليٌّ**))، ((**إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**)) من هو؟ أنا؟ ذاك؟ أنا؟ **قال:** لا، هو ذاك **هو خاصف**

النعـل، كان الإمـام عـلي عليه السلام يخصـف نعـل رسـول اللـه صلى الله عليه وآله، عـلي بـن أبي طالـب، حينـما كان النبـي يتحـدث عنـه بهـذه **العبـارات المهمـة: ((بمنزلـة هـارون مـن مـوسى))، يقـول عنـه أنـه: ((يحـبُّ اللـهُ ورسـولهُ، ويحبـهُ اللـهُ ورسـولهُ))؛ ليعـزز** لـه هـذا الـدور المسـتقبلي في واقـع الأمَّـة، الأمَّـة حيـنـما تختلـف، تتنـوع اتجاهاتهـا، أفكارهـا، نظرتهـا إلى الديـن، تحـدث التباينـات، الاختلافـات، مَـنْ هـو الامتـداد المضمـون، الأوثـق، السـليم، الأعـلى، الأرقـى الأنقـى؟ هـو هـذا، تريـد الحـق، ((**عـليٌّ مـع الحـق، والحـق مـع عـليّ**))، تريـد الحـق في أوسـاط الأمَّـة حيـنـما اختلفـت، حيـنـما تباينـت، **حيـنـما تنوعـت أفكارهـا وتوجهاتهـا: ((عـليٌّ مـع الحـق، والحـق مـع عـليّ))**، حيـنـما تختلـف الأُمَّـة عـلى القـرآن في مفاهيمـه، في دلالاتـه، في تفسـيره، في مضمونـه العمـلي، مَـنْ؟ ((**عـليٌّ مـع القـرآن، والقـرآن مـع عـلي**))، حيـنـما تختلـف الأُمَّـة عـلى نبيهـا في توجهاتـه، في أفـكاره، في سـيرته، في سـلوكه، **مَـن يعبِّر عنـه: ((يـا عـليّ أنـت منـي، وأنـا منـك))، يقـول النبـي** صلى الله عليه وآله: **((عـليٌّ منِّـي، وأنـا منـه))، يعنـي:** هـو امتـدادي، هـو الـذي يعـبِّر عنـي، عـن أخلاقـي، عـن سـلوكي، عـن سـيرتي، إذا اختلفـت الأُمَّـة عنـي... وهكـذا ثبَّـت النبـي صلى الله عليه وآله ببـلاغ ربـه، بأمـر ربـه، ثبَّـت هـذه الرؤيـة، هـذا الـدور المسـتقبلي للإمـام عـلي عليه السلام رحمـةً بالأمـة.

الإمـام عـلي عليه السلام **في واقعـه**، في سـيرته شـخصية عظيمـة، مـا هنـاك أي تعـب، مـا هنـاك أي اشـكالية بشـأنه حتـى يـرى الإنْسَـان أنـه شـخصٌ مـا ينبغـي أن يُفـرض عـلى الأُمَّـة، مـا ينبغـي أن يُقـدَّمَ للأمـة. لا، عُـد إلى سـيرته، عُـد إلى مـا قدَّمـه، عُـد إلى ممارسـاته، إلى سياسـاته، إلى أخلاقـه، إلى تصرفاتـه، إلى أدائـه، حتـى في الظـروف والتحدّيـات والمشـاكل الكبـيرة كيـف تعاطـى معهـا بـكل حكمـة، كيـف راعـى فيهـا مصلحـة الأُمَّـة، كيـف كان يركّـز عـلى خـير الأُمَّـة، كيـف سـعى لمـا فيـه منفعـة الأُمَّة، كيـف عـانى بشـكلٍ رهيـبٍ **جـدًّا**، وفعـلاً، لـو نتخيـل أنَّ عليـاً لم يكـن لـه هـذا الـدور،

ولم يكن هناك هذا الدور من أساسه، كيف ستعصفُ بالأمة الأحداث تلك، الأحداث الكبيرة **جدًّا**، لكانت أثَّرت بشكلٍ رهيبٍ **جدًّا** على رسالة الله ﷻ.

بقدر تفاعل الأمة مع مبدأ الولاية تجني الثمرة

على العموم تبقى المسؤولية على الأُمَّة بقدر ما هي تتفاعَلُ، بقدر ما هي تتحرك، بقدر ما هي تستجيب في واقعها العملي مع مبدأ الولاية تتولى الله ورسوله والذين آمنوا كما قال الله؛ **بقدر** ما ستكسب، تنتفع، تحصل على النتيجة التي أكَّد عليها القرآن كنتيجة حتمية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، فالتولي هذا هو سيرٌ في خط الإسْلَام، سيرٌ والتزام صحيح في المبادئ، في القيم، في الأخلاق، في التعاليم، وعليٌّ عليه السلام حينما تعود إلى سيرته يؤمِّن لك الارتباط بالنبي، الارتباط بالقرآن، الامتداد السليم والنقي والمريح والقدوة العظيمة **جدًّا**.

على العموم لا يسعنا الكلام بالشكل الكافي، إلَّا أننا نقول: أنَّ شعبنا اليَمَني- في كثيرٍ من المناطق- دأب على مدى التاريخ على الاحتفال بهذه المناسبة؛ **تخليداً** للبلاغ الذي بلَّغه الرسول صلى الله عليه وآله، واستجابة، وتفاعلاً عملياً، إعلاناً للتفاعل معه، والاستجابة له، وفي نفس الوقت شهادةً للنبي بالبلاغ؛ **لأنه ركّز على أن يقول: (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد)، نحن نقول:** بلغت يا رسول الله، بلغت ونحن نشهد لك بالبلاغ التام، إيمانٌ بكامل الدين، بتمام النعمة، هو- أيضاً- مناسبة لترسيخ مبدأ الولاية الذي نطق به القرآن، وبلغه الرسول صلى الله عليه وآله، تفاعلاً مع المسألة التي قدِّمت بكل هذه الأهميَّة.

مبدأ الولاية اليوم هو يشكِّل ضمانة لحماية الأُمَّة من أكبر عملية اختراق تعاني منها الأُمَّة اليوم.

اليوم بقدر ما يتمكن أعداء الأُمَّة من إبعادها عن مبادئها، خصوصاً المبادئ المهمة، الضامنة، الحيوية في واقع الأُمَّة، التي تضمن للأمة الاستقلال، القوة. الشكليات يمكن أن تخترق، أن تحتوى، أن تفرَّغ من تأثيرها، الشكليات، لكن المبادئ المهمة والرئيسية والحيوية التي يتحقق بها استقلال الأُمَّة: قوة الأُمَّة، العدل في الأُمَّة، الخير في الأُمَّة... كُلّ المبادئ التي لها أَهميَّة في قيام الأُمَّة، وإقامة الدين بكله، هذه المبادئ تُستَهدف، القيم المهمة تُستهدف بشكل كبير **جدًّا**، اليوم نرى أنَّ هناك كثيراً من القيم الإيمانية والقيم الإسْلَامية غابت- إلى حد كبير- في أوساط الأُمَّة، وغيابها نتج عنه فراغ كبير، مساحة كبيرة يستطيع العدو أن يتحرك فيها، يستطيع الصهيوني اليهودي، يستطيع الأمريكي... يستطيع أي ضال أَو مفسد أَو طاغية في العالم أن يجد أمامه بيئة مفتوحة. الذي يحصِّن الأُمَّة، يبني الأُمَّة، يحافظ على كيان الأُمَّة كياناً متماسكاً، كياناً عظيماً، كياناً قوياً، هو تلك المنظومة من المبادئ والقيم والأخلاق، وفي مقدمتها وعلى رأسها المبادئ الحيوية المبادئ المهمة، فمبدأ الولاية هو ارتباط قيمي، ارتباط مبدئي، ارتباط أخلاقي، ارتباط منهجي، ارتباط عملي، التزام عملي، يمسك الأُمَّة من هذه البعثرة، من هذا التفكك، من هذا الضياع، من هذا الشتات.

تجريد الأمة من القيم وآثاره الكارثية

اليوم هناك فراغ كبير في واقع الأُمَّة، الملايين في الأُمَّة ذهنياتهم فارغة، من يأتي يحشوها بأي حشو يريد، يأتي الأمريكي يحشوها، يأتي الإسْرَائِيْلي يحشوها... يأتي من هب ودب، كُلٌّ يؤثر، كُلٌّ يشتغل في هذه الساحة، نحن طالما نتألم؛ **نعبِّر** عن أسفنا من هذا الواقع المرير في العالم الإسْلَامي، هذه الأُمَّة التي يفترض أنها أمة النور، أمة القرآن، أمة الهدى، التي يفترض أن لديها من النور ما يحصنها من كُلِّ الظلمات، من الحق ما يحميها من تأثير الباطل، من القيم والأخلاق

ما يجعل منها أمةً عظيمةً متميزةً بتلك الأخلاق، بتلك القيم على نحوٍ بارز ومؤثر وواقعي في الحياة، هي اليوم بيئة مستهدفة مفتوحة، وفيها فراغ كبير.

قيم كثيرة غابت؛ أفسحت مجالاً للأعداء، أتوا ليعزّزوا بدلاً منها أباطيلَهم، ليعززوا بدلاً منها سمومهم التي تدمِّر الأخلاق، تدمِّر القيم، تدمِّر حتى الفطرة الإنْسَانية، اليوم يتجه الأعداء بكل جهد إلى تفريغ الإنْسَان المسلم **من مضمونه:** مضمونه الإنْسَاني، مضمونه الأخلاقي، مضمونه القيمي، مضمونه المبدئي؛ **حتى** يصبح الإنْسَان مُفرَّغ، لم يعد لديه لا مبادئ تحكم توجهه، تمسكه في اتجاه ثابت، وصراط مستقيم، وسير واضح، ولا أخلاق تضبط تفاعلاته، توجهاته، مواقفه، ولا قيم، هم يسعون إلى تفريغ الإنْسَان المسلم من مضمونه حتى الإنْسَاني، حتى يفقد إنْسَانيته وفطرته الإنْسَانية، بعد أن يفرَّغَ من مضمونه المبدئي، القيمي، الأخلاقي، الإنْسَاني، الفكري، الثقافي، وبعد أن يحولوا بينه وبين النور ويجروه إلى مربّع الظلام؛ **حينها** يصبح فريسةً سهلة يصطادونه بكل بساطة، وفريسةً سهلة يستطيعون أن يوجهوه أينما شاءوا، أين ما أرادوا، أن يدفعوا به في أي موقف، أن يحرِّكوه تحت أي عنوان، يصبح بدلاً عن أن يكون إنسَانًا مستنيرًا، مبصرًا، واعيًا، ناضجًا، راشدًا، فاهمًا، واعيًا؛ **يصبح** إنْسَانًا ضالًا، تائهًا، جاهلًا، ويصبح إنسَانًا ساذجًا، قابلًا للتأثير، قابلًا للتضليل، قابلًا لأن يقودوه إلى حيث شاؤوا وأرادوا، وهم يريدون هكذا، هذا هو شغل الشيطان، هذا شغل أولياء الشيطان، هذا هو العمل الاستراتيجي والرئيسي الذي تركِّز عليه أمريكا، تُركِّز عليه إسْرَائيل؛ **لاحتواء** الأُمَّة، لاستعباد الناس، للهيمنة التامة عليهم، الهيمنة على النفوس، على العقول، على التفكير، على التوجه، على الموقف... على كُلِّ شيء، وهذه هي المسألة الخطيرة **جدًّا.**

فعملية التجريد من القيم، التجريد من الوعي، التجريد من الأخلاق، التجريد من المبادئ، تحول الإنْسَان إلى إنْسَان مفرَّغ جاهز، أشبه ما يكون بالإنْسَان الآلي الذي يتحكمون به بالريموت، ريموت معين- كذا وكذا- يوجهونه كما يشاؤون ويريدون، اليوم نشاهد أنَّ هناك اختلالاً كبيراً في واقع الأُمَّة والأمة تدفع ثمنه، لاحظوا، يكفي الأمريكي ويكفي الإسْرَائيْلي أن يأتي ليرسم خطةً معينة في داخل الأُمَّة تهدف إلى بعثرة الأُمَّة، إلى ضرب الأُمَّة، إلى قتل الأُمَّة، إلى امتهان الأُمَّة، إلى إذلال الأُمَّة، إلى تفكيك كيان الأُمَّة...الخ. إلى كُلِّ ما يضر بالأمة، يرسم خطة معينة، هذه الخطة يتولى تنفيذها، تمويلها، التحرك فيها، القيام بها، العمل بها مَنْ؟ هل الأمريكي يحتاج أن يدفع هو مئات المليارات؟ هل الأمريكي يحتاج هو أن ينفذ المسألة، الخطة بكل حذافيرها، وأن ينزل للميدان إلى كُلِّ قرية، إلى كُلِّ منطقة، إلى كُلِّ مدينة؟ لا، من داخل الأُمَّة أصبح له امتداد في عُمْقِ الأُمَّة، **هذا هو الاختراقُ:** امتداد في عمق الأُمَّة. اليوم هناك دول، حكومات، شعوب، بعضٌ من الشعوب وإلّا فمعظمُ الشعوب ضحية، بعضٌ منهم، لكن هناك كيانات كبرى في الأُمَّة، دول متمكنة، أنظمة قوية تسخِّر نفسها وكل ما تملك، وكل ما تملكه الأُمَّة، وكل طاقات الأُمَّة، وكل قدرات الأُمَّة لتنفيذ خطة أمريكية إسْرَائيْلية، لتفكيك الأُمَّة، لبعثرت الأُمَّة، لقتل أبناء الأُمَّة، لضرب قيم الأُمَّة وأخلاق الأُمَّة، لتمزيق الأُمَّة، لإنهاء أي تقارب بين الأُمَّة، والحيلولة دون توحدها نهائياً، وبكل تباهٍ يرى البعض نفسه أنه أصبح عظيماً بقدر ما أخلص للأمريكيين، وعبَّد نفسه لهم، وأذل نفسه لهم.

النظام السعودي ولعبته الشيطانية

اليوم نرى النظام السعودي، نرى قرنَ الشيطان من نَجد، نرى ذلك الأرعن، الجاهل، الظالم، المعتدي، الباغي، نراه كيف تحرك- في أوساط الأُمَّة على رأس هذا الدور، في مقدِّمة هذا الاختراق- عكازاً لأمريكا تتوكأ عليه في المنطقة، وتلعب لعبتها في المنطقة، النظام السعودي اليوم الذي يمارس الدور النفاقي، الذي يشتغل لصالحِ أعداء الإسْلَام، **الذي يلعب دوراً تخريبياً خطيراً في داخل الأُمَّة:** يفكك الأُمَّة، ينشر بينها العداوة والبغضاء، يدفع بهذا إلى قتال هذا، وهذا لقتل هذا... يلعب لعبته الشيطانية والإجْرَامية تحت سقف العبودية وخط العبودية لأمريكا، **وأنا أقول:** لو أنَّ هناك محطة أَو موقعاً تحت مستوى العبودية لأمريكا لكان فيه النظام السعودي، هو مقامه مع أمريكا، دوره مع أمريكا ليس دور الحليف ولا الشريك، إنه دور العبد الذي لا يعرف إلَّا كيف يُنفِّذ، تُقدَّم له التوجيهات، تُعطى له الأوامر ويُنفذ ويُنفذ؛ **لا بَصر** ولا بصرية، وبعمى، وبغرور، وبكبر، وبحقد، وبغباء رهيب **جدًّا**، ولكن من المهم أن نعرف أنَّ الدور الذي يمارسه النظام السعودي وكل المنافقين معه من الأُمَّة هو ناشئ عن اختلال قيمي، اختلال مبدئي، اختلال فكري، اختلال ثقافي، **يعني:** هم يتحركون من رؤية مغلوطة، **التيار الوهابي التكفيري بشقيه الانحلالي:** الذي نراه ونسمع به، **والمغالي:** الذي يُظهر التشدد الفظيع **جدًّا**، والغلو الرهيب في الدين، بشقيه هذين؛ **هو** يتحرك وفق رؤية مغلوطة **جدًّا** في واقع الأُمَّة، هو تعبير ونتاج لهذا الاختلال في واقع الأُمَّة، والذي يتفاعل معه، يتعاطى معه، ينجذب إليه، يتأثر به، يتحرك معه- كذلك هي كلها حالات تترجم هذا الاختلال- كُلّ إنْسَان لم يعد فيه شيمة، ضمير، قيمة، نخوة، أخوة، محبة، عزة، إنْسَانية، يتجاوب مع هذا الدور، **فيتحرك تحت**

أي عنـوان: إمـا عنوانـاً دينيـاً، وإلا عنوانـاً إجْرَاميـاً... أي عنـوان، المهـم يتحـرك ضمـن هـذا الـدور، والعنـوان يبقـى مجـرد عنـوان، لكـن الجوهـر. لا، دورٌ لصالح أمريـكا وإسْرَائيْـل ضـد الأُمَّـة، عمليـة تشـويه كبـير **جـدًّا** للإسْـلَام، حتـى أمـام المجتمعـات الغربيـة وأمـام المجتمـع الأمريـكي، أمـام الشـعب الأمريـكي، تشـويه رهيـب **جـدًّا**، النظـامُ السـعوديُّ والتيـارُ الوهـابي التكفـيري يقـدِّم هـذه الخدمـة لأمريـكا وإسْرَائيْـل، أفظـع صـورة عـن الإسْـلَام يقدِّمـون صـورة عـن الإسْـلَام قبيحـة للغايـة **جـدًّا**، أقبـح مـا يمكـن أن يفعلـوه يفعلونـه، هـذا شيءٌ مقصـود، ولكـن يقـدَّم بتغطيـة دينيـة، عبـارات دينيـة، عناويـن دينيـة... إلى غـير ذلـك؛ **لأن** المقصـود هـو أن يقدِّمـوا أقبـح، أفظـع، أبـأس، أسـوأ، أخـزى صـورة عـن الإسْـلَام والمسـلمين، وأن يتيهـوا بالأمـة بعيـداً عـما يبنيهـا، عـما يصلحهـا، عـما يعالـج وضعهـا، عـما يلملـم جراحهـا، عـما يغـيِّر واقعهـا نحـو الأفضـل، يتيهـون بهـا هنـاك إلى البعيـد، وأن يطوِّعوهـا لخدمـة أعدائهـا، هـذه أكـبر ويـلات عـلى الأُمَّـة، أكـبر ضيـاع للأمـة.

النظام السعودي وباء يضرب الهوية

والأحـداث اليـوم في المنطقـة، والسـلوك الـذي يمارسـه أولئـك المنافقـون بـدءًا مـن موقفهـم تجـاه القضيـة المركزيـة للأمـة (فلسـطين)، ثـم تجـاه الأحـداث، وصـولاً إلى الأحـداث في اليَمَـن، في سـوريا، في العـراق، في ليبيـا... في بقيـة المناطـق والبلـدان، هـذه الأحـداث ليسـت عابـرة، وهـذا الـدور السـلبي لهـم هـو دورٌ مخطـطٌ لـه.

ولذلـك نحـن نقـول: المسـألة في غايـة الأَهميَّـة، في غايـة الأَهميَّـة، ومـن المهـم **جـدًّا** لنـا كشـعوب أن نمتلـك الوعـي الـكافي واللازم تجـاه هـذه الأحـداث والوقائـع، وتجـاه أولئـك المجرمـين المنافقـين الذيـن ينفذونهـا، المسـألة ليسـت سـهلة ابـداً.

لاحظوا، كيف يحرصون على أن يصل داؤهم ووباؤهم هذا- وهم موبوئون، هذا وباء ثقافي، وباء أخلاقي، وباء قيمي... وباء على كُلِّ المستويات- إلى كُلِّ بلد، ثم ما يلبث ذلك البلد أن يعيش حالة الاضطراب، والمشاكل، والفتن، والكراهية، والبغضاء، وهذا كافر، وهذا مسلم، وهذا مدري ما هو ذاك...إلخ. أنا أقول- حتى في تحذير أراه مهم إلى كُلِّ البلدان، إلى كُلِّ الدول، سواءً إلى المصريين، أَو الجزائريين... أَو أي بلد لا يزال وضعه لا بأس، أقل من غيره في المشاكل والفتن- **لاحظوا** النظام السعودي في نشره للتوجه التكفيري الوهابي إلى البلدان هو يضرب في تلك البلدان نفسها بوبائه هذا الوحدةَ الوطنية، والأخوّة الإسْلَامية، ويضرب حتى الاستقرار في حده الأدنى، الاستقرار في حده الأدنى؛ **لأنه** حتى يضرب الهوية هُوية أي بلد، الجزائري أَو المصري أَو اليَمَني لم يعد لديه ارتباط لا ببلده ولا بشعبه ولا بأمته. لا، هو يضرب الهُوية المحلية في أي بلد، فالتكفيري في اليَمَن يكره اليَمَنيين؛ **ويعدهم** كافرين وأعداء الله، ويريد أن يقتلهم عن آخرهم، إلَّا من يتجه اتجاهه، ويؤمن بفكرته، التكفيري في مصر لديه نفس الرؤية، لا يربطه بالمصريين كبلد، كشعب أي رابط ابداً، **يعني:** كُلَّ ما امتد هذا الوباء إلى منطقة معينة ضرب هويتها كشعب، الروابط الداخلية، حتى بين القرابة والأرحام، حتى الأواصر التي يشجع عليها الإسْلَام، أواصر الجوار، أواصر الإخاء، الأواصر الإنْسَانية يضربها، الأواصر الإسْلَامية يضربها، أواصر الأرحام يضربها، يشجع الابن على قتل الأم وعلى قتل الأب، وباء، وباء بكل ما تعنيه الكلمة، وأعجبت أمريكا به **جدًّا**، وأعجبت إسْرَائيْل، قدَّم خدمة كبيرة لها في واقع الأُمَّة.

لنجعل من التحديات فرصة للتغيير والبناء

والعدوان على بلدنا- أيضاً- ليس حدثًا عابرًا، كلَّ ما نحتاج إليه في المنطقة في بلدنا وفي سائر شعوب المنطقة: الوعي عن هذه الأحداث بمستواها، وأنها ليست أحداثاً عابرة، وأنها مخاض مهم **جدًّا** في واقع الأُمَّة، وأنَّه من المهم لنا أن نعي جيداً مسؤوليتنا تجاهها، طالما وهي ضمن مخطط طويل ومستمر، ومسلسل تآمري كبير على الأُمَّة ينتقل من حلقة إلى أُخْرَى، من مربع إلى مربع آخر، من عنوان إلى عنوان. أن الأُمَّة في واقعها تحتاج إلى تحرك جاد وواعٍ، جاد وواعٍ لمواجهة هذا التحدّي، وأن تجعل من هذا التحدّي فرصة، واللهِ إنه يمكن للأمة كأمة، لشعبنا المسلم اليَمَني العزيز كشعبٍ حر أبي أن يجعل من هذا التحدّي فرصةً لتغيير الواقع، ولبناء النفس، لبناء الواقع الداخلي. التحدِّيات والأحداث العظام ولدت أُمَماً، وقوَّضت أُمَماً، نهضت بأقوام، وأسقطت أقواماً، الأحداث مهمة **جدًّا**، تعتبر أهم الفرص للبناء، يمكن لأي شعب يواجه تحدٍ كمثل التحدّي الذي يواجهه شعبنا اليَمَني أن يتحرك بكل ما يستطيع لبناء واقعه من الداخل لمواجهة هذا التحدّي، أن يجعل منه فرصةً ليبني واقعه قوياً على كُلِّ المستويات. والتحدّيات إذا ووجهت تتحول إلى عاملٍ مهم في البناء، في بناء الأُمَم، كيف وُلدت كُلُّ الأُمَم؟ استقرؤوا التاريخ أمةً أمة، كيف نهضت تلك الأُمَّة؟ إلَّا من مخاض أحداث، ومن رَحْم مواقف وظروف وتحدِّيات. التحدِّيات، الأحداث العظام تلد أُمَماً عظيمة، ولكن تحتاج إلى وعي، وإلى عزم، إلى إحساسٍ عالٍ بالمسؤولية، وهذا هو الشيء المهم **جدًّا**.

ولذلك أتوجه إلى شعبنا اليَمَني العزيز لأؤكد على: أَهميَّة أن يستفيد من هذه الأحداث؛ **لأنها** كما يبدو أحداث مستمرة، والله أعلم إلى متى! ولكن المهم **جدًّا** في هذه الأحداث أن نتجه بجدية إلى واقعنا الداخلي لنجعل من

هذا التحدّي حافزاً لبناء واقعٍ قوي في مستوى مواجهة التحدّيات، كما فعل الآخرون، كما فعلت شعوب أُخرَى، حتى شعوب ليست مسلمة، وواجهت تحدّيات كبيرة، وخرجت منها رافعة الرأس، شامخة، ثابتة، قوية، نحن يمكننا أن نخرج من مواجهة هذا التحدّي في العدوان الأمريكي السعودي ومن معهم من لفيف المنافقين أن نخرج كشعبٍ قوي عزيز، وبإمكاننا، بإمكاننا ذلك، ونحن معنيون بذلك، وهذا هو خيارنا الصحيح، هذا هو خيارنا الذي لا بدَّ منه، على الجميع مسؤولية (على النخب، وعلى الجماهير) أن يعوا طبيعة هذه الأحداث، ألا ينتظروا أنه ربما تقف هذه الحرب، يكف المعتدون عن عدوانهم هذا الشهر أَو الشهر الآخر، لا تحسبوا هذه الحسابات، لنتجه جميعاً بتوحد، بتعاون، بتظافر للجهود إلى المواجهة، إلى بناء واقعنا الداخلي، إلى ترتيب واقعنا الداخلي؛ **لتلدنا** هذه الأحداث وهذا المخاض من جديد شعباً عظيماً قوياً عزيزاً متماسكاً، خرج شامخ الرأس، وخرج حراً من مخاض هذه الأحداث.

نحن لدينا كُلّ المحفزات، نحن شعبٌ مسلم، لدينا قيم، لدينا أخلاق، لدينا مبادئ، لا ينقصنا شيء، هناك شعوب حتى ليست مسلمة، لكن بفطرتها الإنْسَانية أبت إلا أن تكون حرة، واستطاعت أن تتحرر، وواجهت إمبراطوريات، تاريخنا كذلك واجهنا فيه امبراطوريات، لدينا قيم، لدينا مبادئ، المبادئ والقيم الفطرية الإنْسَانية والإسْلَامية كلها موجودة لدينا، إنما فقط تعزَّز هذه المبادئ، ترسخ هذه القيم، تحيا في الوجدان، في الإحساس، في المشاعر، وانظروا كيف ستفعل، انظروا كيف ستفعل، كيف سيفعل فينا القرآن، نوره، هداه، استنهاضه، تحريضه، تحسيسه بالمسؤولية، كيف ستفعل بنا القيم الفطرية والإنْسَانية إذا تحرك الناس لإحيائها بمستوى التحدّي وبمستوى المسؤولية.

ثم قضيتنا؛ لا التباس فيها، مهما كان لدى الآخرين من عناوين، ودجل، وكذب، وبهتان، وافتراءات، هؤلاء الذين اعتدوا علينا بدون سابق إنذار، بدون حجة، بدون برهان، بدون حق، بدون مبرر، بدون مسوغ، الأمريكي، السعودي... من معهم، الأمريكي وعبيده، الأمريكي هو الأصل، من أمريكا أُعلن الحرب، أمريكا هي التي وجَّهت، هي التي أمرت، هي التي خطّطت، هي التي تشرف بشكلٍ أعلى على العدوان، هي التي توجِّه في كُلِّ خطوة، في كُلِّ موقف، معتدون، مجرمون، ظالمون، مستكبرون، مفسدون، قتلةٌ للأطفال والنساء، قضيةٌ واضحة، أولئك قتلوا الأطفال والنساء، أولئك المجرمون العابثون المدمرون، المهلكون للحرث والنسل، المفسدون في الأرض، **الذين يجعلون من كُلّ شيءٍ هدفاً لعدوانهم:** المسجد، المدرسة، السوق، المؤسسة المدنية، أي منشأة خدمية... كُلّ شيء هدف، الكبير، الصغير، الطفل، المرأة... كُلّ شيء هدف، هؤلاء هم جوهر الطغيان، والإجْرَام، والظلم، والفساد، والمنكر... وإلى غير ذلك. هم الشيطان بكل أشكاله وأخلاقه.

لكن نحن علينا مسؤولية، قضيتنا واضحة لا لبس فيها على الإطلاق، علينا أن نتحرك؛ **لأننا** إن قصّرنا، إن فرطنا، فهذا هو منبع الخطورة علينا، أكبر ما يمكن أن يشكّل خطورة علينا هو تقصيرنا، ولا خيار أمامنا؛ **لأن** أولئك- كانوا فيما مضى ويريدون فيما بقي وفيما سيأتي- أن نكون أذلاء وهينين وعبيداً لهم، ولا يقبل بذلك إلا إنْسَان قد مُسِخَ من إنْسَانيته، لم يعد حراً ولا عزيزاً، وقد تفرَّغ- كما قلنا في بادئ الخطاب- من مضمونه الأخلاقي والمبدئي والقيمي، أصبح سلعةً رخيصة، إنْسَاناً آلياً، فُرِّغ من إنْسَانيته، ولكن بمقدور شعبنا اليَمَني بالتضامن والتكاتف والاعتماد على الله والتوكل على الله أن يواجه كُلّ التحدّيات العسكرية منها والاقتصادية.

العدوان وحربه الاقتصادية

هم اليوم يركزون جدًّا في حربهم الاقتصادية، حاربوا البنك، وحاربوا كُلَّ المنشآت الاقتصادية، وحاصروا البلد؛ **لأنهم** يريدون الإضرار بالشعب كُلِّ الشعب، خطواتهم كلها ضررها عام، هذا من أهم ما يفضحهم، ما يكشف زيفهم، أنهم يعملون ما يضر بالشعب اليَمَني بأجمعه، بكله، في شماله، في جنوبه، في وسطه، الحصار الاقتصادي، الضرر الاقتصادي، الاستهداف الاقتصادي، ضرره على الناس جميعاً، على كُلّ اليَمَنيين، على كُلّ المناطق، على شرق البلاد، وعلى غربها، وشمالها وجنوبها ووسطها، وعلى كُلّ اليَمَنيين، ليعرف البعض من الأغبياء (الأغبياء الذين باعوا أنفسهم بثمنٍ رخيص) كم هي جنايتهم على بلدهم وعلى شعبهم، وأنَّ أولئك الأعداء، الأمريكي في المقدمة، حتى الخطوة ضد البنك أتت بأمرٍ أمريكي وتوجيهٍ أمريكي، نحن على علمٍ بذلك، هذه الخطوة الهدف منها الإضرار بالشعب بكله، الإضرار بالاقتصاد بكله، الإضرار بكل إنْسَانٍ يمني، حتى الرضيع اليَمَني هم يريدون أن يحاصروه في حليبه، حتى الموظف يريدون ألا يصل إليه مرتبه.

البنك كان يعمل بحيادية منذ بداية العدوان، حرصنا نحن كقوى في الداخل سواءً مؤسسات رسمية، أَو سواءً قوى ثورية... أَو غيرها، حرصنا أن نترك له كامل الحرية ليعمل بكل حيادية، وعمل بكل حيادية، كان يوصل حتى مرتبات المنافقين والمرتزقة إلى تعز، إلى مأرب، إلى عدن، إلى أبين، حتى حرس قصر المعاشيق وهم إلى جنب الغزاة جنباً إلى جنب كان يوصل إليهم مرتباتهم، لم نعمل أي مضايقة، لم نتدخل في شأنه ابداً، تركنا له كامل الحرية في العمل، وأردنا له أن يحافظ على دوره الحيادي، أولئك كانوا هم من هم جاحدين، **لاحظوا،** أي لؤم أي خسة فيهم، في الوقت الذين هم يستلمون مرتباتهم منه،

حتى حراس علي محسن، حراس عبد ربه، حراس أولئك المجرمين يستلمون مرتباتهم من صنعاء، في الوقت هذا يعملون على أن يحاربوا هذا البنك، وأن يضايقوا العاملين فيه، الذين عملوا بحسٍ إنْسَاني ووطني بحت، وحاولوا أن يتجردوا تماماً من بيئة الصراع وأجواء الصراع والحرب، يحارب البنك الذي يستلم منه الفلوس، ويستلم أي موظف وأي مواطن له مرتب في أي بقعة في البلد منه مرتبه، يحاربونه، أليست هذه عداوة لكل أولئك، حينما تحاصروا البنك، حينما تضايقوا البنك، حينما تسعى للإضرار بالبنك أنت تعتدي على كُلِّ اليَمَنيين المستفيدين من هذا البنك، المستفيدين من المرتبات، أنت تعتدي عليهم، أنت لص وقاطع طريق، وتسعى إلى أن تحرم كُلّ أسرهم، نحن كنا نتذكر دائماً أن وراء ذلك الإنْسَان وإن كان عدواً لنا، وإن كان يقاتلنا، لكن وراءه أطفال ووراءه أسرة، وقلنا قد يستفيد من مرتبه لهم، لأسرته، كنا نحسب هذا الحساب، فتركنا كامل الحرية للبنك من داخل صنعاء، واللهِ لو كان هذا البنك يعمل من عندكم أنتم لحرصتم أن لا يوصل إلى أي يمني، لو كان يعمل في الخارج لحرصتم على ألا يوصل إلى أي يمني يختلف معكم فلساً واحداً، ألستم اليوم كم تلعبون بالغاز في مأرب حتى لا يصل إلى أي مواطن يمني إسطوانة الغاز إلا بمبلغ باهض؟ أنتم تفعلون ذلك طمعاً وحقداً، اجتمع فيكم حقد، حقد على الشعب اليَمَني، **لاحظوا**، كم في صنعاء من سكان، كم في عمران من سكان، كم في الحديدة من سكان، كم في ذمار من سكان... أساساً معظم التركيبة السكانية والكثافة السكانية هي في المناطق التي لا زالت حرة، لم يصل إليها الاحتلال الأجنبي بعد، هذه المناطق، من المناطق الوسطى، إلى صنعاء، إلى عمران، إلى الشمال، إلى الغرب، فيها الكثافة السكانية، معظم الشعب اليَمَني فيها، وفيها الملايين من الأطفال والنساء المساكين، الكثير من الناس

ممن ليس له أي موقف لا سياسي ولا غيره، هو بعد همه، بعد حياته، بعد معيشته، أنتم في مأرب تسعون أن يكون الغاز فقط للسوق السوداء؛ **لتربحوا** أموالاً طائلة، وكم يتعذب المواطن في صنعاء، أَو تعز، أَو الحديدة، أَو في عدن... أَو في أي منطقة في الحصول على قيمة إسطوانة الغاز، أنتم تحاصرون الشعب اليَمَني، أيها المجرمون أنتم تتآمرون على كُلِّ أسرة في هذا البلد، لا يحصِّل إسطوانة الغاز إلا بجهد جهيد؛ **لأنكم** تتحكمون فيه، **لأنكم تحولون البلد:** أي سلعة استراتيجية في هذا البلد، أي ثروة وطنية تحولونها إلى تجارة خاصة بكم، بأسركم، بتجاراتكم المحلية على حساب شعب بأكمله، كم أنتم مجرمون، كم أنتم لصوص، كم كنتم فيما مضى، واليوم، وفيما بعد، وفي الغد، وفيما بعد الغد، كم أنتم أهل طمع وجشع، لا يشبعكم شيء، متى كنتم رجالاً أخياراً تجاه هذا الشعب، وأنتم تفعلون به كُلَّ هذا، لا تفكرون إلا بما يضايقه، **لا عندكم هَمّ الفئة المستضعفة في هذا البلد:** أطفال نساء، أسر، ما عندكم هَم، يسعى الواحد من أولئك الأنذال، المرتزقة، العملاء، الخونة، المنافقين، إلى كيف يحاصر كُلّ تلك الأسر، كُلّ أولئك السكان في هذا البلد، ألا يصل إليهم الغاز إلا بصعوبة، ألا يصل إليهم القمح إلا بصعوبة، ألا يصل إليهم البترول إلا بصعوبة، أن يقطع مرتبات الموظفين، أن يحاول ألا يصل معاش الجنود، يحاول أن يضايق الجميع، هذا هو أنتم، هذه هي أمريكا، هذه هي تلك الثلة من المجرمين في المنطقة وعلى رأسهم النظام السعودي، وكل عملائه، وكل الحفنة من المجرمين والمرتزقة، هكذا أنتم لصوص وقطاعو طرق، ومفسدون في الأرض، ومضايقون لعباد الله، هذا هو توجهكم، وهذه هي حقيقتكم.

بالتحرك الجاد نقهر المفسدين الطامعين

ولكني أقول لشعبنا: الجميع صحيح متضرر، الموظفون تضرروا، تضرروا من فعل أولئك، كُلّ أسرة تتضرر بما يفعلونه على المستوى الاقتصادي، ولكن علينا أن نتحرك بكل عزٍ وإباء لمواجهة كُلِّ هذا، ونستطيع، المسألة فقط تتطلب تظافراً للجهود، وتعاوناً جماعياً، وأنا أقسم لكم يا شعبنا اليَمَني إن اعتمدتم على الله وتعاونتم وتحركتم بجدية وبصيرة أن تقهروا أولئك المفسدين في الأرض، المهلكين للحرث والنسل، القطاعين للطرقات، الناهبين والجشعين والطامعين، أن تقهروهم وأن تنتصروا عليهم عسكرياً واقتصادياً، يجب أن نتحرك فقط التحرك الجماعي.

في هذا المقام أدعو شعبنا اليَمَني الحر، العزيز، الكريم، السخي، الأبي، إلى حملة تضامن مع البنك، ليتعاون كُلٌّ منا بما يستطيع، الذي يستطيع أن يتعاون بخمسين ريالًا؛ **يتعاون** بخمسين ريالًا، الذي يستطيع بالمائة أَو بالألف أَو بأي مبلغ يستطيع أن يوفره، وانظروا كيف سيقف البنك صامداً وثابتاً، في مواجهة الحصار عليه، والمؤامرات التي تستهدفه، والبنك هو معني أيضاً، معنيٌ أن يدرس كيف يتصرف تجاه مواقف أولئك الذين يسعون هم إلى الإضرار به، مع أنه عمل بشكلٍ حيادي خلال كُلّ الفترة الماضية، أدعو إلى إطلاق حملة شعبية لدعم البنك، والتعاون من أبناء الشعب، وأن نقدِّم درساً لأولئك الأغبياء قطاع الطرق واللصوص، الذين لم يربأوا ولم يعبؤوا بشعبٍ بأكمله، لا يهمهم أن يتضرر لا طفل ولا امرأة، ولا كبير ولا صغير، لا إنْسَانية فيهم، هم لئام، ووصلوا إلى هذا المستوى من اللؤم والخسة والنذالة.

أَيْضاً أقول: أنَّ هناك مسؤولية كبيرة على مؤسسات الدولة في العناية بالشأن الإيرادي، وهناك مسؤولية كبيرة على التجار ورجال المال والأعمال أن

يتعاطوا بمسؤولية، وإلا سيتضررون، ما هناك حل للجميع إلا التحرك الجاد، هذا هو الذي سيفيد، أما الصياح والصراخ أَو التنصل عن المسؤولية، أَو الخضوع للمخاوف، هذا سيلحق الضرر بالبلد بكله، وبالتأكيد بكله، حتى في المناطق المحتلة، سواء في عدن أَو بعض تعز، أَو في بعض مأرب، المناطق المحتلة- حتى هي- تضرر فيها المواطن، والجميع اليوم متضرر، أولئك يحولون الثروة الوطنية (الغاز، النفط...) كلها يحولونها إلى سلع، يبيعون ويشترون، والشعب يعاني، وهكذا كانوا من قبل، هم يفعلون ذلك.

فأنا أقول: نحن معنيون بالتحرك، ونحن معنيون بالتحرك الجاد، وأنا أقول لكم وخصوصاً أننا في ذكرى مهمة قادمون عليها بعد يومين أو يوم، هي ذكرى الحادي والعشرين من سبتمبر: **يجب** أن نعيش الإحساس الثوري، والوعي الثوري، والدافع الثوري، نحن ثوار، شعبنا ثائر، اليوم نحن ثورة في وجه العدوان والاحتلال، وبعد الغد نحن ثورة حتى إقامة دولة عادلة، وثورة مستمرة من كُلّ الأحرار في هذا البلد أيًّا كانت انتماءاتهم الحزبية أَو المذهبية، ثورة مستمرة حتى يتحقق لنا في هذا البلد حريةٌ واستقلال، ويتحقق لنا بناء دولة عادلة تقيم العدل في شعبنا، ويتحقق لنا أمنٌ واستقرارٌ شامل، ثورة، الحس الثوري، الوعي الثوري، الدافع الثوري، الحماس الثوري، هو الذي نحتاج إليه، وهو الذي سيفيد في مستوى مواجهة التحدّيات مهما كانت.

أولئك يحرصون على أن يستعبدونا، وكيَّفوا معهم شوية من المنافقين والمرتزقة عبيد، يشتوا بقية اليَمَنيين عبيد مثلهم، معهم شوية من الأنذال الذين باعوا أنفسهم بالفلوس، مفرغين لا أخلاق، ولا قيم... ولا أي شيء، ويريدون كُلَّ اليَمَنيين كأولئك، لكن هذا بعيدٌ عليهم بعد السماء من الأرض، وبعد الثريا

من الثرى؛ **لأن** هناك في اليَمَن مؤمنون، وهناك أحرار، وهناك من لا يزالون يختزنون في كُلّ وجدانهم ومشاعرهم وأحاسيسهم كُلَّ المعاني الإنْسَانية النبيلة والشريفة، أحرار، أعزاء، كرماء، نبلاء، شرفاء، لا يقبلون بالهزيمة، ولا بالذل، ولا بالهوان، ولا يخنعون ولا يخضعون إلا لرب السماوات والأرض رب العالمين.

نحن معنيون في تعزيز الحس الثوري، والتحرك الشامل والشعبي، وعلى النخب مسؤولية كبيرة **جدًّا** أمام الله والتاريخ أن تتحرك على المستوى المعنوي والتعبوي بين أوساط الجماهير، وأن تقدِّم الدروس حتى من حركاتنا عبر التاريخ كشعب يمني وأمة إسْلَامية، وحتى في الأُمَم الحرة في الأرض التي واجهت التحديات، واجهت الاستعباد والاستبداد، واجهت الغزو الأجنبي والاحتلال الخارجي وتحررت، تحررت وكانت حرة، ولا زالت الكثير منها أو البعض منها حرة، **يجب** أن نعيش الحالة الثورية إحساساً عالياً بالمسؤولية، ترجمةً للألم والأمل في موقفٍ عملي مثمر، تحركٍ جاد. والاحتفال في الحديدة عند الإخوة في الحديدة نأمل- إن شاء الله- حضوراً جيداً هناك في مناسبة الاحتفال بالذكرى الثانية للتصعيد الثوري في الـ٢١ من سبتمبر الذي كان خطوة واحدة إلى الأمام، الثورة لم تنتهِ، الثورة خطت خطوة واحدة إلى الأمام وأمامها الكثير من الخطوات، الثورة مستمرة، مستمرة اليوم في وجه العدوان، الثورة مستمرة لتحقيق الحرية والاستقلال، نأبى إلَّا أن نكون شعباً حراً مستقلاً، لا وصاية لبلد علينا، لا وصاية لا لأمريكي، ولا لإسْرَائيْلي، ولا لسعودي، ولا لقطري... ولا لأي كائن في هذه الدنيا، لا وصاية علينا لأحد- لأحد- أياً كان هذا الأحد. نحن خاضعون لله، ونحن شعب مسلم، لنا الحق أن نكون أحراراً نقرر بأنفسنا، وليس أن نكون محكومين لشخص يبدأ يتصل بالأمير السعودي، أو موظف الاستخبارات السعودي، **أو الأمريكي:**

[هل أعيِّن فلأن مدير أمن، ألو، هل أعيِّن فلاناً مسئولاً على وزارة كذا، ألو، هل أفعل كذا]، أَو يستقبل التعليمات من هناك. لا، لنا الحق أن نكون شعباً حراً عزيزاً مستقلاً بكل ما تعنيه الكلمة، أن نرعى مصالحنا، شؤوننا، أن نهتم بأمورنا، أن نقرر لأنفسنا ما نشاء في أنفسنا، ونحن عبيدٌ لله ﷻ.

نصيحة صادق أمين وطمأنة أخ مشفق

ونصيحتي للنظام السعودي ويبدو أنه مستمرٌ في عماه وطغيانه: مهما كان هناك من تقلبات في المواقف، أَو تغيرات- أحياناً- في الميدان، نهايتك ونتيجة عدوانك الخسران عليك، هذا شعبٌ يختزن فيه كُلَّ معنى الحرية، كُلَّ معنى الإباء، مهما يكن، هذا شعب مستقل في نضاله حتى تدعه وشأنه، حتى تترك عدوانك وبغيك وتسلطك الإجْرَامي، أنت مجرم، أنت معتد، أنت باغ، أنت متكبر، لا حق لك فيما تفعل، بأي حق، هل ترى نفسك وصياً على هذا الشعب؟ هل أوصاك آدم على عياله في اليَمَن؟ بأي اعتبار بأي حق، ترى لنفسك أن تقرر في شؤون اليَمَنيين ما تشاء وتريد؟ وهل أنت أصلاً صاحب مشروع؟ هل أنت إلا عبد لأمريكا؟ هل أنت إلا طيِّع وخاضع لإسْرَائيْل؟ هل أنت إلا دمية بيد الآخرين؟ بأي حق، بأي اعتبار تقدم نفسك على أن تكون وصياً وآمراً وفارضاً إرادتك العمياء والجاهلة على عباد الله؟ أنت مجرم، أنت تقتل الأطفال والنساء، أنت قتلت الآلاف من الأطفال والنساء، فرعون كان يستحيي نساء بني إسْرَائيْل؛ **أما** أنت فأنت تقتل النساء، وتفعل بأسوأ مما كان يفعله فرعون، أنت مجرم لا تمثِّل الإسْلَام، أنت تشوه الإسْلَام، وتسيء إلى الإسْلَام، وتسيء إلى المسلمين، ودنست الصورة عن الإسْلَام في كُلِّ أرجاء الأرض بما تفعل في كُلِّ الدنيا، وبما تفعل في المنطقة خصوصاً.

وأقول لشعبنا العزيز في الجزيرة العربية، سكان المنطقة الجنوبية بالمقدِّمة، في جيزان، في نجران، في عسير... **في المنطقة بكلها:** أنتم إخوة لنا، جيران لنا، أشقاء لنا، بيننا وبينكم روابط الإسْلَام، روابط الجيران، نحن لا نستهدفكم، نحن ندرك أنكم أنتم مظلومون كذلك، الظلم لكم على كُلّ المستويات، حتى عسكرياً، الكثير من منازلكم في الحدود دمرها النظام السعودي، جرفها بالجرافات، عشرات القرى، بل مئات المساكن، جرفها بالجرافات من مساكنكم، جرف عليكم المزارع، عطَّل وفرَّغ الكثير من مناطقكم وحولكم إلى مناطق أُخْرَى، هو يستهدفكم بذلك، وأنتم تدركون مدى الاستعلاء والتكبر والغطرسة عليكم، وكيف يتعامل معكم كمواطنين من الدرجة الثانية، ويتعامل مع إخوتنا في المنطقة الشرقية كغيرِ مواطنين، أَو كمواطنين من الدرجة المائة يعني، ما هناك أي مواطنة، ما هناك أي تحسيس بالقيمة الإنْسَانية، ولا بقيمة المواطنة... ولا بأي اعتبار، وتعامله هكذا مع معظم الشعب في الجزيرة العربية؛ **وبالتالي** مشكلتنا مع هذا النظام أنه نظام متسلط، معتدٍ، أنتم تعرفونه جيداً، نحن لا نحمل لكم كشعب في الجزيرة العربية إلا كُلَّ معاني الإخاء والمحبة والتقدير، نحن مستعدون أن نمدَّ أيدينا لكم، وأن نعينكم، وأن نكون إلى جانبكم؛ لتكونوا أنتم- أَيْضاً- متحررين من طغيانه، من تسلطه، من جبروته، من تلعُّبِه، من أسلوبه الاستعلائي، والتكبر العجيب **جدًّا** عليكم، نحن نعرف مدى تكبره عليكم وعلى سائر الناس، أساساً هو سمَّى المملكة بكلها، الدولة بكلها سمَّاها باسم أسرته، لم يعطها حتى اسماً إما جغرافياً أَو شعبياً عاماً. لا، تسمية أسرية حتى للبلد بكله، وحتى للشعب بكله، ولذلك نحن نطمئنكم كُلَّ الطمأنة، كونوا مطمئنين، حتى حالات الغضب التي قد تسمعونها أحياناً أَو التعبير، هي موقفٌ من النظام وليس منكم أنتم، لا أنتم مستهدفون، ولا ممتلكاتكم... ولا أي شيء، كونوا مطمئنين كُلّ الاطمئنان، نحن نعتبركم إخوةً لنا.

وأقول في هذه المناسبة العزيزة: نحن معنيون كشعبٍ يمنيٍ مسلم، وأمتنا بشكلٍ عام أن نتوكل على الله ﷻ، أن نتولاه، أن نعتمد عليه، أن نثق به، أن ننطلق بمبادئنا التي هي مبادئ عظيمة **جدًّا** إذا تمسكنا بها، وقيمنا عظيمةٌ **جدًّا**، قيمنا الإسْلَامية، قيمنا القرآنية، في مبدأ الولاية نتولى الله ﷻ، ونتوكل عليه، ونعتمد عليه، ونتمسك برموزنا العظماء، وديننا القيم، وقيمنا وأخلاقنا العظيمة، ومنهجنا القويم، ونتحرك بكل مسؤولية، لنرى كيف سيتغير الواقع نحو الأفضل، وكيف ستكون العاقبة للمتقين، والذل والهوان للمعتدين، والباغين، والمجرمين، والضالين، والمفسدين، والمتكبرين.

نسألُ اللهَ ﷻ الشفاءَ للجرحى، ونسألُ اللهَ الرحمةَ للشهداء، والفِكَاكَ للأسرى، والنصرَ لشعبِنا المظلومِ وأُمَّتِنا المظلومة.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أَلَّا إلهَ إلَّا اللهُ المَلِكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أَنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإِخْوَةُ والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

يحتفل شعبنا اليمني مع كثير من المؤمنين في شتى أقطار العالم في هذا اليوم المبارك بمناسبة عظيمة، لها شأنها الكبير ومنزلتها الرفيعة في الإسلام، **هذا اليوم الذي عرف بيوم الغدير:** هو يوم الولاية، اليوم الذي أ علن فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه على رؤوس الأشهاد (في غدير خم) ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه المناسبة اعتاد شعبنا اليمني- عبر الأجيال- أن يحتفل بها على نحوٍ متميز، وأن يستقبلها بحفاوة كبيرة، فعادةً يتجمع الأهالي، يتجمع الناس (في المناطق، في القرى، في المدن) في كثير من المناطق، ويحيون هذه المناسبة بالكلمات، **كذلك** بالقصائد الشعرية، بالزوامل الشعبية... إلى غير ذلك. ويجعلون منها مناسبة فرح، ومناسبة يستبشرون بها،

ويتوجهون فيها إلى الله ﷻ بالشكر، ويؤكدون فيها **كذلك** ولاءهم للإمام علي عليه السلام.

ولهذه الذكرى أهمية من جوانب كثيرة، ومن أجمل ما حافظ عليه شعبنا اليمني من موروثه الإيماني والديني- بسبب أصالته والتزامه بهذه الأصالة، واستمراريته على هذه الأصالة- احتفاله بهذه المناسبة، بالرغم من محاولات كبيرة **جدًّا** من قوى التكفير (القوى التكفيرية الوهابية) في السعي لإلغاء هذه الفعالية وهذه المناسبة فيما مضى على مدى سنوات، ولكنهم فشلوا؛ **لأن** شعبنا اليمني إنما يحييها امتداداً لأصالته المبدئية، ووعيه العميق، وإيمانه الراسخ بالمبادئ التي يحملها.

أهمية الاحتفال بيوم الولاية

الاحتفال بهذه المناسبة له أهمية من جوانب كثيرة، واليوم هو يوم عظيم في الإسلام، يوم له شأن كبير، ليس هناك ما يمكن أن يقدم لنا، ويبين لنا، ويكشف لنا عن مستوى أهمية هذا اليوم، وعظمة هذا اليوم، وجلالة قدر هذا اليوم في الإسلام، مثل قوله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، هذه الآية الكريمة، هذا النص القرآني العظيم كان في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، في المناسبة نفسها، في الحادثة نفسها، يوم البلاغ التاريخي العظيم، الذي بلّغه الرسول ﷺ على رؤوس الأشهاد في الأمة الإسلامية؛ **ليبقى** بلاغاً تتناقله الأجيال إلى قيام الساعة.

هذا اليوم له هذه العظمة، له هذه الأهمية، له هذه المكانة، له هذه القيمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، في الميزان الديني، في الاعتبار الديني، في القيمة الدينية، وهي الأساس بالنسبة لنا كمسلمين؛ **باعتبار** هويتنا الإسلامية، بهذا الاعتبار، بهذا الميزان،

مـن هـذا المنظـور، لهـذا اليـوم هـذه الأهميـة الكبـيرة (**يـومٌ أكمل اللـه فيـه الدين**) بـكل مـا لهـذا مـن أهميـة كبـيرة **جـدًّا**، ويمكـن للـكلام أن يطـول **جـدًّا** حـول هـذه النقطـة بالـذات، مهـم توسـع الإنسـان، لأن مثـل هذا الكلام لا تتسـع لـه محاضرة، أو كلمـة، أو مـا يلقـى في فعاليـة أو مناسـبة. مثـل هـذا يقـدم في دروس، في محـاضرات.

يـوم أكمـل اللـه فيه الديـن، وأتم فيه النعمة، وارتضى لنا فيه الإسـلام ديناً، بعد أن أكمله وأتمه بكمال الدين، وبتمام النعمة نحتفل في هذه الذكرى، نبتهج بهذه الذكرى، وحـقٌ لأمـة تعـي قيمة الديـن، قيمة الإسـلام، عظمة النعمـة الإلهية للهدى والإسـلام، بمـا فيـه مـن مبادئ، بمـا فيه من قيم، بمـا فيه من نهـج قويم تصلحُ به حيـاة البشرية إن تمسـكت بـه، إن سـارت عليه، إن التزمت به؛ **يبني** واقعها عـلى نحوٍ فريدٍ ومتميزٍ، يكفـل لهـا العـزة والخير والسـعادة والفـلاح في الدنيـا، والفـوز والنجاة يـوم القيامة.

فلذلـك يحـق ليـومٍ لـه هـذا الشـأن، لـه هـذه الأهميـة، لـه هـذه القيمـة (يـوم إكـمال الديـن، يـوم تمام النعمـة) أن نبتهج به، أن نشـكر الله ﷻ ونعـترف له بعظيم النعمـة والمنّـة؛ **حتـى** لا نكـون من الجاحديـن، من الكافريـن بنعمه، مـن المتجاهلين لفضلـه، مـن الذيـن لا يلتفتـون إلى مـا قدمـه لنـا، وأنعـم به علينـا، وأتاح لنـا في هذه الحيـاة، في هـذا الوجـود، بما يكفل لنا، إن نحـن تفاعلنا، وأقبلنا، وارتبطنا، وانسـجمنا، وتفاعلنـا كـما ينبغـي؛ **يكفل** لنا الخير كل الخير، والفوز كل الفـوز، والفلاح كل الفلاح.

شـعبنا اليمنيُ، هذه المناسـبة بالنسـبة له ليست دخيلة، وليسـت طارئة، وليست بدعة، بل مناسبة اعتاد عبر الأجيال وتناقل عبر الأجيال الاحتفاء بها؛ **كما** قلنا؛ **لأصالته الإيمانيـة:** يمـن الإيـمان (**الإيمان يمـان**)، هذا من الإيمان، هذا جانب مـن جوانب إيمانه.

ثـم الاحتفـال بهـذه الذكـرى لـه أهميـة كبـيرة جـدًّا؛ لأنـه عمليـة توثيقيـة وتبليغيـة: عمليـة توثيقيـة تتناقلهـا الأجيـال لذلـك البـلاغ العظيـم المهـم، فهـو

عملية توثيق ومحافظة؛ **حتى** يبقى هذا البلاغ متنقلاً من جيلٍ إلى جيل، وتتوارث الأجيال نقله وإيصاله، فيبقى صوت النبي ﷺ يبقى بلاغه ونداؤه وإقامته الحجة لله على عباده، يبقى متناقلاً بين الأمة، بين المؤمنين، من جيل إلى جيل، يرثه الصغار من الكبار... وهكذا. عملية توثيقية مهمة، وأسلوبٌ عظيم في الحفاظ على نصٍ من أهم النصوص الإسلامية، من أهم النصوص النبوية، من أهم المبادئ الإسلامية، ونص يلقى محاربة شرسة وحقداً كبيراً وانزعاجاً شديداً من قوى أخرى، نتحدث عن هذا أثناء حديثنا إن شاء الله.

أهمية الذكرى

أما مستوى الأهمية للمحتوى (محتوى الذكرى، وما كان في هذه الذكرى)، **فكذلك**- مهما قلنا- يبقى تعبيرنا ناقصاً وقاصراً وضعيفاً في محدودية واقعنا البشري، **ومستوى قدراتنا البشرية في:** (التعبير، والبيان، والفهم، والاستيعاب)، لكن ما هناك ما يمكن أن يقدم المسألة بمستواها في عظمها وأهميتها وما تدل عليه مثل النص القرآني، الله ﷻ **قال في كتابه الكريم:** ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، هذه الآية المباركة أمرت النبي ﷺ أمر من الله، وتوجيه من الله ﷻ أن يبلغ أمراً أوحاه الله إليه، له في أهميته داخل الرسالة الإلهية، وفي مضمون الرسالة الإلهية، وضمن التشريع الإلهي والتوجيهات الإلهية بالغ الأهمية لهذه الدرجة: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، من المدهش أن هذا التوجيه الإلهي للنبي ﷺ أتى في آخر أيام حياته، **يعني:** ما قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، وبعد أن كان النبي ﷺ قد قطع الشوط الأكبر من تبليغ الرسالة، بدءًا بالقضايا الرئيسية **جدًّا** في الرسالة، **مثلاً:** مسألة التوحيد، ومحاربة الشرك،

ومسائل مهمة **جدًّا**، ذات حساسية كبيرة بين أوساط المجتمع العربي وغيره، وذات أهمية كبيرة في منزلتها في الدين، وأهميتها الجوهرية في الدين نفسه.

الرسول ﷺ **طوال بعثته**، منذ أن بعثه الله رسولاً إلى الأمة، إلى العالمين، منذُ بداية نشاطه التبليغي، وعمله الدؤوب لتبليغ رسالات الله وإقامة دين الله، كان قد قدم معظم ما يتعلق بالشريعة الإسلامية والتعاليم الإسلامية، في ما يتعلق منها بالعقيدة الإسلامية، بدءًا من معرفة الله ﷻ في كل ما يتصل بذلك، ثم في ما يتعلق بالشرع الإسلامي، الأحكام الإسلامية، الفرائض والشرائع، العبادات والمعاملات... قد بلّغ تبليغاً واسعاً، وشمل تبليغه ما تحتاج إليه الأمة من ذلك.

بعد كل هذا، وفي أواخر أيام حياته يأتي هذا النص القرآني، الذي يأمره أن يبلّغ أمراً ما، هذا الأمر لو لم يبلغه لاعتبر كما لم يبلغ رسالات الله ﷻ في كل ما قد بلّغه منها، **لاحظوا**، هذا هو ما يمكن أن نستوعب- إن تأملنا وإن تفهمنا- مستوى الأهمية الكبيرة **جدًّا** لبلاغ يوم الغدير، وكيف **يجب** أن نتعاطى معه نحن بهذه الأهمية، أن ننفتح عليه في تفهمنا وفي تأملنا، في تركيزنا بمستوى هذه الأهمية، ولا نمر عليه كنصٍ عاديٍ، وكحدثٍ عاديٍ، وككلام عابرٍ لا نعطي له ما ينبغي التركيز عليه فيه والتأمل له.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ما يتعلق بالشرائع، والمعاملات، والعبادات، والاعتقادات، قد بلّغها، ما يتعلق بالمواقف، **بما في ذلك المواقف من أعداء الإسلام الذين حاربوه:** سواءً في واقع المشركين من العرب، أو فيما يتعلق باليهود الذين حاربوا الإسلام وكانوا أعداء أشداء وألدّاء لهذا الدين، أو الذين حاربوه- **أيضاً**- من النصارى، كانت المواقف تجاههم مواقف واضحة ومعروفة، **ولم يكن ثمة جديد فيما يخص هذا الموضوع:** موضوع العلاقات، موضوع المواقف من كل القوى التي تحارب الإسلام وتعادي الإسلام، وتسعى لطمس معالم الإسلام، كانت المواقف

واضحة منها وصريحة **جدًّا، مثلاً:** المواقف مع اليهود منذ مراحل مبكرة، منذ بداية الصراع معهم، منذ بدايته مع بني النظير، إلى آخر الأحداث مع اليهود في خيبر مثلاً في السنة السادسة للهجرة... إلى غير ذلك. **فكل تلك المسائل:** (الاعتقادات، المعاملات، العبادات، العلاقات، المواقف) قد تضمنها التبليغ فيما مضى في المرحلة الماضية، فبقي هناك أمر واحد.

هذه الآية المباركة متى نزلت على النبي ﷺ؟ نزلت عليه يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو عائد من مكة إلى المدينة، عائد من حجة الوداع، فما هو أمر الولاية، ما هي حكاية الولاية، ما هو نص الولاية، ما هي القصة؟

النبي ﷺ **حج- كما- عُرِفَ بين أوساط المسلمين** في السيرة والتاريخ بحجة الوداع، حجة الوداع كانت في العام الأخير من حياة النبي ﷺ **يعني:** أواخر السنة العاشرة، النبي دخل في السنة الحادية عشرة لم يلبث فيها إلا شهر محرم وصفر، **على اختلاف الأخبار في أنه:** (هل توفي في اليوم الأخير من شهر صفر، أم في بداية ربيع؟).

على كلٍ، النبي ﷺ **حج هذه الحجة التي سميت بحجة الوداع،** أعلن فيها للأمة تأهبه للعروج إلى الله ﷻ للرحيل من هذه الدنيا الفانية، وأن مهمته الكبرى في: (إبلاغ رسالات الله ﷻ وإقامة دين الله -جلَّ وعلا- ومحاربة الظلام والضلال والباطل والكفر والإجرام والطغيان، وإقامة الحق وإحقاقه، وإقامة العدل في الحياة)، هذه المهمة- بالنسبة له- قد اكتملت، لم يبقَ له إلا الشيء اليسير ثم يرحل من هذه الحياة، **ولذلك تلك الرحلة:** سواءً فيما تضمنته من إعلانات، **وكذلك** نصوص مهمة أثناء حجة الوداع نفسها، أو في الطريق. النبي ﷺ عاد من رحلته تلك وقد أتم مهمته، ما كان منها في أثناء الحج، في صعيد عرفات في خطبته الشهيرة، ما كان منها في طريقه عائداً من مكة، وسيأتي الحديث عن هذه المحطة (محطة غدير خم).

في عودة النبي ﷺ من حجة الوداع، وقد ودّع الأمة في ذلك اليوم، نزل عليه قول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة: ٦٧]، الآية في مضمونها- على حسب التعبير المعتاد- ساخنة، قوية في مضمونها وتعبيرها وأسلوبها، **يعني**: أتت تأكيداً على النبي ﷺ فيها بشكل كبير، بشكل عجيب: ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧] وأرفقت بضمانة للحماية الإلهية، كالضمانة التي أعطاها الله لموسى وهارون في ذهابهما إلى فرعون، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: من الآية ٤٦]، **هنا ضمانة إلهية:** ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧]، من المؤكد أن النبي ﷺ كان دائماً في حالة استعداد تام للتضحية في سبيل الله -جلَّ شأنه- ولم يكن ليتردد عن إبلاغ أي شيء من أوامر الله وتوجيهات الله ودين الله نتيجة مخاوف من الناس. لا، هو كان هكذا منذ البداية، ولكن هنا كان لهذه القضية شيء من الخصوصية، لربما أكثر من مسألة القتل، لربما أكثر من مسألة الاغتيال، لربما أكثر من المخاوف في أن يُعاجَل بالتصفية قبل أن يتم عملية البلاغ، أو أن يتعرض لإساءات كبيرة تمسّ بعرضه، تمسّ بكرامته، تمسّ بمقامه في أوساط الأمة، من خلال توجيه الإساءات إليه، والاتهامات إليه بالمحاباة والإيثار لعلي بن أبي طالب لاعتبارات أخرى.

الضمانة الإلهية

النبي ﷺ تلقى هنا ضمانة من الله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ في مرحلة الوسط الذي سيقدم فيه هذا البلاغ هو وسط إسلامي، ليس فيه أحدٌ من المشركين، تلك الجموع الغفيرة العائدة من الحج، والتي جُمعت في مفترق الطرق، قبل أن تتفرق نحو الآفاق التي أتت منها إلى الحج، تلك الجموع الغفيرة من المسلمين،

ولكن هذا يدل على حساسية المسألة، والتي بقيت حساسة- أصلاً- في الوسط الإسلامي على طول التاريخ، بقيت حساسة دائماً، والنظرة إليها والتعاطي معها بحساسية مفرطة **جدًّا جدًّا، هذا يجعلنا مثلاً:** نستشعر حساسية تلك الظروف التي عاشها النبي ﷺ ما قبل تقديم البلاغ، وأثناء تبليغه البلاغ، **ولذلك** أعطي تأكيداً كبيراً يترافق مع هذا التأكيد الكبير ضمانة إلهية بالحماية له، والحماية لمقامه ﷺ في أوساط الأمة، وفعلاً تحقق ذلك، لم يجرؤ أحد على الإساءة إليه بما يؤثر على مكانته في أوساط الأمة. لا، إن كان هناك مواقف فهي ضعيفة **جدًّا**، لم يكن لها أي تأثير ابداً، **يعني:** كان الحالة السائدة- ما بعد التبليغ- هي حالة الهدوء، لم يترتب على هذا البلاغ وهذا الإعلان أي مشاكل في وسط الساحة الإسلامية، آنذاك، الكل هدأ، ما بين مرتاح وما بين ساكت، ما ترتب على هذا، **مثلاً:** كان هناك- ربما- احتمالات أن يترتب على هذا الإبلاغ مشاكل داخلية في الساحة الإسلامية، واحتجاجات من البعض، واعتراضات من البعض، ونزاعات من البعض، لكن لا، تحققت الإرادة الإلهية والوعد الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

البلاغ التاريخي العظيم

فالساحة بقيت عادية ومتماسكة ومستقرة وهادئة، النبي ﷺ جمع الناس (في غدير خم) في تلك المنطقة، أثناء عودته من مكة عائداً إلى المدينة، وجمع الآلاف المؤلفة من الحجاج المسلمين العائدين إلى مناطقهم، والذين سيسهمون بشكل كبير في نقل هذا البلاغ إلى مناطقهم، جُمعوا، وفي وقت وبأسلوب أشبه ما يكون بحالة نفير؛ **لأن** الحالة كانت أثناء الظهيرة، أوقفت الجموع التي لا زالت متحركة، استدعيت الجموع التي كانت متقدمةً شيئاً ما، جمع الكل في صحراء واحدة، في ساحة واحدة، في مكان واحد واضح، **لم يكن فيه أي عوامل يمكن أن تمثل عائقاً:** إما عن رؤية النبي، أو عن سماعه، حضر الكل في حالة استدعاء عاجل وملفت

وطارئ، تُرى ماذا هناك؟ ماذا يريد النبي ﷺ؟ وأثناء الظهيرة قام النبي ﷺ بعد أن رصت له أقتاب الإبل ليصعد عليها، وأَصعد معه علياً عليه السلام على نفس الأقتاب، ثم وجّه خطابه إلى الأمة، وأبلغ ما أمره الله بإبلاغه، بعد حديث هيأ فيه الذهنية العامة للمستمعين لما سيقدمه إليهم، وبكل ما يساهم على لفت الأنظار، وعلى جلب التركيز والانتباه، وعلى جلب حالة الإصغاء والتفهم، **يعني:** النبي ﷺ أدى مهمته على أكمل وجه، وأتمِّ ما ينبغي، **لا نقص:** لا في مستوى التبليغ، ولا في طريقة التبليغ، ولا في إعطاء التبليغ جواً يساعد على إدراك أهميته، والالتفات إلى أهميته؛ **فتحدث** بخطاب شهير، ثم وصل إلى الموضوع الرئيسي في الخطاب، **فقال** ﷺ: ((**يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِهِم مِنْ أَنْفُسِهِم، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ**))، وكان علي عليه السلام إلى جانبه، وأخذ بيد الإمام علي عليه السلام ورفع يده أمام الحضور، الآلاف المؤلفة من المسلمين، ((**فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ**)).

هذا النص وهذه الواقعة توارثتها الأمة الإسلامية، وهي في نفسها من الثوابت المعترف بها بين أبناء الأمة، الفريقين والجمهورين الرئيسين في الأمة، كما يقال (الشيعة، والسنة) الكل توارثوا هذه الحادثة بنفسها، **وهذا النص:** ((**فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ**)) توارثته الأمة بكلها؛ **فأصبح** من المتواتر بين الأمة، والثابت بين الأمة.

الرسول ﷺ **عندما قدّم هذا النص،** كان إلى جانب هذه العملية التوضيحية، التبليغية، التي قُدِّمت في جو عملي، واضح، بيّن، لا لبس فيه، ولا غموض فيه، ولا أي شيء يمكن أن ينقص من كونه بلاغاً مبيناً واضحاً، ونصاً صريحاً بيّناً، هناك **أيضاً** النص القرآني الذي يرتبط كل الارتباط مع هذا النص من النبي ﷺ مع هذا البلاغ التوضيحي الذي ترافق معه أداء عملي

واضح، **يعني:** أخْذُ الإمام علي عليه السلام إلى فوق أقتاب الإبل، وإصعاده معه، الأخذ بيده، الإشارة إليه، وتقديمه بشخصه واسمه بشكل واضح إلى الأمة.

النص القرآني، هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٥-٥٦]، يأتي النص القرآني إلى جانب النص النبوي والعملية التبليغية التي شهدت أداءً عملياً من النبي: كلاماً؛ **رافقه** تصرف معين، **تصرف عملي:** إصعاد الإمام علي، تقديمه بشخصه واسمه **(فَهَذَا)** وهو عنده وآخذ بيده **(عَلِيٌّ) باسمه (مَوْلَاهُ) نقول عنها:** أنها فعلاً متطابقة مع مستوى ما أعطاه النبي- نفسه- الآيةَ القرآنيَة والتَوجيه الإلهي من الاهتمام، **يعني:** أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقصر ابداً في أن يقدّم المسألة بما تستحقه من الأهمية، وبما تقدمه الآية وتوحي به الآية من هذه الأهمية ومستوى هذه الأهمية، **أكمل:** مؤهل من الله (سيد الرسل، وخاتم النبيين)؛ **فأنفذ** مهمته على أتمِّ ما يكون، نشهد له بذلك، نحن نشهد للرسول صلى الله عليه وآله بأنه بلّغ ما أنزل إليه تمام البلاغ، وأقام الحجة وأوضح المحجة، وأنه لم يقصر ولم ينقص، وأنه لم يشب بيانه أيُّ التباس، ولا أيُّ غموض؛ **فهو** لم يقصر ابداً، ما هناك أيُّ تقصير من جانبه على الإطلاق.

هذه الحادثة والواقعة المهمة جدًّا التي شهدت هذا البلاغ الكبير والمهم، والذي لم يكتمل للنبي من بعده ثلاثة أشهر حتى توفي، عاد إلى المدينة، بقي فقط حتى دخلت السنة الحادية عشرة من الهجرة، وتوفي إما في آخر يوم من صفر، أو في بداية شهر ربيع الأول منها.

على كلٍ، الرسول ﷺ **قدّم هذا النص للأمة؛ ليبقى** بلاغاً لأجيال الأمة بكلها، ومن الدلائل العجيبة، **والاعتبارات المهمة:** أن هذا النص بقي- فعلاً- متوارثاً بين المسلمين، وحظيّ باهتمام كبير في النقل بما يحفظه لكل الأجيال.

ماذا تعني الولاية؟

يبقى لنا الآن أن نتحدث عن الولاية، ما هي الولاية؟ طبعاً الحساسية كبيرة حول هذا الموضوع، ومن الطبيعي أن تكون حساسة ما دام المسألة كان فيها آنذاك: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧]، فلا بد وأن تكون حساسة في كل مرحلة من مراحل التاريخ.

الولاية ليست مجرد فكرة خاصة، وصناعة مذهبية، صنعتها طائفة معينة من أبناء الأمة. لا، **الولاية:** هي حالة قائمة في واقع البشرية، حالة قائمة موجودة عند كل البشر، حتى خارج الساحة الإسلامية- طبعاً- نقصد بالمفهوم الأعم (حالة الولاية) **بمعنى:** ما من طائفة في هذه الدنيا، ولا من فئة في هذا العالم (من أبناء البشر) إلا ولها ارتباط بجهة معينة، برموز معينين ترتبط بهم على أنهم المصدر والجهة التي تقتدي بها، تتأثر بها، تستلهم منها تعاليمها وتوجيهاتها، تُقدس ما يقدم من جانبها من آراء ومن أفكار، وتعتبرها مسارها الذي تعتمد عليه كمنهج، كمواقف، كمسار في الحياة، هذا شيء قائم حتى في خارج الساحة الإسلامية، يعني: بين اليهود، والنصارى، والوثنيين... كل البشر هم على هذا الأساس، وسواء كانوا أصحاب انتماء ديني (بالمعنى الشائع والمنتشر)، أو بغير ذلك، **يعني:** (طائفة، أو فئة)، كل فئات الدنيا لها رموز معيَّنون، لها قادة، لها قدوات ترتبط بهم، تتأثر بأقوالهم، بآرائهم، بأفكارهم، وتعتبر أن المفترض بكل الناس أن يحذوا حذوها في أن يرتبطوا بتلك الجهة التي آمنت بها، وآمنت بأفكارها

وثقافاتها وما تقدمه، ولهم مكانتهم وعظمتهم وأهميتهم؛ **فهي حالة قائمة.**

في الساحة الإسلامية كذلك، كل الطوائف الإسلامية، كل المذاهب الإسلامية لهم ارتباطات برموز معينين، ينظرون إليهم على أنهم هم أهل الحق، وأهل الحل، وأهل العقد، وأنهم من ينبغي أن تؤخذ أقوالهم، وأن يؤمن الآخرون بأفكارهم، وأن يتقبلوا منهم ما يقدمونه، وأنهم القادة والقدوة والأسوة، والذين يفترض الارتباط بهم من كل أبناء الأمة، والحذو حذوهم من كل المنتمين للإسلام... هذه حالة قائمة في الإسلام، في الساحة الإسلامية حالة حاضرة، وخارج الساحة الإسلامية حالة قائمة، فقط حساسية غريبة وعجيبة تجاه الولاية من المنظور القرآني، وعلى وفق ثقافة الغدير **(ثقافة يوم الولاية)**.

هذه المسألة تحظى بحساسية من أكثر الأطراف، ويُنْظَرُ إليها بتعقد كبير (عقدة عجيبة **جدًّا**)، على نحوٍ يدخل فيه العصبية المذهبية، تدخل فيه إشكالات كثيرة وتعقيدات كثيرة؛ **تؤثر** على الكثير من الناس حتى في التحقق من هذه الثقافة، في التعرف على هذه المفاهيم، وأحياناً تُنقل (أو تصاغ) مفاهيم أخرى، تحسب على الناس، وهم بريؤون منها؛ **بهدف** التشويه الكبير **جدًّا**.

على كُلٍ، الولاية حسب ما قدمها القرآن الكريم في الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦] ثم في النص المرافق لها في حديث النبي ﷺ وبلاغه ﷺ نص **يمكن أن نقول:** نص نبوي؛ **توأم** مع النص القرآني، **يعني:** مترابط كل الترابط مع النص القرآني، على صلة وثيقة بالنص القرآني ومتشابه معه في التسلسل:

((إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِين أَوْلَى بِهِم مِنْ أَنْفُسِهِم، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ))، كذلك ((اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ)) في مقابل ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

نأتي لنتحدث بقدر ما يسعنا الوقت ويتاح لنا إن شاء الله. النص القرآني واضحٌ **جدًّا**، يتحدث عن الولاية باعتبارها ولاية الله ﷻ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، وهذه المسألة مهمة **جدًّا؛ لأن** العقدة والعصبيات المذهبية جعلت هذا المبدأ المهم والكبير في القرآن الكريم والإسلام العظيم، يهمّش إلى حدٍ كبير، ويتعامل معه الكثير بتوحش ونفور وابتعاد، والكل يريد أن يمر عليه مروراً عابراً، كثير من المفسرين سرعان ما يحاول أن يتخلص منه، لم يحظَ بالاهتمام الذي يفترض أن نهتم به كمسلمين، بعيداً عن العقد المذهبية، والعصبيات الطائفية، والبلايا هذه، والمشاكل التي أثّرت على الأمة، وحجبت عن الكثير نور الهداية.

المدلول الشامل للولاية

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، **هذه الآية تتخاطب معنا**، تعنينا نحن؛ **كل** من ننتمي إلى هذا الإسلام، (الله هو ولينا)، فما هي هذه الولاية؟ **ولاية الله ﷻ هي**: ولاية شاملة، الله هو ولي كل هذا الكون، هو ملكه، هذا الكون هو ملك لله ﷻ، **الله وليه:** خالقه، وفاطره، ومالكه، ومنشئه، ومكوّنه، وبارئه... الله ﷻ ولي هذا الكون لا شريك له في ذلك، ولا يملك أحد غيره في هذا الكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في أي جزء من هذا العالم؛ **فله** -جلَّ شأنه- **هذه الولاية:** أولاً- أنه المالك لهذا الكون، **وأنه ﷻ له ولاية الألوهية:** هو وحده في كل هذا العالم المعبود بحق، لا معبود بحق إلا هو، وهو حصرياً يمتلك حق العبادة من كل الكائنات الفاهمة الواعية في هذا الكون، **وله الملك على كل ما فيها من:** (حيوان، وجماد...

وغير ذلك)؛ **فله** ولاية الألوهية، **وولاية الربوبية:** أنه هو وحده الرب -جلَّ شأنه- رب السموات والأرض وما بينهما، رب العالمين، وأن الجميع في هذا العالم- بلا استثناء- إنما هم عبيد له وملك له، **ما هناك أحد يخرج عن هذه القاعدة:** لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من البشر، ولا من الجن... ولا من أي كائنات في هذا الكون وفي هذا العالم، الكل مربوبون، الكل عبيد، **وهو -جلَّ شانه- رب العالمين:** المالك لهم، المربي لهم، المهيمن عليهم... فهو -جلَّ شأنه- له ولاية الربوبية.

ثم، يبتني على هذا أنه -جلَّ شأنه- الملك لهذا العالم: ملكوت السموات والأرض كله بيده، تحت سلطانه، وتحت أمره وقهره، هو المهيمن عليه بكله؛ **ولذلك** هو -جلَّ شأنه- المدبر لشئون السموات والأرض، فله- **أيضاً**- ولاية التدبير القائم المستمر؛ **الذي** هو فيه مستمر، كما يعبّر في القرآن الكريم: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾، لم يخلق هذا الكون ثم يتركه هناك، ويبقى متفرجاً عليه إلى أين يتجه، وماذا يحصل فيه. لا، متصرف فيه على الدوام، (حي قيوم) حسب التعبير القرآني، **حي قيوم:** قائم على الدوام، بلا انقطاع، بتدبير وتصريف شئون هذا الكون بكل ما فيه: (يحيي ويميت، يخلق ويرزق، يعز ويذل...)، وهكذا تصرف شامل، (يكوّر الليل على النهار، يولج الليل في النهار...) تصرف مستمر لا ينقطع في تدبير شئون هذا الكون وهذا العالم؛ **فهو** -جلَّ شأنه- الملك الذي لم ينقطع ولم يتوان ابداً (ولا لحظة، ولا طرفة عين) في تدبير شئون هذا الكون، يرعى فيه مصالح مخلوقاته بكلها (بأجمعها)، ويحكم هذا الكون في الولاية التكوينية، وهو مكون هذا الكون بسننه التي لا يمكن أن يخرج عنها شيء في هذا الكون ابداً. هذه ولاية قائمة وولاية مستمرة.

ولاية الله.. بين النظرة الصحيحة والخاطئة

كيف ننظر في ساحتنا الإسلامية إلى الولاية الإلهية في امتداداتها الأخرى: (امتداد الهداية، امتداد التشريع، امتداد الإرشاد للعباد والتوجيه للعباد)؟. في ساحتنا البشرية، البشر دورهم في هذه الحياة، دورهم في هذا الوجود، دورهم في هذا الكون، دور بارز، دور أساسي، يختلف عن كثير من المخلوقات الأخرى التي لها دور محدود **جدًّا، الدور البشري والدور الإنساني على الأرض:** دور مهمٌّ؛ من أجله سخر للبشر ما في السماوات وما في الأرض، من أجله حمَّل البشر مسؤولية نَأَتْ وامتنعت عن حملها السماوات والأرض والجبال، فكيف ننظر في الساحة الإسلامية إلى الولاية الإلهية في بقية الأمور، ثم نعود إلى المنظور القرآني؟

البعض في العالم الإسلامي يعتبر أن الولاية الإلهية- في الحد الأكبر- هي ولاية خدمية، **يعني:** لا يستحون من الله ﷻ **بمعنى:** عندهم أن الله ﷻ معنيٌ في واقعنا كبشر، كعبيد له ﷻ أن يخلق، وأن يرزق، أن يحيي، أن يميت، أن يشفي مرضانا، أن يمنَّ علينا ويعطينا احتياجاتنا في هذه الحياة، **وينتهي دوره هنا:** ما يدخل في بقية شؤون حياتنا [ما عاد له حاجة، خلاص يبطل]، هذه نظرة البعض من المحسوبين على الإسلام، **أن حدود الولاية الإلهية لا يتجاوز الدور الذي تعارف عليه البشر على أنه دور خدمي:** يخلق لنا الأبناء، ويرزقنا بالأرزاق، ينبت لنا الأشجار، يمنّ علينا بالأمطار... وهكذا. الدور الذي تعارفنا عليه في واقعنا الحياتي على أنه دور خدمي.

البعض، لا بأس عندهم نظرة أوسع إلى الولاية الإلهية: أنها تتجاوز هذا الجانب، الذي هو: تلبية احتياجاتنا في هذه الحياة، تغطية احتياجاتنا في هذه الحياة، الإنعام علينا بما نحتاجه في هذه الحياة، الرعاية الإلهية في جانب الاحتياجات الإنسانية الخاصة بالطعام والشراب... وما إلى ذلك. إلى جانب آخر، **وهو:** التشريع،

بمعنى: أنه يمكن لله -**جلَّ شأنه**- أن يشرع لنا **أيضاً** باعتباره إلهنا، وأن يحلّ لنا شيئاً ويحرم علينا شيئاً آخر (يحل لنا الطيبات، يحرم علينا الخبائث)، ويضاف إلى الرعاية المادية، **الرعاية التشريعية:** بأن يدلنا ويعرفنا [هذا حلال، وهذا حرام، احذروا من هذا، واعملوا هذا، هذا فيه خيرٌ لكم، وهذا فيه شرٌ عليكم]، ولكن من دون أن يتدخل في أي آلية ضامنة للتنفيذ والانضباط ضمن شرعه ونهجه وتعليماته، فقط أشبه ما يكون لديهم بمستشار قانوني، يقدم، **يقول:** [هذا جيد، سابر، وهذا ما يصلح لكم] فقط، **يعني:** ما يتدخل في آلية التنفيذ، فيما يضبط عملية التنفيذ، فيما يرعى مسار الأمة ضمن النهج الذي رسمه لها، وهذا طرف لا بأس تقدم بخطوة إلى الأمام عن الطرف الذي لا يرى في الولاية الإلهية إلا الجانب الخدمي فحسب، ولا ينظر إلى أي اعتبار آخر، بل يتعاطى مع الله بوقاحة عجيبة.

ثم كلا الاتجاهين يريان في مسألة القيام بما يعنيه أمر الأمة، القيام في تصريف أو في توجيه الأمة: العملية التوجيهية، العملية الإدارية في واقع الأمة، التي تبنى عليها السياسات، والمسارات، والمواقف، وينظم على ضوئها واقع الأمة، أنه أمر ليس لله أي علاقة به ولا صلة به، وأنه ينبغي الحيلولة دون أن يتدخل في الموضوع نهائياً، وأن هذا أمر إلى الآخرين، مَنْ الآخرين؟ لنتأمل في واقع الأمة من كان هو البديل، من أتى؟ هذه الرؤية العبقرية تمخضت عن مجيء من؟ هذه الرؤية أضاعت الأمة، هذه الرؤية العقيمة التي منشؤها أحقاد، ومنشؤها حسد، ومنشؤها بغضاء، ومنشؤها تعصب، ومنشؤها جهل، ومنشؤها غباء... فتحت المجال للجائرين، للظالمين، للفاسدين، للمستهترين، لأن يجيئوا هم؛ فيتبوؤوا هذا المقام، ثم لا ذاك بقي، **الذي هو:** الشرع في أحكامه، وفي منهجه، على حسب ما يفترض أن يكون قائماً في واقع الأمة، **ولا المشروع الإسلامي في أبعاده الأخرى:** جوانبه الحضارية، جوانبه التربوية، جوانبه الواسعة، شؤونه الواسعة

المرتبطة بطبيعة الدور العالمي المفترض لهذه الأمة، كل هذا وذاك ذهب ضائعاً.

الرؤية الكهنوتية للولاية

هذه الرؤية أتاحت المجال، وقدمت التبرير والشرعنة لأن يكون المعنيّ بإدارة شؤون الأمة الإسلامية (من هب ودب)، فقط يُمكّن من الاستحواذ على واقع الأمة بقوة السلاح وإغراء المال، فمن تمكن أن يستحوذ على أمر الأمة، وأن يسيطر في واقع الأمة، مستنداً على قوة عسكرية وإغراء مادي، **فكيفما كان:** [جاهلاً، جائراً، فاجراً، ظالماً، فاسقاً...] ما هناك عندهم مانع ابداً [يتفضل]، ويوجبون على الأمة كلها أن تطيعه شرعاً، وتصبح طاعته عملاً إيمانياً وعبادياً وقربة إلى الله ﷻ **وتصبح مسألة تمكينه لممارسة هوايته في:** الظلم، والبطش، والجبروت، والاستحواذ على أموال الأمة، وتكوين ثروة شخصية، وتحقيق أغراضه وأهوائه الشخصية- التي تكون المسألة الرئيسية بالنسبة له- تصبح مسألة مطلوبة شرعاً، وأنه أمر **يجب** التسليم به، والخنوع له، والخضوع له، والتقبل له!!. هذه رؤية غريبة عجيبة **جدًّا**، ورؤية مسيئة إلى الإسلام؛ **لأنهم**- في الأخير- جعلوا الإسلام مطية للجائرين، والجاهلين، والفاسقين، والظالمين، والطغاة الذين ظلموا الأمة، **والذين عبثوا بالأمة:** أفقدوها قيمة الإسلام في مشروعه الحضاري، قيمة الإسلام في مشروعه التربوي، قيمة الإسلام في أثره العظيم لإقامة العدل في الحياة. في النهاية كأن العدل ليس من مطالب الإسلام ومقاصد الإسلام، وكأنه أمر هامشي في الإسلام، وقدموا صورة مختلة **جدًّا** عن المشروع الإسلامي كمشروع للحياة.

الرؤية هذه نستطيع القول عنها: أنها تمثل الكهنوت بكل ما تعنيه كلمة (كهنوت)؛ **لأنها** أعطت سلطة مطلقة- لا ترتبط بضوابط ولا بقيم ولا مبادئ- ابداً، للطغاة والجائرين، وأعطتهم شرعية دينية في ذلك، وكأن الله ﷻ (العظيم، والعزيز، والحكيم، والعدل) قد أعطاهم الشرعية والصلاحية الكاملة لفعل كل ذلك في مقابل

أن تخضع الأمة لهم، هذا هو الكهنوت، الحالة التي كانت قائمة لدى الغرب في أوروبا، في القرون الوسطى، في سلطة الكنيسة، **كانت على هذا النحو:** ناس يتصرفون بمزاجهم، برغباتهم، بأهوائهم، وعلى أساس أن لهم سلطة في هذا، أو شرعية دينية ليتصرفوا كيفما يشاءون ويريدون، والآخرون عليهم أن يطيعوهم، وهم يستندون إلى هذا.

الرؤية القرآنية في ثقافة يوم الولاية (في ثقافة الغدير)، وفي النص القرآني، تقدم رؤية مختلفة وإيجابية وبنّاءة وعظيمة، ولا يفترض النفور منها، الذي يفترض أن تنفر الأمة منه هو تلك الرؤية: التي ينتج عنها تمكين الطغاة والظالمين والجائرين والجهلة، رؤية تمكّن من لا يمتلك أي معايير، أي مؤهلات، **لأن** يتربع على عرش الأمة، وأن يتدخل في كل شئون الأمة، وأن يكون هو المعني بكل أمر الأمة، هذه رؤية عقيمة، هذه الرؤية التي **يجب** أن نشمئز منها جميعًا؛ **رؤية** ألحقت الأضرار الفادحة بالأمة عبر التاريخ، وأوصلت الأمة الإسلامية في هذا العصر المهم، في هذا الزمن المهم **جدًّا**، إلى مستوى أكثر الأمم غبنًا، وجهلًا، وتخلفًا، وضعةً، وسقوطًا، وتبعيةً للأمم الأخرى، وساقطة وضائعة تحت هيمنة أمم أخرى، وأقوام أخرى، واتجاهات أخرى، إلا القليل القليل في أوساط هذه الأمة؛ **فهي** الرؤية الغريبة التي يفترض النفور منها، والاشمئزاز منها، والانتقاد لها، والاحتجاج الشديد **جدًّا** عليها بأشد ما يمكن أن يكون من العبارات والمواقف.

النظرة القرآنية للولاية الإلهية

الرؤية القرآنية وِفق ما ورد في سورة المائدة، والتي كانت من آخر السور نزولًا في القرآن الكريم، وفي الآيات التي كانت من آخر الآيات التي نزلت في سورة المائدة، ومنها هذا النص: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، ولاية الله ﷻ مثلما هي ولاية الملك الحصري لهذا العالم بكله، وولاية الألوهية، وولاية الربوبية، هي- **أيضاً**- ولاية

تشمل واقعنا نحن البشر؛ **فنحن عبيده:** (مفطورون، ومخلوقون، ومربوبون له؛ **هو ربنا،** ملكنا، إلهنا؛ **وأوجدنا** لهدف، ولمشروع، ولدور)، وولاية تشمل- بالتأكيد- **الجانب التشريعي:** هو الذي يمتلك الحق -جلَّ شأنه- **أن يقول لنا:** [هذا حرام، وهذا حلال]؛ **لأننا** ملكه، وما بين أيدينا كله ملكه، ثم هو -جلَّ شأنه- الذي له الحق؛ **لأنه:** (الحكيم، العليم، الخبير، الرحيم، القوي، العزيز...)، الذي له حق أن يتخذ أي قرار شاء، وإذا اتخذ قراراً ما، أو أمراً ما؛ **فباعتبار** عزته، وحكمته، ورحمته، ليس مجازفةً، وليس عن جهل، وليس عن تصرف غير حكيم، أو عشوائي...أو غير ذلك. لا؛ **فإذاً له ولاية علينا في التشريع:** في أن يحل لنا، وأن يحرم علينا، وأن يفرض علينا، وأن يوجب علينا ما نعمل، وينهانا عما ينبغي أن ننتهي عنه... إلى غير ذلك.

ثم له -جلَّ شأنه- ولاية علينا في أن يرعى شأننا: (في تدبير أمورنا، في إدارة أمورنا)، **تمتد ولايته إلى هذا الجانب:** (إلى جانب الهداية، إلى جانب الإرشاد)، هو -جلَّ شأنه- من يقول في كتابه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢٥٧]، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كيف، هل هناك ساحة في الدنيا ومربع فيه نور وآخر فيه ظلام؛ فيأتي ويخرجهم من الساحة التي فيها ظلام (غَدَرْ، غَبَشْ)، ثم يذهب بهم إلى المربع الآخر أو المنطقة الأخرى التي فيها نور؟ النور، **والظلام:** كلاهما عبارة عن مفاهيم، عن عقائد، عن أفكار، عن تصورات، عن مشاريع عمل، **فإما أن تكون الحالة الظلامية:** مجموعة من الأفكار والمعتقدات، التي تبنى عليها توجهات، وتبنى عليها أعمال، وتبنى عليها مواقف، يبنى عليها مسار حياة. وإما أن تكون تلك الحالة الأخرى، حالة النور **كذلك:** مفاهيم، أفكار، تعليمات،

توجيهات؛ **تبنى** عليها توجهات، تبنى عليها حتى المشاعر النفسية، وتبنى عليها - أيضاً- مشاريع عمل. هذه هي الحالة القائمة في حالة النور وفي حالة الظلام.

فالنور: عبارة عن مشروع ومنهج في هذه الحياة: (فيه المعتقدات، فيه التعليمات، فيه التشريعات، فيه التوجيهات)، هو مسار حياة، مرتبطة بواقع حياتنا، في كل شؤننا. **والحالة الظلامية هي:** مجموعة من الأفكار الظلامية الخطيرة **جدًّا**، السيئة **جدًّا**، التي هي أباطيل وضلالات، التي تنحرف بالبشرية عن المسار الصحيح الذي يوصلها إلى رضوان الله ويحقق لها الدور الذي تشرف به وتسمو به في هذه الحياة، وتؤدي من خلاله دورها في استخلافها في الأرض ومسئوليتها في الأرض على أرقى مستوى.

يخرجهم من الظلمات إلى النور

كيف يعمل الله ﷻ في ذلك؟ عملية الإخراج هذه (من الظلمات إلى النور) كيف تتم؟ يرسل الله إلى عباده رسلاً، هؤلاء الرسل يأتون بهذه التعليمات، بهذه التوجيهات من الله ﷻ في كتب يأتون بها، **يترافق مع ذلك:** الدور العملي المباشر (مع ما يقدمونه، مع ما يبلغونه)؛ **فالرسل والكتب هما:** الثنائيان المتلازمان لمشروع الهداية الإلهية لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، تُجمع وتأتي تلك المفاهيم، تلك التعليمات، تلك التوجيهات، المعبر عنها بالنور؛ **لأنها** تضيء لنا دربنا في هذه الحياة، ومسارنا في هذه الحياة، حتى لا نضيع ولا نتيه، تأتي مع الرسل، قبل أن تكون مكتوبة تبلغ، وتكتب، وتوثق للبشرية، ويترافق معها نشاط ودور محوري ورئيسي، **مثلاً: الرسول نفسه معنيٌ بعملية التبليغ:** يكلم الناس، يبلّغهم، يتلو عليهم من الله ﷻ: (تلك التوجيهات، تلك المفاهيم، تلك التعليمات، تلك البصائر، تلك التوضيحات)، يترافق مع ذلك أن يكون هو معنياً إلى حدٍ كبير، ومرتبطاً- بشكل رئيسي ومحوري- بتلك التعليمات، **يكون هو:** أول من

يفهمها، من يستوعبها، من يؤمن بها، من يتأثر بها، من يجسدها، من يطبقها، من يلتزم بها، من يمثل القدوة في أدائها، من يرعى في النشاط العملي، **والسعي العملي في الواقع البشري:** العمل على إقامتها، على توجيه الناس في إطارها، على تحريك الناس من خلالها، على تفهيم الناس بها؛ حتى لا يفهموها الفهم الخاطئ، أو الفهم الناقص، أو الفهم القاصر .يعمل على دفع الناس للالتزام بها، على مواجهة كل التحديات التي تعترضها؛ **لأنه** يحصل ردة فعل في الواقع البشري.

يأتي من يعارض هذه التوجيهات، من يحارب هذه التعليمات، من يتصدى لهذه المفاهيم، من يناقش، من يجادل، من يسعى لإبطالها وإنكارها والتكذيب بها، أو العمل بطريقة أخرى إذا فشلت حالة التكذيب، وفشلت حالة الرفض لها، والتصدي لها، والإنكار لها جملةً وتفصيلاً، وانتصرت هذه الرسالة الإلهية **فيما فيها:** (من مضامين، من توجيهات، من تعليمات، من مفاهيم، من توضيحات، من أفكار، من تصورات، من عقائد)، **يعني:** بالنسبة لنا تصبح هكذا (حالة قائمة في واقعنا)؛ **يأتي مخاطر وتحديات أخرى:** احتوائية من جانب المبطلين، عملية تحريف للمفاهيم، إما من خلال افتراء نصوص جديدة تضاف وتحسب، وإما من خلال تحريف للمعاني التي حملتها النصوص المقدمة للأمة، والتوضيحات المقدمة للأمة في كتب الله، وفي حركة أنبياء الله ورسل الله.

فهذه العملية: هي عملية إخراج من الظلمات إلى النور، الأفكار الظلامية، العقائد الظلامية، المفاهيم الظلامية، التصورات الخاطئة التي يبنى عليها مواقف، يبنى عليها أعمال، يبنى عليها تحرك في الحياة، تصبح منهجاً يلتزم به- هنا وهناك- الكثير من الناس، ويتعصب له الكثير من الناس، وتصبح عقائد يتشبث بها الكثير من الناس؛ **يأتي** الرسل والأنبياء بهدي الله، بنور الله، بوحي

الله، بكلمات الله، بكتب الله، **وضمن نشاط تبليغي وعملي وتربوي وحركة واسعة:** يبلّغون، يجاهدون، يربّون، يقاتلون، يهاجرون، يعانون، يضحّون، يُكَوّنُونَ هم، في أدائهم الحركي والعملي الحالة التي تجسد تلك التعاليم، تطبّق تلك التعاليم، تحوّل تلك التعاليم إلى حالة عملية وحياتية قائمة في الواقع، جهد كبير ورئيسي، **يعني:** ليست العملية التي يكلف بها الأنبياء عملية إذاعية، كالشخص الذي هو مذيع، مذيع في التلفزيون أو في إذاعة، [ما بلا با يقرأ **الخبر:** بلغنا للتو، وصلنا للتو خبر عاجل ويقرأ البلاغ، وخلاص انتهت المهمة، وهو ذلك المذيع الذي سينتظر خبراً آخر يقدمه وخلاص اكتمل الموضوع!].

الأنبياء ليسوا مذيعين على منصات إذاعات أو تلفزيونات، بل لهم دور رئيسي وكبير **جدًّا** في الساحة العملية، هو يحمل هذا المشروع كمشروع حياة، يأتي يتحرك في الساحة على أساسه، يربي الناس على أساسه، يفهِّم الناس من خلاله، يغيّر الكثير من المفاهيم، يحدث تغييراً كبيراً في الساحة البشرية، في العادات، والتقاليد، والمفاهيم، والتصورات، والمواقف، ويتجه بالناس ضمن مسار عملي ومشروع حياة يتحرك فيه.

ولاية الرسول في مفهومها العظيم

هذه عملية إخراج الناس من الظلمات إلى النور ضمن الولاية الإلهية، بمعنى: أن واحداً أو جانباً رئيسياً من مفهوم الولاية الإلهية؛ **مثلما** هو خَلَق، مثلما هو رَزَق، مثلما هو أحيا وأمات، **مثلما هو يدبّر شؤون هذا الكون على نحو مستمر في حركته الكبرى:** حركة النجوم، وحركة الأقمار، وحركة الشمس، وحركة الأرض، وما في الأرض من كل التصرف الإلهي في الإحياء والإماتة والخلق، وكل العملية التكوينية والتدبيرية الواسعة **جدًّا** في هذا الكون، **جانبٌ آخر من ولايته هو هذا الجانب:** ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. هذا المشروع يقوم عليه

الأنبياء يؤدّون دورهم، ولهذا ﴿إِنَمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ يرعاكم رعايةً شاملة، رعاية المِلْك والتصرف، رعاية الألوهية، رعاية الربوبية، رعاية التشريع، رعاية الهداية، رعاية النصر، رعاية التأييد، رعاية شاملة تشمل كل نواحي ومناحي حياتكم.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ **امتداد لهذه الولاية في واقعها البشري**، من خلال حركة الرسل والأنبياء في تبليغ هدي الله، وتعليمات الله، ومنهج الله ﷻ والدور الذي يقومون به في إطار الحركة التبليغية، وهو دورٌ عمليٌ يحتم الله فيه طاعتهم؛ **لإنجاح** ذلك المشروع، ولتحويله إلى حالة قائمة في الواقع البشري، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء:٦٤]، ما هو مجرد فقط موعِّظ وإلا مُخبر، **يعني:** صاحب أخبار، صاحب تحرير صحفي، يحرر الأخبار ويبلغها، أو مذيع، لا، ﴿لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦]، ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ له هذه الولاية التي هي امتداد للولاية الإلهية ضمن هذا المشروع الإلهي، يبقى هو عبداً خاضعاً لله ﷻ يبقى في الواقع الذي يقول فيه ـ كما علّمه الله أن يقول- ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾، **يعني:** لا يمتلك سلطة التصرف المزاجي. لا، لا يمتلك أن يتصرف في الناس كما يريد، كما هي الحالة الأخرى في الفكرة الثانية في مفهوم الولاية بالمفهوم الآخر، ولاية أمر الناس بالمفهوم الذي يحارب ثقافة الغدير، ومفهوم الولاية وفق النص القرآني في ثقافة يوم الولاية، يعطون الجائر والمستكبر الظالم، يأتي [بِعم] جاهل ما يمتلك أي معرفة، أحياناً يحتاج إلى فريق حوله، يعلمونه ويبذلون جهداً كبيراً عليه كيف يستطيع أن ينطق، كيف يستطيع أن يقرأ من ورقة، كيف يستطيع أن يتعامل مع الناس التعامل الروتيني... ويحتاج جهوداً مضنية **جدًّا جدًّا** في ذلك، جاهل لا يمتلك أي معرفة، لا دينية ولا غير دينية، ويكون في نفس الوقت إنساناً

متسلطاً، جباراً، لا يمتلك الرحمة ولا الرأفة، وليس لديه أي مشروع للأمة نفسها، **مفهوم الولاية عنده:** التسلط على الناس، وممارسة حالة التسلط بما يرتكبه من مظالم وجرائم، وما يجمعه من ثروات، هذا مفهوم الولاية، ثم يعطونه مع ذلك وجوب الطاعة، وجوب الإذعان، وجوب الاستجابة له، والخضوع التام له.

الأنبياء ليست الحالة عندهم هذه الحالة، النبي وهو النبي، لا يمتلك سلطةً مطلقةً يتصرف فيها بمزاج أو هوى، إنما يتحرك كعبد لله ﷻ هو أول المؤمنين بنهج الله، أول المسلمين، عليه كل الالتزامات الدينية، وأحياناً عليه التزامات أكثر من بقية المسلمين، بل مستوى الالتزام عليه أكثر من مستوى التزامهم حتى في الالتزامات المشتركة، وعليه التزامات إضافية بحسب مهمته ودوره، الحرام حرام عليه، الحلال- **كذلك**- حلال له، الاستثناءات التي تكون بالنسبة له استثناءات تتعلق بمهمته الصعبة والكبيرة، وعليه التزامات إضافية أكثر مما على الأمة، وهو ذلك الذي هو عبد لله، خاشع لله، خاضع لله، ملتزم بنهج الله، مستقيم على أمر الله وتوجيهات الله، **فيقول:** ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾،﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾[الأنعام: من الآية١٠٦]، ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴾[يونس: من الآية١٠٩]، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: من الآية ١١٢]، لا تَجِد أو تنحرف عن هذا النهج ابداً، ويبقى هو في مقدمة المؤمنين هو ذلك الأكثر التزاماً، الأكثر طاعةً، **الأرقى والأعظم عبوديةً لله** ﷻ: لا يتفرعن، ولا يتجبر، ولا يطغى، ولا يتكبر على عباد الله، لا،، هو القدوة في التزامه الديني، القدوة في التزامه بنهج الله وشرع الله، وخضوعه لأمر الله ﷻ وهو في نفس الوقت الذي يحمل من مشروع الله، من نهج الله: قيمه في الرحمة، والحكمة، وإرادة الخير للناس على أرقى مستوى، فلا أحد يصل إلى مرتبة الأنبياء في رحمتهم بالناس، في عطفهم على الناس، في حنوِّهم على الناس،

في حرصهم الكبير، وأن يعزّ عليهم ما يلحق بالناس من ضرر، ولو أدنى ضرر.

هذه الولاية بمفهومها العظيم، كيف ننفر منها؟! كيف يقول البعض: لا، لا، لا نريد هذا المفهوم ابداً، نريد المفهوم الآخر، نريد مفهوماً يفتح المجال ويفتح كل الأبواب لكل جائر وظالم وطاغية ليأتي على عرش الأمة ويدوسها بحذائه، ويركعها لجبروته وطغيانه، ذاك هو المفهوم المريح بالنسبة للبعض!.

الإمام علي نافذة النور بعد الرسول الأكرم

هذا المفهوم الآخر (المفهوم القرآني)، مفهوم ثقافة يوم الولاية، قدّم الإمام علياً عليه السلام من موقعه الذي جعله الله فيه، والذي وصل إليه بإرادة إلهية، وتربية إلهية، وتربية نبوية، بمعايير إيمانية، باعتباره في هذه الأمة بعد نبيها أرقى هذه الأمة في كماله الإيماني ومستواه الإيماني، **وارتباطه بالمشروع الإلهي:** من حيث العلم بهذا المشروع والمعرفة، من حيث الارتباط العملي والالتزام الحياتي بهذا المشروع الإلهي، ومن حيث الائتمان عليه، ومن حيث التخلق بأخلاقه، ومن حيث-كذلك- الالتزام بقيمه ومبادئه، علي كان في هذا المستوى في واقعه في الأمة، كان في هذا المستوى، ويأتي لهذا الدور امتداداً لنبي الله، **لأنه** ما بعد الأنبياء هل انتهت المسألة؟! هل تنتهي ثمرة هذا النهج الإلهي، هل يغلق الله سبحانه وتعالى كل نوافذ النور هذه ويترك المجال للظلمة لتطغى في واقع البشرية؟ هل نافذة النور تغلق عندما يعرج بروح نبيٍ من الأنبياء؟ والنبي محمد هو خاتم النبيين [خلاص انتهى الموضوع، يجلس الباقي في الظلام إلى قيام الساعة]؟! لا، لا بد من الاستمرارية لهذا المشروع، ولهذا النهج الإلهي.

ما بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ **يأتي النص القرآني ليقول:** ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، مقدماً للإمام علي عليه السلام

ضمن مواصفاته الإيمانية الراقية، ليأتي التقديم له في البلاغ النبوي في يوم الغدير ضمن تشخيص واضح بالاسم، ((**فَهَذَا عَلِيٌّ**))، وبالإشارة إليه باسمه وشخصه، ماسكاً بيده، ومقدماً له من فوق أقتاب الإبل، ((**فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ**)).

ثقافة الغدير تقفل الباب على كل الطغاة والمتسلطين

الإمام علي عليه السلام **يستمر في هذا الدور ما بعد النبي** صلى الله عليه وآله وهو دور مهم، ودور أساسي في مرحلة العادة القائمة: هي حالة اختلاف بعد كل نبي من الأنبياء، وحالة نزاع بين أمته، فهل تترك هذه الأمة لتتنازع وتختلف، وتتفرق في دينها، في مفاهيم هذا الدين، أيٌّ منها يمثل الامتداد الحقيقي للنهج الإلهي، المفهوم الصحيح، والتعريف الصحيح، والمدلول الحقيقي للنصوص؟ لا، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ((**فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ**)).

تُقْفِل ثقافة الغدير كل الأبواب على كل الجائرين والمتسلطين والطغاة؛ **لأنها** قدّمت النموذج، وقدّمت للأمة ما يحفظ لها ويضمن لها أصالة الامتداد للنهج الإلهي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إن اختلفت الأمة، أو تباينت، أو تفرقت بعد النبي، مَنْ يوصلنا إلى هذا النبي؟ ها نحن اليوم بعد أجيال تلو أجيال من عصر النبي إلى اليوم، أمتنا تفرقت، أمتنا اختلفت، أمتنا تباينت في أكثر أمورها المتعلقة بهذا النهج الإلهي، إلى مَنْ نتطلع؟ هل تركنا هكذا ضحية في مرحلة من أهم مراحل التاريخ؟ أم أن هناك امتداداً لهذا النهج في أعلامه، في رموزه المؤتمنين؟ النبي حسم المسألة.

ولهذا لاحظوا، الشيء الذي كان طبيعياً- أن يحصل بعد حجة الوداع، وأثناء حجة الوداع، والنبي يخبر أمته أنه يوشك أن يدعى فيجيب، وأنه على وشك الرحيل من هذه الحياة- هو أن تكثر التساؤلات حول هذه المسائل بين أوساط

الأمة، وأن تسخن الاقتراحات والنقاشات والمداولات، فماذا بعد وفاته؟ كيف؟ ماذا سنفعل؟ ماذا سيحصل؟ لكن النبي لم يترك مجالاً لأن تنشغل الأمة بالتساؤلات والجدل والنقاشات والاقتراحات... إلخ. لا، حسم المسألة، وأوضح الحجة والمحجة لله ﷻ من خلال هذه النصوص، وما سبقها من نصوص كثيرة ومهمة وواضحة، فَقُدِّمَ لنا ضمن مفهوم هذه الولاية المفهوم الذي يضمن الامتداد الأصيل لمنهج الله ﷻ ويحدد لنا النموذج الأعظم والأرقى في الأمة الذي يمكن أن تكون الأمة متطلعةً إليه على الدوام؛ **لتعرف** من هم رموزها الذين ينبغي أن تلتف حولهم، أن تنتهج نهجهم، أن تأتمنهم في تجسيدهم لقيم الإسلام وأخلاقه، وفي تقديمهم لمفاهيم الإسلام ومدلول نصوصه، هؤلاء هم ((**فَهَـذَا عَـلِيٌّ مَـوْلَاهُ**)).

ثم تطلع إلى الإمام علي في زمن النبي، في حياته مع رسول الله تلميذاً يربيه النبي ﷺ ويعلّمه، ودوره في تلك المرحلة مع رسول الله ﷺ وفيما بعد رسول الله إلى حين استشهاده، ترى فعلاً ما فيه **أيضاً** شواهد واضحة على تلك النصوص، ومصاديق عملية وحقيقة لتلك النصوص التي تحدثت عنه.

ولاية الإمام علي عليه السلام لم تكن مجرد ولاية سلطة انتهت باستشهاده، بل ولاية اقتداء واهتداء، تبقى الأمة مرتبطةً بها على مدى الزمن في كل الأجيال، تبقى الأمة معنية بالالتفاتة الدائمة إلى علي عليه السلام لتستفيد مِنْ علي، كيف كان علي هذا في كل مراحل حياته، وفي كل مراحل دوره الكبير في الإسلام؟. وهذا الموضوع يأتي فيها لأخذ والرد، والنقاش، والحديث في مقامات كثيرة **جدًّا** لا تتسع له محاضرة.

الإسلام الأصيل منهج للخلاص

عموماً، نحن في هذا اليوم العظيم، وفي هذه المرحلة التاريخية التي نعيشها كأمة إسلامية تواجهنا الكثير من التحديات، والكثير من الأخطار، ما يحدث اليوم عندنا في اليمن، ما يحدث في بقية المناطق في العالم الإسلامي والساحة الإسلامية، بحاجة إلى أن نلتفت إلى أصالة الإسلام في منهجه، في قيمه، في رموزه، فنرى فيه النور الذي يخلّصنا من كل الظلمات، والذي ينقذ أمتنا من كل المحن، والذي يصحح لها واقعها في كل ما فيه من التباسات وأخطاء ومشاكل واضطرابات...إلخ. معنيون أن نتعاطى بمسؤولية فوق كل شيء، أن نترفع عن كل العصبيات، العصبيات داءٌ جاهليٌ بقي في داخل الأمة، وأثّر على الأمة كثيراً حتى في نظرتها إلى القرآن، إلى الرسول، إلى المفاهيم الإسلامية، معنيون اليوم أن نسعى إلى جمع كلمتنا على التقوى، على القيم الإسلامية الأصيلة، إلى معالجة كل المشاكل والمحن التي نعاني منها في واقع أمتنا الإسلامي.

الموقف المخزي! للأنظمة العميلة تجاه ما يجري في بورما

اليوم كلنا يرى، من يشاهد، من يتابع، من يحمل الاهتمام لمعرفة واقع الأمة الإسلامية، إلى جانب ما في داخل الأمة وفي ساحتها الداخلية من محن ونكبات وويلات ومآسٍ، نرى ما يحصل بحق المسلمين في بورما من مجازر الإبادة الجماعية والشاملة، والاضطهاد الكبير، وما يمكن أن يحصل في بلدان أخرى، وحصل في السابق في مناطق أخرى من العالم، المسلمون أمة مستهدفة، أمة مستهدفة بكل ما تعنيه الكلمة، ولا يضمن لهم أن يكونوا أقوياء في مواجهة كل التحديات والأخطار الرهيبة التي تستهدفهم؛ **إلا** أن تجتمع كلمتهم على الحق، وأن يعودوا إلى أصالتهم، أمة تتوحد، وتعتصم بحبل الله جميعاً، ثم تتحرك في مواجهة تلك التحديات والأخطار.

اليوم أين تلك الأنظمة التي تقدّم نفسها على أنها هي المؤتمنة على الأمة الإسلامية، والممثلة للإسلام والمسلمين؟ أين هو النظام السعودي، وأين هو النظام الإماراتي، مما يحدث على المسلمين في بورما؟ أين هم؟ أين مواقفهم؟ أين دورهم الذي يمنع هذا الظلم، تلك الإبادات الرهيبة بحق المسلمين هناك؟ إبادات شملت عشرات الآلاف منذ بدايتها إلى اليوم، عشرات الآلاف من المسلمين قتلوا هناك بالذبح وبالحرق، وبوسائل الإبادة الجماعية، إبادات وجرائم تحدث هناك بحماية أمريكية، وتشجيع أمريكي، الأمريكي يعلن أنه يرفض حتى اللوم للسلطة المجرمة هناك في بورما التي ترتكب بحق المسلمين ما ترتكب من جرائم، يقول الأمريكي: [أنا أرفض حتى أن يلام من يرتكبون هذه الجرائم]، إسرائيل تزود السلطة والبوذيين في بورما بالسلاح لإبادة المسلمين، والآخرون يأتون ليرتبطوا بأمريكا كل الارتباط بعد أن ابتعدوا عن الولاية في مفهومها الإسلامي الصحيح، أتو ليرتبطوا بالولاية للأمريكي؛ **فيفتحوا** له المجال للتدخل في كل شؤون أمتنا بلا استثناء، اليوم الأمريكي يتدخل في كل شؤوننا في الساحة الإسلامية، شؤوننا السياسية، وشؤوننا الاقتصادية، وشؤوننا الثقافية، شؤوننا الفكرية، شؤوننا الاجتماعية، في كل تفاصيل حياتنا، وفي كل شؤون حياتنا، ويصيغ برنامجاً يأخذ من الإسلام شكليات معينة، ثم يكون في واقع الحال على النحو الذي تحقق من خلاله مصالح أمريكا فوق كل اعتبار، فوق كل شأن، فوق كل مسألة. المسألة الأولى والرئيسية تكون على هذا النحو، **هي هذه النتيجة في الأول:** فُتِحَ المجال للجبارين والجائرين والظالمين، ثم ولاية الأمر اليهودية والصهيونية والأمريكية، لتكون هي من يحكم واقعنا.

نحن لا يسعنا في هذا المقام أن نتحدث عن كثير من التفاصيل المتعلقة بالوضع في بلدنا، والوضع في منطقتنا، لكن لنا كلمة قريبة إن شاء الله في الأيام القادمة نتحدث فيها عن كثير من المسائل المهمة.

قبل الختام.. نقطة مهمة!

يبقى لنا أن نتحدث عن واحدة من المسائل المهمة في هذه الكلمة، وهي فيما يعنينا في وضعنا الداخلي في اليمن:

أنا أؤكد لشعبنا العزيز، وكذلك في هذا الشعب للوجاهات، والحكماء، والعقلاء، والنخب، أن وحدتنا الداخلية في هذه المرحلة بالذات، وتماسك جبهتنا الداخلية في هذا التوقيت بالتحديد مستهدفٌ بشكلٍ كبير، وأن هناك سعياً مكثفاً من قوى العدوان على ضرب وحدة صفنا وتماسك جبهتنا الداخلية؛ **بغية** التسهيل للأعداء مهمة الدخول إلى هذا البلد، واحتلال هذا البلد، هناك جهد كبير، وهناك تأثير- إلى حدٍ ما- في بعض القوى، بعض القوى التي ثَقُلَ عليها وكَبُرَ عليها شرف التصدي للعدوان، فكأنها ترى فيه شرفاً أكبر من رصيدها في الماضي، نحن إن شاء الله سنتحدث عن كثيرٍ من الأمور المهمة، فيما يعني واقعنا في هذا البلد وفي المنطقة في كلمة قريبة، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما يرضيه.

اللهم إنا نتولاك، ونتولى رسولك، ونتولى الإمام علياً عليه السلام، ونتولى أعلام الهدى أولياءك، ونبرأ إليك من أعدائك من كل الظالمين والجائرين والمستكبرين والمفسدين في الأرض، اللهم تقبل منا يا سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٩هـ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألَّا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

اليوم احتفل شعبنا العزيز بمناسبةٍ إسلاميةٍ عظيمةٍ ومهمة، ويحتفل كثيرٌ من المسلمين بها في أقطارٍ كثيرة من العالم، سواءً من كانوا سيحتفلون اليوم، أو من سيحتفلون في الغد، بحسب اختلاف التواريخ، وهذه المناسبة العزيزة والمهمة هي مناسبة يوم الغدير **(ذكرى يوم الولاية).**

يوم الغدير، تلك المناسبة عظيمة الشأن وبالغة الأهمية، والتي عندما نتأمل فيما يتعلق بها ويتصل بها من نصوصٍ قرآنية، ونتأمل في ذلك البلاغ الذي أعلنه الرسول ﷺ في ذلك اليوم العظيم، ندرك جيدًا أهمية هذه المناسبة،

وعلاقتنا بهذه المناسبة من واقع انتمائنا الديني، وهويتنا الإسلامية والإيمانية.

وشعبنا العزيز اعتاد على مرِّ التاريخ وعبر الأجيال أن يحتفل بهذه المناسبة، وليست مناسبةً طارئةً في واقعه. لا، هي مناسبة كان يحتفل بها أسلافنا وأجدادنا على مرِّ التاريخ- كشعبٍ يمني- بحكم هويته الإيمانية، وأصالته في تمسكه بقيم الإسلام ومبادئ الإسلام، واستيعابه لمفاهيم عظيمة في هذا الإسلام العظيم.

ونتحدث الآن عن هذه المناسبة أولًا في طبيعة البلاغ، والنصوص القرآنية المتصلة بها، وندخل ضمن ذلك على كثيرٍ من المفاهيم الرئيسية ذات الأهمية القصوى في الإسلام، والتي لابدَّ لنا- كمسلمين- من التركيز عليها، والسعي لاستيعابها، والسعي للالتزام بها كمبادئ ومفاهيم قرآنية وإسلامية.

الأهمية الكبرى لبلاغ يوم الولاية

الرسول ﷺ **وهو عائدٌ من حجة الوداع،** والتي سميت بهذا الاسم؛ **لأن** الرسول ﷺ عندما تحدث فيها؛ أشعر أمته الإسلامية، ومن خلال تحدثه إلى المجاميع الكبيرة (عشرات الآلاف من الحجاج) أنه على وشك الرحيل من هذه الحياة، وبالتالي كان هناك أهمية قصوى لكل ما يركِّز على تقديمه إلى أمته، وعلى تبليغه للناس؛ **لأنه** وهو في المرحلة الأخيرة من حياته، وقبل رحيله من هذه الحياة، يركِّز على أهم المسائل، ويركِّز على استكمال ما تبقى مما ينبغي التأكيد عليه، أو تقديمه إلى الأمة مما له صلة أساسية بدينها.

الرسول ﷺ **وأثناء عودته من حجة الوداع،** وعندما بلغ إلى وادٍ يسمى خُمًّا، وهو ما بين مكة والمدينة، وهو إلى مكة- كما يقال- أقرب منه إلى المدينة، نزل عليه قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ

﴿تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، كان ذلك في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، هذه الآية العجيبة المضمون، والمهمة المضمون، والساخنة المضمون، تأكيد على رسول الله ﷺ بأن يبلِّغ ما أنزل إليه من ربه، موضوع معين له أهمية قصوى، بلغت أهميته لدرجة أن الله قال له في ذات الآية: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

بأدنى تأمل- مع التجرد من الأهواء والعصبيات، ومع التوجه الصادق نحو الله سبحانه وتعالى وطلب الهداية- يتجلى لنا كم هي أهمية موضوعٍ يخاطب الله نبيه بشأنه بهذا الخطاب! ويقول له بهذا النص: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾، **يعني**: لم تبلِّغ هذا الموضوع ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، غياب هذا المبدأ الذي مطلوبٌ منك وأنت مأمورٌ من الله أن تبلِّغه، غيابُه، أو كذلك تجاهله يمثِّل مشكلةً كبيرةً، وتمتد آثارها السلبية والسيئة على واقع الدين بكله، حتى يبقى ما بقي من الدين بكله في كل تشريعاته، في كل توجيهاته، في كل قيمه، في بقية محتواه، وكأنه لم يُبلَّغ، يكون عديم الجدوى، يكون عديم التأثير، تتعطل آثاره وفوائده وثماره التي هي مفترضةٌ من دين الله سبحانه وتعالى حتى كأنه لا شيء منه في واقع الحياة، هذا النص القرآني يدلل على أهمية هذا المبدأ، هذا الموضوع الذي له أهمية قصوى في فاعلية الدين بكله، في حيوية الدين بكله، في أن تتحقق آثار هذا الدين في مجمل وتفاصيل تشريعاته وتوجيهاته وتعليماته، فما هو هذا الموضوع؟

هذا النص الإلهي، وهذا الأمر الإلهي، وهذا التوجيه الإلهي أتى إلى النبي ﷺ وأُنزل عليه في آخر أيام حياته، ما قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر، إذا جئنا للنظرة إلى الدين، وإلى تعليمات هذا الدين، وإلى مبادئ هذا الدين، وإلى أسس هذا الدين، وإلى شرائع هذا الدين، وإلى أحكام هذا الدين؛ **نجد** أنها في

هذا الزمن كانت قد نزلت، أكثرها كان قد نزل، كل ما يتصل بمسألة التوحيد قد نزل، **ومن أول ما نزل:** مسألة التوحيد، ومحاربة الشرك، وما يتصل بمعرفة الله ﷻ والجوانب الإيمانية ذات الصلة بهذا الموضوع. أبرز الأحكام الشرعية والإسلامية كانت قد نزلت، **مثلًا**: أركان الإسلام الخمسة، كلها قد قُدِّمت إلى الأمة: مبدأ التوحيد، مسألة الصلاة، مسألة الزكاة، مسألة الصيام، مسألة الحج، كلها كانت قد نزلت. المواقف ذات الأهمية الكبرى من كل كيانات الطاغوت وقوى الشر والباطل، الموقف المتعلق بالكافرين من اليهود والنصارى، وكل الفئات الحاضرة في الساحة المحلية والعالمية- آنذاك- كانت قد نزلت وبشكلٍ حاسم، بما في ذلك المواقف ذات الصلة باليهود أو بالنصارى، كلها كانت قد نزلت، والنبي ﷺ قد قطع شوطًا عظيمًا ومهمًا في هذا الجانب حتى على المستوى العملي، **مثلًا**: فيما يتعلق بالصراع مع اليهود، تحدد الموقف منهم، واتُخِذ عمليًا الموقف اللازم منهم، وهُزِمُوا، وطُرِدَ أكثرهم من الجزيرة العربية، البعض منهم قُتِلوا في ظل الحروب معهم، والبعض منهم أرغموا على دفع الجزية واستسلموا للدولة الإسلامية، خلاص تجاوز المشكلة معهم؛ **يعني**: لم يبقَ هناك شيء إضافي يمكن أن يمثِّل حساسية كبيرة في تبليغه للناس، أو في تقديمه للناس، مما يتصل بالمواقف من كل تلك الفئات التي هي خارج إطار الإسلام والأمة الإسلامية، والتي لها مواقف، أو هناك صراعات معها في الساحة العالمية. لا، الروم، غيرهم، المسألة هذه خلاص استكملت من الأساس.

في الساحة العربية محاربة الشرك، محاربة الظواهر السيئة **جدًّا** على المستوى الأخلاقي، على المستوى الحياتي، على مستوى العادات والتقاليد، في الحلال والحرام والشرائع والأحكام قد نزلت، وقد قُدِّمت، وقد سادت في الواقع العربي، وقد فرضت نفسها في واقع الحياة بسعيٍ حثيثٍ من رسول

الله ﷺ وجهدٍ عظيم في التبليغ والسعي في التطبيق، وبتأييدٍ من الله ﷻ.

فما هي هذه المسألة بالغة الأهمية، ما هو هذا الموضوع؟ الرسول ﷺ هو الذي يعلِّمنا، ومنه نعرف ما هو هذا الموضوع المهم، وما الذي فعله بعد نزول هذه الآية المباركة في ذات اليوم نفسه، بل في بعض الآثار في تلك الساعة نفسها.

الترتيبات الكبيرة للبلاغ الساخن

الرسول ﷺ جمع الحجيج، أبلغ من قد تقدَّم منهم أن يعود، قلة أو البعض منهم كانوا قد تجاوزوا قليلًا أو يسيرًا ممن كانوا قبله في القافلة، والمنطقة نفسها هي لا زالت منطقة يتواجد فيها كل الحجاج، قبل أن يتفرقوا إلى الآفاق ويتجهوا إلى بلدانهم، وانتظر للمتأخرين حتى اجتمعوا، الكل جُمِعوا في صعيدٍ واحد، في مكانٍ واحد، في ساحةٍ واحدة، وفي منتصف النهار، كل الإجراءات التي عملها الرسول ﷺ تتناسب تمامًا مع طبيعة النص القرآني، مع سخونة هذا النص القرآني، **مع قوة هذا النص وهذا التعبير القرآني:** ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، اهتمام كبير، وتصرف يعطي أهميةً كبرى لما سيقدم، ذلك الاستدعاء، وعملية التجميع في تلك الساحة في تلك اللحظة بالتحديد، في وسط النهار، في منتصف النهار، في أشد وقتٍ من الحرارة والقيظ، الجميع جمع في نداءٍ عاجل، وتجميع بطريقة تعطي أهمية لموضوع بالغ الأهمية سيقدم.

جمعوا كلهم، وجلسوا، اتجهت أنظارهم إلى الرسول ﷺ وقد أعد له مكان مرتفع ليكون قائمًا مقام المنبر، وجمع من أقتاب الإبل، ولكثرة الناس وكثرة الحجاج أصبح ذلك المكان الذي رصَّت فيه أقتاب الإبل أصبح مكانًا مرتفعًا، صعد عليه ومعه شخص، ذلك الشخص هو عليّ بن أبي طالب، وعليّ شخصية

معروفة لدى المجتمع الإسلامي- آنذاك- ليس شخصًا غريبًا عليهم، الرسول ﷺ صعد ووجَّه خطابه الهام **جدًّا**، في ذلك الجو الذي كله يقدِّم صورة عن أهمية الموضوع إلى أقصى حد، اتجهت أنظار عشرات الآلاف من المسلمين إلى رسول الله ﷺ بانتظار ما سيقدمه وما سيعلنه، فهناك بلاغ تاريخي هام وفي مرحلة مهمة.

الخطاب التاريخي العظيم

خطب رسول الله ﷺ خطابًا تاريخيًا وعظيمًا ومهمًا، وهيأ في مقدمة حديثه الذهنية العامة لذلك الموضوع الرئيسي، حتى وصل إلى صلب الموضوع ثم قال لهم: ((**يَا أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ اللهَ مَولَايَ، وَأَنَا مَولَى المُؤمِنِينَ، أَولَى بِهِم مِن أَنفُسِهِم، فَمَن كُنتُ مَولَاه، فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاه**))، وكان قد أمسك بيد عليه، ثم رفع يده ويد عليٍّ عليه السلام إلى الأعلى، **يقول الرواة:** [حتى رُؤي بياض أبطيهما]، ارتفاع يديهما، ((**فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاهُ، اللهُمَّ وَال مَن وَالَاهُ، وَعَادِ مَن عَادَاهُ، وَانصُر مَن نَصَرَه، وَاخذُل مَن خَذَلَه**))، هذا البلاغ الذي قدَّمه الرسول ﷺ استجابةً لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يحمل مضمونًا مهمًا ومبدأً عظيمًا، وليس من المنطق نهائيًا أن تأتي الآية المباركة بهذه اللغة القوية، بهذا المنطق القوي، بهذا التعبير الذي له مضمون يدل على أهمية كبيرة لما سيؤمر، أو لما أُمر بتبليغه، ويتخذ الرسول ﷺ تلك الإجراءات التي هي إجراءات استنفار، وإجراءات فعَّالة، تقدم بذاتها عن موضوع في غاية الأهمية، ثم يقول هذا الكلام، ويقدمه بهذا التسلسل، ثم تكون المسألة: لا، موضوع طبيعي **جدًّا**، وليس له أي مضمون أو مدلول مهم، هذا ليس منطقيًا ابدًا.

كما قلنا هذا المبدأ العظيم، وهذا الموضوع المهم يحتاج إلى أن يتعامل معه الإنسان بإيمان وتقوى، وتجرد من الأهواء والعصبيات، تجرد تام، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: من الآية ٤٦]، أن يتجرد الإنسان من كل الأهواء والعصبيات؛ **لأن** المسألة مهمة، ومحسوبٌ أهميتها بالنص القرآني نفسه، بالبلاغ النبوي ذاته، بالطريقة التي قدَّم فيها الرسول ﷺ ذلك البلاغ.

ثم نأتي- أيضًا- إلى نصٍ قرآني آخر له علاقة مهمة- أيضًا- ندخل إلى ذلك النص، ثم نأتي- أيضًا- لحديثٍ أوسع، ثم نعود من جديد- إن شاء الله- في آخر الحديث إلى نفس البلاغ النبوي.

يوم كمال الدين

هناك نص قرآني آخر، من المأثور عن رسول الله ﷺ أنه- أيضًا- نزل في نفس اليوم، وله علاقة مباشرة وصلة تامة بذلك البلاغ، هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة من الآية: ٣]، هذه الفقرة القرآنية، هذا النص القرآني العظيم- أيضًا- له دلالة مهمة **جدًّا**، ﴿الْيَوْمَ﴾، هي تحكي عن مرحلة معينة، عن مناسبة واضحة، ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾، هذا النص القرآني يدل بكل وضوح على أن الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم، وبماذا؟ بمجرد يوم هكذا دخل، كان الإسلام عبارة عن مرحلة زمنية معينة يحتاج إلى يوم إضافي واكتمل؟. لا، اكتمال هذا الدين بشمولية ما تناوله من شؤون حياتنا كبشر، حياة الإنسان كإنسان، حياة المجتمع كمجتمع، كمال هذا الدين أن يكتمل فيما يشمله ويتناوله من كل ما له صلة بحياة هذا الإنسان، مما تتعلق به مسؤوليات هذا الإنسان، مما يترتب عليه

فلاح هذا الإنسان أو خسرانه، هذا هو كمال الدين، كمال يتصل بواقع حياته، بشؤون حياته، بمسؤولياته، بمستقبله، وعندما نأتي إلى هذا **يعني**: أن الدين لم يترك شيئًا ذا أهمية من شؤون هذا الإنسان إلا وتناوله من كبير الأمور وصغيرها، كل شيء مهم من واقع هذا الإنسان، يحتاج فيه هذا الإنسان إلى هداية، يحتاج إلى توجيهات، إلى تعليمات من الله ﷻ إلا وتناوله.

الربط بمصادر الهداية أعظم نعمة على البشرية

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، وما أعظم نعمة الإسلام، ما أعظم نعمة الإسلام؛ **لأنه** دين الله، توجيهات الله وتشريعاته وتعليماته، التي أتت من منطلق رحمته، وهو أرحم الراحمين، من منطلق حكمته، وهو أحكم الحاكمين، من منطلق علمه، وهو المحيط بكل شيء علمًا، والعليم الخبير بمصلحة هذا الإنسان، وما يسعد هذا الإنسان، وما يصلح حياة هذا الإنسان، وهو الذي يريد الخير والسعادة والفلاح لهذا الإنسان، هو ربنا الرحيم بنا، الكريم، العظيم، العلي، الحكيم، هو -جل شأنه- من لا يمكن لأي طرف ولا لأي جهة أن يقدم لنا في واقع حياتنا لا تعليمات، ولا تشريعات، ولا توجيهات أهدى، أو أرحم، أو أحكم، أو أنسب، أو أفضل، أو أرقى مما يأتينا من الله ﷻ وهو ربنا الذي له حق الربوبية علينا، وعلينا حق العبودية له، نحن عبيده، **يجب أن نكون في حياتنا هذه متجهين على أساس:** توجيهاته، وتعليماته، وإرشاداته، وشرعه، وأمره، وحُكمه، وهذا هو أساس الدين اصلًا، الدين يمثِّل نعمةً عظيمةً من الله ﷻ وهو ينقذ هذا الإنسان من الارتباط بالمصادر الأخرى، التي هي الطاغوت، الطاغوت الذي يستعبد هذا الإنسان ويستغل هذا الإنسان، والإنسان في واقع هذه الحياة إما أن يكون له علاقة وارتباط تام وتوجه على أساس دين الله وتعليماته وتوجيهاته، فيكون عبدًا لله، متجهًا

على أساس هديه ونوره، ومرتبطًا بمصادر الهداية من الله ﷻ وإما أن يكون في حالةٍ أخرى هي ارتباط بمصادر أخرى تؤثِّر عليه، توجِّهه، تتحكم به، تستغله، تستعبده، لا فكاك للإنسان بين أن يكون في اتجاهٍ من هذين الاتجاهين ابدًا ابدًا.

وعندما نأتي إلى هذا الإسلام العظيم بنبيه وقرآنه، فإن النعمة هي هذه النعمة، **ارتباطنا بمصادر الهداية الإلهية:** القرآن، كتاب الله، وحيه، كلماته، نوره، تعليماته، توجيهاته، كلماته التامة بالعدل والحق والخير والرحمة والحقائق، ونبيه، رسوله، خاتم أنبيائه، محمد ﷺ الذي هو- أيضًا- صلة بيننا وبين الله، تلقى هذا النور، وأتى بهذا الوحي، أتى بهذا الهدى، بلَّغ هذه الرسالة، ثم كان هو أول المسلمين، وأول المصدِّقين بهذا الحق، وأول وأعظم المتمسكين بهذا الهدى، وأعظم الخلق عبوديةً لله والتزامًا بنهج الله ﷻ والقدوة والقائد الذي يتحرك بنا بناءً على أساس هذا الهدى، يربي على أساسه، يهدي على أساسه، يقيم واقع الحياة بناءً على أساس هذا النور وهذا الهدى.

مصادر الهداية: الرسل والأنبياء صلة تصلنا بالله ﷻ صلة موثوقة، صلة سليمة، صلة صادقة، يصل من خلالها إلينا نور الله، هديه، تعليماته، نوره؛ **فنزكوا** بهذا الهدى، ونعتز بهذا الهدى، ونتخلص بهذا الهدى من كل أشكال الاستعباد والاستغلال من كل قوى الطاغوت وأدواتها المضلة.

ولذلك نحن نلحظ وضعية ما قبل الإسلام كيف هي، ما قبل مجيء رسول الله ومجيء القرآن كيف هو الوضع، كيف هي الحالة السائدة في واقع البشر، الحالة الخطيرة **جدًّا، الحالة الجاهلية:** هي حالة انفصال عن مصادر الهداية، **هذه حالة الجاهلية:** حالة انفصال عن مصادر الهداية، ثم يخضع الإنسان في ظل هذه الحالة من الانفصال عن مصادر الهداية يخضع

في توجهاته في الحياة، وانطلاقته في واقع الحياة، **لما يأتيه من قبل آخرين، غير مصادر الهداية:** (قوى الطاغوت)، القرآن يسمي الجهات الأخرى التي يرتبط بها الإنسان كبدائل عن مصادر الهداية، يسميها القرآن بالطاغوت.

ما ذا يعني الطاغوت؟ وما هو دوره الخطير؟

الطاغوت: كل تلك الكيانات، أو الأشخاص، إما كيان، وإما شخص، وإما منهج يرتبط به الإنسان كبديل عن مصادر الهداية، ثم يتأثر به، يسير في هذه الحياة على ضوء وعلى أساس ما يقدم إليه منه، تلك البدائل التي هي الطاغوت؛ **ارتبط** بها البشر، وارتبطت بها المجتمعات البشرية، تأثرت بها، **تلقت منها:** المفاهيم، التصورات، الأفكار، وبنت على ذلك حياتها، **بنت على أساس ذلك:** الحياة، المواقف، السلوكيات، التصرفات، التوجهات، ومن خلال ذلك يستغل هذا الإنسان ويستعبد هذا الإنسان.

مع أن قوى الطاغوت وهي تسعى إلى التأثير على هذا الإنسان، التأثير عليه في تفكيره، في أفكاره، في تصوراته، في عقائده، في المفاهيم التي ينطلق على أساسها في هذه الحياة، فيما يعمل، وفيما يترك، وفي مواقفه، وفي ولاءاته، وفي عداواته، وفي مختلف تصرفاته في هذه الحياة- أحيانًا- حتى قد تتخاطب مع هذا الإنسان حتى باسم الدين، وقد تنطق عن الله افتراءً على الله وزورًا على الله، لكي تقنع هذا الإنسان؛ **لأن** قوى الطاغوت هي تدرك أن هذا الإنسان مفطورٌ من الأساس على التدين، على معرفة أو استشعار أن عليه أن يعبد الله، أن يطيع الله، أن يلتزم بأمر الله، على أن يعيش عبدًا لله، فتأتي قوى الطاغوت حتى في كثيرٍ، بل في أكثر الأحوال، وفي أكثر المجتمعات، وفي

أكثر مراحل التاريخ، لتخدع هذا الإنسان، وتضل هذا الإنسان، وتستغل هذا الإنسان، وتقنع هذا الإنسان بعقائد وأفكار وتصورات معينة، ومفاهيم معينة يبني عليها أعماله واتجاهاته في الحياة، وتحسبها على الله ﷻ وتعترف بالله.

المجتمع الجاهلي يتصور البعض أنه كان مجتمعًا ينكر وجود الله، هذه صورة منتشرة في ذهنية الكثير من الناس، ويتوقع عندما يسمع بالكافرين، عندما يتحدث القرآن الكريم عن الكافرين في المجتمع الجاهلي، عن المشركين في المجتمع الجاهلي، أنه كان مجتمعًا منكرًا لله من الأساس، **يعني**: مجتمعًا لا يعترف بوجود شيء اسمه الله. لا، المسألة ليست كذلك، إذا جئنا إلى ما يحدثنا به القرآن عن المجتمع الجاهلي الكافر والمشرك، والمرتبط بالطاغوت، والجاحد للرسالة الإلهية، والمنكر للنبوة، والرافض تمامًا للرسول والقرآن، هذا المجتمع يقول الله عنه في القرآن الكريم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: من الآية ٨٧]، فهم معترفون بالله، ومعترفون بأنه الخالق، أكثر من ذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: من الآية ٦١]، هذا العالم بسماواته وأرضه من هو الخالق له؟ ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، أكثر من ذلك ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]، فهم كانوا يعترفون بالله أنه موجود، أنه الخالق، أنه الرازق، أنه مدبر شؤون السماوات والأرض، أنه من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، أنه من يملك السمع والأبصار... هم يقرُّون بهذا كله، ويعترفون بهذا كله.

قوى الطاغوت وخداعها للناس

وفي الوقت نفسه يحاولون أن يحسبوا بقية العقائد التي هي خروج عن هذا الإقرار، وتنكر لهذا الإقرار، يحاولون أن يحسبوها على الله ﷻ يقول الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤٨]، يحاولون أن يحسبوا حتى عقيدة الشرك، وهي أسوأ عقيدة وأفظع عقيدة يتنكر الإنسان فيها لأعظم مبدأ، وهو مبدأ التوحيد، حتى في هذه الحالة يحاولون أن يحسبوا هذه العقيدة على دين الله، وأن يشرعنوها ويحسبوها كعقيدة مقرة ومعتبرة في الدين الإلهي، يحاولون أن يخدعوا الناس بهذا. وإلا لو جئنا- مثلًا- إلى حكاية من أعجب الحكايات، من أغرب الحكايات في الواقع البشري، وهي: حكاية عبادة الأصنام الحجرية والخشبية، وأي أصنام مصنوعة من أي مواد أخرى، تلك الأصنام التي كانت تصنع من مادة معينة، من الحجار، نحتت من الصخور، أو من الأخشاب، أو من مواد أخرى، ثم إما تشترى، وإما تقدم هدية بعد إكمال عملية الصناعة لها، ثم تقدَّم على أنها آلهة، ويطلب من الناس أن يعبدوها وأن يعتبروها آلهةً مع الله، وأن يجعلوها شريكًا لله في الملك، وشريكًا لله في الأمر، **ويطلبون منها:** النصر، والرزق، والخير، ووو...إلخ. ويتقربون إليها بالعبادة بشكل صريح، وليس إلزاميًا، هل كانت تلك الأصنام الحجرية في نفسها وفي ذاتها ذات جاذبية، ذات تأثير، تستطيع أن تصنع قناعة في الذهنية البشرية، في فكر الناس، في قلوبهم، وأن تجعلهم يعتقدون عقيدة أنها آلهة مع الله؟ لا، كان هناك من يأتي من واقع البشر من يصنع عقيدة كهذه، هو الصنم الحقيقي الذي يصنع عقيدة كتلك العقيدة، من يتمكن من خداع البشر وتضليلهم، من يصل به الحد في سعيه لإقناعهم

أن يقدم عقيدة كهذه، على أنها عقيدة أتت بمشيئة الله وبإذنه، وأنها من الله، وأن الله يريد منكم هكذا، فينطق عن الله بالزور، والافتراء على الله، والكذب على الله، ثم تأتي تبريرات كهذه ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام: من الآية ١٤٨].

ليس على المستوى العقائدي فحسب، تأتي المسألة- أيضًا- إلى بقية التفاصيل، إلى الحلال والحرام، فتصنَّف أشياء معينة على أنها حلال، وتصنَّف أشياء معينة على أنها حرام، هذا في المجتمع الجاهلي، في المجتمع الجاهلي نفسه، وأشياء مهمة هي من الحلال تحرم، وأشياء محرمة- في واقع الحال- في دين الله يقدِّمونها في قائمة الحلال، كل هذا يحسب على من، وكيف يقدَّم للناس؟ وكيف تتمكن قوى الطاغوت التي تضل الناس، وتؤثر عليهم، وتحوِّل ما تقدِّمه لهم كالتزامات دينية يلتزمون بها تدينًا، وتصبح جزءًا أساسيًا في التزامات الناس وممارساتهم الحياتية، وقناعاتهم التي يتشبثون بها، ويتعصبون لها، ويغضبون من أجلها، بل ويقاتلون في كثيرٍ من الأحيان من أجلها، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[النحل الآية: ١١٦]، **(لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ)**: يكذبون على الله، فيحرمون شيئًا ما، وعلى أساس أن يحسب هذا التحريم باسم أنه تحريم من الله، وفي شرع الله، وفي دين الله، وأشياء تقدَّم على أنها حلال، ويحسب هذا على ماذا؟ على دين الله، وباسم دين الله، وباسم شرع الله، يقال:

[ذاك حلال، وذاك حرام]، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[يونس: الآية ٥٩].

فقوى الطاغوت كانت تتخاطب مع الناس حتى باسم الدين، وكانت تأتي إلى كثير من العقائد والأفكار والتصورات فترسخها في أذهان الناس، وتتحول إلى عقائد يعتقد بها الناس، ويتعصب لها الناس، وبناءً على أنها دين يمثِّل دين الله، محسوبة على الله ﷻ وهي افتراء على الله ﷻ.

ثم في الحلال والحرام كذلك: أشياء معينة يستحلها الناس، بناءً على أنها من حلال الله، وأشياء معينة يحرمها الناس، بناءً على أن الله حرمها، والمسألة هناك وهناك، في العقائد وفيما قدم بصفة الحلال وبصفة الحرام: افتراءات على الله، وادعاء كذب وبهتان على الله ﷻ **يقدم من جهات محترمة في أوساط الناس:** زعامات، **شخصيات تُقدم على أنها:** أحبار، رهبان، كهنة... صفات معينة، وشخصيات وازنة في المجتمع، يتأثر بها الناس، ويتقبلون منها، ويتأثرون بها، وبما تقدمه إليهم محسوبًا على الله ﷻ.

فالمسألة مسألة خطيرة جدًّا، حتى- مثلًا- في قصة المسجد الحرام وشعائر الحج، شعائر الحج كانت قائمة حتى في زمن المجتمع الجاهلي، في المجتمع الجاهلي شعائر الحج كانت قائمة، منذ العهد الإبراهيمي توارثت الأجيال الحج من بعد نبي الله إبراهيم عليه السلام ولكن اختلط في مشاعر الحج الكثير من الخرافات والمخالفات والعقائد، حتى أنهم أتوا إلى مكة، وحتى على سطح الكعبة بأصنام نصبت هناك، وشابت حتى الأعمال وشعائر الحج شوائب كثيرة **جدًّا** فيما يقولون، وفيما يعبِّرون، وفيما يتصرفون، مخالفة لدين الله، وحسبت على دين الله.

كان المشركون بأنفسهم هم المسيطرون على مكة، بما هم عليه من شرك وكفر، **بكل ما لديهم من:** خرافات، وعقائد، وتصورات، واختلالات، وتجاوزات، وشوائب دخلت في عملية الحج بكلها، يسيطرون ويقدمون ذلك كواحدة من الوسائل التي يخادعون بها الناس، بل يقدمون أنفسهم أنهم من يعبِّرون هم عن الدين الإلهي، فتتجه إليهم أنظار القبائل العربية على أنهم هم يمثِّلون الرمزية الحقيقية لهذا الدين، ويتأثرون بهم، فيصدرون الكثير من العقائد الباطلة، والتصورات الخاطئة المحسوبة على دين الله سبحانه وتعالى.

في ظل ذلك الوضع السيئ جدًّا، والمستمر إلى مرحلة متأخرة، **مثلًا:** منذ بعث رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بالرسالة الإلهية وحتى وفاته، على مدى عشرين عامًا من مبعثه بالرسالة وحركته بالرسالة، على مدى عشرين عامًا كانت لا تزال مكة تحت سيطرة المشركين، وكانوا هم الذين يديرون شعائر الحج، وكانوا هم من يسعون لتوظيف هذه السيطرة توظيفًا في عملية التضليل، وصنع قناعات باطلة، وتصدير عقائد محسوبة على الله وعلى دينه، وكذلك أحكام شرعية في الحلال والحرام وغير ذلك، لخداع المجتمع.

الانفصال عن مصادر الهداية ونتائجه السيئة

وإذًا، نأتي إلى أن أكبر مشكلة كانت هي انفصال الناس عن مصادر الهداية الحقيقية، ثم عندما نأتي لتأمل تلك الوضعية السائدة، وضعية يسيطر فيها الطاغوت، ويتحكم فيها الطاغوت، ويوظف كل العناوين الدينية لمصلحته، ما كان منها باسم عقائد، وما كان منها باسم تفاصيل عملية وحرام وحلال، وما كان منها باسم شعائر ومقدسات، تتحول هي كلها تحت التوظيف والاستغلال، كل هذا سنعود منه لنعرف أهمية قول الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، سندرك من هنا، يمكن لكل العناوين أن تكون حاضرة، ما كان باسم عقائد دينية، وما كان باسم تفاصيل دينية، ويمكن لها كلها أن تدخل ضمنها الكثير من الشوائب، وتدخل فيها عملية الاستغلال، والتزييف، والتحريف، والخداع، والتضليل... إن لم تبقَ مرتبطة بمصادر الهداية.

إن المجتمع الجاهلي لم تغب عنه مسميات الدين، ولم تغب عنه مسألة ما يوصف بعقائد أو تدين، وما يوصف بحلال، وما يوصف بحرام، عناوين حاضرة في حياة الناس، وقائمة في واقع الناس، ولكن بتضليل كبير، وبخداع كثير، وباستغلال، وأصبحت كلها وسائل للسيطرة على هذا الإنسان، والاستغلال لهذا الإنسان.

ولذلك وصلت حالة المجتمعات البشرية إلى حالة مأساوية وفظيعة **جدًّا**، ظلمات رهيبة أصبح يعيشها المجتمع البشري، لا يرى الحق، يقدم له الباطل حقًا، يقدم له الحرام حلالًا، تقدم له عقائد في غاية الانحراف لتكون دينًا يتدين بها ويتقرب بها، وينتظر من ورائها كل الخير، وتحسب في كثيرٍ منها على من؟ تحسب زورًا وافتراءً على الله ﷻ.. وامتلأ الواقع البشري في ظل تلك الوضعية بالظلم والظلام والاستعباد والاستغلال، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم كثيرًا وكثيرًا.

حق التشريع لله وحده

ولذلك فإن مسؤولية الهداية للعباد، وتقديم الدين الحق إليهم، وتقديم الطريقة الصحيحة لعبادة الله ﷻ والبرنامج الفعلي الذي يعبِّر عن الله في هديه وتعليماته وتوجيهاته، هي مسألة ترتبط بالله ﷻ ووفق الطريقة الإلهية؛ **هي** التي تشكِّل إنقاذًا حقيقيًا للناس، ونورًا حقيقيًا للناس، الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: الآية ١٢]، مسؤولية الهداية للبشر، وتقديم التعليمات الإلهية

للبشر، وتقديم دين الله الحق، الذي هو دينه الفعلي وتعليماته الحقيقية، وإيصالها بشكلٍ صحيحٍ ونقيٍ إلى البشر، وطريقة إقامتها في واقع البشر، هذه مسألة تعود إلى من؟ إلى الله ﷻ وهو -جلَّ شأنه- من يمتلك الحق في أن يحدد للعباد الطريقة التي يوصل بها هذا الحق إليهم؛ **حتى** لا يكونوا ضحية لقوى الطاغوت التي تفتري الكذب على الله، التي تخدع الناس بهدف السيطرة عليهم، تفتري على الله، **وتقدم زورًا:** عقائد، أفكارًا، حلالًا، حرامًا، الزامات عملية تستغل بها الناس لمآربها، لأهوائها، لما تريده هي، لتتمكن من السيطرة والنفوذ والاستغلال والتحكم بالبشر وبثروات البشر، ولتستعبد هؤلاء البشر.

الله يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، **يقول -جلَّ شأنه-:** ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: من الآية ٩]، على الله هو، مسؤوليته هو، عندما يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، **وعندما يقول:** ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، **يعني** أنها من مسؤولياته ﷻ باعتباره هو ربنا، رب السماوات والأرض، وملكنا، ملك السماوات والأرض، وملك الناس، إليه هو أن يحدد للبشرية طريق الخير، طريق الفلاح، طريق العبادة له، الطريق الصحيح والمنهج الحقيقي الذي يرسمه للناس ليسيروا عليه، أن يحدد هو الصراط المستقيم، ومعالم هذا الصراط التي تقودنا إليه، والتي تسير بنا فيه، هذا إلى الله ﷻ ليس متروكًا إلى الناس في أهوائهم، في اقتراحاتهم، في مزاجهم، ولذلك هو من يحدد لنا ﷻ قناة الوصل به، من يوصلنا بالله، ويصلنا عبره هدى الله ونور الله، وليست مسألة متروكة للناس بأمزجتهم وأهوائهم وشهواتهم ورغباتهم، **ومتروكة للاستغلال من قِبَل:** المجرمين، وكيانات الطاغوت، والمضلين، وأصحاب الأهواء.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، **يعني**: هناك سبل كثيرة جائرة، ولكن الله سيتولى هو أن يرسم لعباده الطريق الصحيح والصراط المستقيم، ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾[يونس: من الآية ٣٥]، فكيف يفعل الله ﷻ؟ هل الله- مثلًا- يتخاطب بشكلٍ مباشر مع عباده كلهم، ويسمعون نداءه بشكل مباشر، وتعليماته بشكل مباشر، أم هناك طريقة معينة؟

الطريقة التي سنَّها الله ﷻ مع عباده، وهي سنة تتناسب مع ما فطرهم عليه في واقع الحياة، وفطر وصمم عليه حياتهم في ما اعتادوا عليه وألفوه، كمجتمع بشري حياته ذات طابع اجتماعي، وليست ذات طابع فردي، مجتمع نظمت حياته، بنيت حياته، حتى في طبيعة الخلق وتنظيم شؤون الحياة كمجتمع مترابط بعضه ببعض، حياة اجتماعية، مجتمع يحتاج إلى قيادة واحدة، إلى منهج واحد، في واقعه الفطري يتجه على هذا الأساس، إن اتجه على أساس دين الله، وإلَّا اتجه بعيدًا عن دين لله بما يضله، **ولكن على هذا الأساس: (منهج، وقيادة).**

الله ﷻ قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج: من الآية ٧٥]، **الله ﷻ الذي له:** حق الهداية لعباده، حق التشريع لعباده، حق أن يرسم لعباده منهجًا لحياتهم يسيرون عليه في هذه الحياة، ليصلوا إلى الغاية التي يريدها لهم، وتتحقق لهم كل النتائج المرجوة من استخلافهم في هذه الحياة، أو تقوم عليهم الحجة إن لم يلتزموا، الله هو من يمتلك هذا الحق، ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: من الآية ٥٤]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾، سنته مع عباده أن يصطفي من الملائكة، وهم الملائكة، رسلًا، يختار لهذا الدور (لإيصال هداه) يختار خصيصًا من بين أوساط الملائكة من يختاره

لهذا الدور، مع أن الملائكة بكلهم مخلوقات صالحة ومستقيمة، **يعني**: لا يوجد ملائكة سيئون وملائكة صالحون. لا، ولكن لم تكن المسألة إلى حد أن يقول: [أي واحد من الملائكة يمكن أن يقوم بهذا الدور]. لا، يختار اختيارًا من داخل الملائكة من يوكل إليه هذه المهمة وهذه الوظيفة، أن يوصل هديه عن طريق الوحي، إلى من يصطفيه للناس رسولًا، ليرسله إلى الناس، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾، ومن أوساط المجتمع البشري.

في الواقع البشري كذلك- المسألة- في مسألة من يوكل الله إليه هذه المهمة، ومن يحمِّله هذه المسئولية، ومن يختاره لهذا الدور، ليست مسألة انتخابات- مثلًا- أن يطلب من عباده أن ينتخبوا لهم رسولًا أو نبيًا، فلو تركت المسألة إلى الاختيار البشري لكانت خاطئة **جدًّا**، **يعني**: لو نأتي مثلًا إلى مجتمع مكة، في بداية حركة النبي ﷺ كم لقي من التكذيب، الأغلبية في مكة كفروا به وكذبوه، **بل قال الله عنهم:** ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ [يس من الآية: ٧]، الأغلبية خذلوا، الأغلبية جحدوا الحق، تنكروا للرسالة، كفروا بالرسول، **يعني**: أنَّ الأغلبية كانت إلى جانب أبي جهل وأبي سفيان، ومكذبين بالرسول، ولو قيل لهم انتخبوا، لاتجهوا إلى انتخاب أبي جهل أو أبي سفيان، وكفروا برسول الله محمد ﷺ بل كانوا يقولون هم فيما بعد: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: من الآية ٣١]، غير هذا الشخص، تأثر الناس- أحيانًا- في بعض المجتمعات، تفكيرهم، ارتباطاتهم، نظرتهم خاضعة لتأثيرات معينة، لتقييمات معينة، لاعتبارات معينة، ينشدون إلى من يرونه صاحب سلطة وجاه وثروة ومال وقوة، وليس إلى من هو الأجدر بحساب القيم، والأخلاق، والمبادئ،

والصلاحية الفعلية لحمل الرسالة الإلهية، هل صلاحية حمل الرسالة الإلهية هو مستوى ما تملكه من ثروة، كتاجر كبير، أو مستوى النفوذ والسلطة، كصاحب سلطة معينة، وسيطرة معينة على مجتمعك، أو وجاهة معينة بين المجتمع؟ لا، لها اعتبارات أخرى، اعتبارات أخرى تلحظ حتى في الخلق، عندما يخلق الله إنسانًا، يخلقه ويعده إعدادًا ويهيئه تهيئة لهذه المهمة ولهذا الدور العظيم، وليكون لائقًا بهذه المسئولية وفي مستوى هذه المسئولية العظيمة والمقدسة، يقول عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: الآية ٤١]، هكذا يقول الله له: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، وهنا يقول: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾، **(يَصْطَفِي)**: يصنع خصيصًا ويخلق خصيصًا لهذه المسئولية، **يقول:** ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: من الآية ٦٨]، لماذا؟ **لأن** هذه مسئولية تعود إلى الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، هذه هي مسئوليته سبحانه وتعالى وهو- إنفاذًا لهذه المسئولية ورعاية لهذه المسئولية - يفعل ما هو إليه، ما هو مسئوليته، ما هو حقٌ إليه، وليس من اختصاص الناس، هي مسؤوليته؛ **كيف** يوصل هديه إلى عباده.

ثم هل في هذه المسألة ما يوجب حساسية من الرسل والأنبياء؟ لا، كل ما يمنح الله الرسل والأنبياء من مؤهلات عالية لحمل تلك المسئولية العظيمة هو يتجه إلى من، ولمصلحة من؟ للناس، ذلك الرسول وذلك النبي فيما يمتلكه من مؤهلات عالية، **فيما هو عليه من:** رحمة، وحكمة، وإرادة الخير، وسعة الصدر، وحرص عظيم على هداية الناس، ومحبة عظيمة لصلاحهم، وحكمة، وذكاء، ووو... مؤهلات كثيرة **جدًّا**، وطهارة، وأمانة، وصدق، و... كل تلك المؤهلات عائدها لمن، مصلحتها لمن، خيرها لمن، فائدتها لمن، ثمرتها لمن؟ كلها للناس.

نجد- مثلًا- أن الله ﷻ يخلق صفوة عباده، ويعدُّ خير عباده لتحمل مسئولية الرسالة والنبوة، ويوصل من خلالهم هديه ونوره إلى عباده، ليكونوا هم من يبلغون، ومن تنزل إليهم كتبه، ويوصلونها إلى العباد، ويكونون هم من واقعهم البشري مؤمنين، ملتزمين، معبِّدين أنفسهم لله، مطيعين لله... ويمثلون هم القدوة في الالتزام، والتطبيق، والعمل، وتعبيد أنفسهم لله، والقيادة للبشرية بالسير بها على أساس ذلك الهدى، وتربيتها على أساس ذلك النور، وتبصيرها بتلك البصائر، والعناية بها على ذلك الأساس، لما فيه خيرها وفلاحها.

قوى الطاغوت ومساعيها الشيطانية

منذ حقب تاريخية مبكرة، الإنسان- بشكلٍ عام- منذ بداية وجوده لم يتركه الله هَمَلًا، بقيت مسيرة الهداية عبر الرسل والأنبياء وورثتهم الحقيقيون مستمرة وقائمة، وعلى مرِّ التاريخ كان هناك من يتصدى للرسل والأنبياء، من؟ قوى الطاغوت التي تسعى إلى فصل الناس عن حلقة الوصل بهدى الله، عن مصادر الهداية.

قوى الطاغوت كان أهم ما تركِّز عليه دائمًا أن تفصل الناس عن مصادر الهداية، لماذا؟ لكي يبقى الناس مرتبطين بها وخاضعين لها ومتبعين لها، لكي تتمكن هي أن تكون الموجهة، والآمرة، والمؤثرة، والمستغلة، والمتحكمة بالناس، ثم تصيغ لهم من الأفكار والتصورات والعقائد، وتوجههم فيما يتناسب مع مصالحها، فيما يعزز نفوذها، فيما يعزز سيطرتها، فيما يمكِّنها أكثر، والمسألة كلها هي مسألة استغلال واستعباد، توظف لها عناوين، عقائد، تصورات، أفكارًا، وسنشرح حول هذه النقطة المزيد والمزيد إن شاء الله.

لاحظوا، تسعى قوى الطاغوت إلى التصدي للرسل والأنبياء، وإثارة كل الحساسيات في سعيها لفصل الناس عن مصادر الهداية، يسعون- في الصدارة- للتكذيب بالرسل والأنبياء، وفصل الناس عنهم، وإبعاد الناس عنهم، ويأتون لإثارة حساسيات يفترض أن تثار تجاههم هم، وليس تجاه الرسل والأنبياء، من أول ما أثاروه من الحساسيات والعقد لتكذيب الأنبياء وفصل الناس عنهم هي بشرية الأنبياء، **كانوا يقولون:** [هؤلاء ليسوا إلا بشرًا مثلنا، كيف يمكن أن يكون هذا البشر نبيًا، كيف يمكن أن نطيعه، أن نتبعه، وهو ليس إلا بشرًا مثلنا]، ويجعلون من هذه المسألة مبررًا للتكذيب والجحود، ثم يريدون من الناس- في المقابل- أن يطيعوهم هم، وهم ليست المسألة متوقفة عندهم في أنهم بشر فحسب، إنما هم بشر قد فقدوا بشريتهم وإنسانيتهم، يأتي طغاة، مجرمون، ضالون، ظالمون، مفسدون، لا يمتلكون أي مؤهلات حتى إنسانية، يتحكمون بالمجتمع، يقدِّمون كل ما يمكن أن يعزز نفوذهم وسيطرتهم عليه، ثم يعملون على فصل هذا المجتمع عن مصادر الهداية الإلهية، [كيف تتبعون أولئك، ليسوا إلا بشرًا، اتركوهم...]، وهذا ما كانوا يركِّزون عليه، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤]، [كيف تطيعون بشرًا مثلكم؟! هذا لا يمكن أن يكون نبيًا، لا يمكن أن يكون مُتَّبَعًا وأن يُطاع، لا، هذا مجرد بشر، اتركوه، لا تسمعوا له، لا تستجيبوا له، لا تصدقوه]، كانوا يتحركون على هذا الأساس، **كانوا يقولون:** ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: من الآية ١٤]، لو شاء لأنزل ملائكة، يكون النبي من الملائكة، ويأتي إلى واقعنا

البشري فيتخاطب معنا باعتباره من الملائكة، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، **يقولون:** ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾[الفرقان: من الآية ٢١]، استكبار كبير جدًّا، ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ﴾[الحجر: الآية ٨]، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾[الفرقان: الآية ٢٢].

وكما قلت هم يثيرون هذه الحساسية تجاه الأنبياء، مع أنها يفترض أن تثار ضدهم هم، هم ليسوا إلا بشرًا، ولكن بشر ضالون، مجرمون، تائهون، أما بشرية الأنبياء وكونهم من البشر، فهذا أمر مطلوب، أن يكون في واقعه كبشر؛ **لأنه** معني في تبليغ هذا الدين أن يكون هو من واقعه البشري يقدِّم النموذج، ويقدِّم القدوة، ويقدِّم القيادة في تطبيق هذا البرنامج الديني، **يعني:** لو أتى- مثلًا- مَلَك من الملائكة ليخاطب الناس: [اعملوا كذا، وافعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، والله أمركم بكذا، ونهاكم عن كذا...]، سيقولون له: [أنت من الملائكة، أنت ما تعرف واقعنا كبشر، نفسياتنا كبشر، الواقع الذي نعيشه في مشاعرنا ورغباتنا وشهواتنا كبشر، أنت استطعت أن تلتزم بهذا الدين؛ **لأنك** من الملائكة، ما عندك ما عندنا كبشر]، لكن عندما أتى النبي وهو بشر، ثم كان هو أول من يلتزم بدين الله، بتعليمات الله، بتوجيهات الله، ومن يمثِّل القدوة والأسوة في التطبيق والالتزام والعمل، كان ذلك أقرب أثرًا وأعظم حجةً في الواقع البشري، وحتى أكثر أنسًا في الواقع البشري، بل هذه نعمة على البشر أن يجعل منهم، فيما هي سنة من سنن الله ﷻ مع عباده- أيضًا- نعمة من واقع البشر، أن يبعث فيهم رسولًا من أنفسهم، حتى في الانسجام، في الاطمئنان، في العلاقة في... أشياء كثيرة، واحدًا منهم، أولئك يثيرونها كحساسية،

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: من الآية ١١]، يثيرون هذه الحساسية، عندما يفشلون في إثارة هذه الحساسية، **يقولون:** [لا بأس بشر، جيد يكون بشرًا لا مشكلة]، في الأخير [لكن لماذا لا يكون شخصًا آخر، لماذا يكون هو ذلك بذاته، بنفسه، لماذا ما يأتي الهدى هذا إلى الجميع مثلًا]، ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: من الآية ٨]، [لماذا لا يجي للزعيم الفلاني وهو كذلك، والشخصية الفلانية، وفلان الفلاني...]، حسد، يثيرون مسألة الحسد والعُقد غير المبررة، [ولماذا يختص الله ذلك أن يجعله رسولًا، لماذا؟ أبو سفيان، أبو جهل، أبو فلان، أبو علان، والزعيم الفلاني، والتاجر الفلاني، لماذا لا يكونو الكل رسلًا وأنبياء؟]، ويقدِّمون الكثير من المقترحات ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ [المدثر: الآية ٥٢]، كل واحد يشتي يصير عنده وحي وكتاب، وتنزل عليه الملائكة... وهذه العُقَد، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٣١]، ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: من الآية ١٢]، اقتراحات وأطروحات كثيرة يقدِّمونها.

كل ما في الأمر أنهم يسعون لفصل الناس عن مصادر الهداية، ليقدموا أنفسهم كبديل يتمكن- دائمًا- من التحكم بالناس، التحكم بهم في أفكارهم، في ثقافتهم، في عقائدهم، في تصرفاتهم، في سير حياتهم للاستغلال والاستعباد، هذا كل ما في الأمر، هذا كل ما يريده الطاغوت الذي يقدِّم نفسه بديلًا عن منهج الله ﷻ.

وإذا قدَّم نفسه بديلًا، هو يستخدم العناوين الدينية، يمكنه أن يستخدم كل العناوين الدينية، عقائد باسم الدين، أعمالًا باسم الدين، شعائر للدين، حتى المساجد ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [التوبة: من الآية ١٧]، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[التوبة: من الآية ١٩]، ولذلك نلحظ أن المسألة الرئيسية في سنة الله وهداية الله أنه -جلّ شأنه- هو من إليه أن يحدد مصادر الهداية التي نرتبط بها، باعتبارها مصادر للهداية، عبرها يصل إلينا الهدى بكل ثقة، بكل أمانة، بكل مصداقية، إذا فُصلنا عنها ضعنا، وتهنا، بل نُستغَلّ بشكلٍ كبير **جدًّا**، ولو بقيت لنا عناوين الدين باسم الدين.

وهنا نعود إلى واقعنا الإسلامي، نعمة هذا الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، الدين الإسلامي اكتمل، **في كل ما يتعلق به من:** تشريعات، وتوجيهات، وعقائد، وتعليمات، **وفي كل ما نحتاج فيه إلى:** بصيرة، ووعي، وفهم، ومعارف ذات صلة مهمة بمسؤولياتنا في الحياة، دين متكامل، لم يبقَ علينا إلا أن نتبع هذا الدين، ونتمسك بهذا الدين؛ **لنحصد ثمار هذا الإتباع في كل ما ارتبط به من وعود إلهية:** (البركات، الخيرات، رضا الله، رحمته، فضله، كرمه، النصر، العزة، التمكين، الخير والسعادة في الدنيا وفي الآخرة)، مسألة تبقى مرتبطة بماذا؟ بالتمسك، بالإتباع، بالالتزام بهذا الدين، وبالاستيعاب لهذا الدين.

مبدأ الولاية لاستمرار الاتصال بمصادر الهداية

كمال هذا الدين في ذلك اليوم كان من خلال إعلان مبدأ عظيم يحفظ لنا ماذا؟ يحفظ لنا استمرارية الاتصال بمصادر الهداية، هذه النقطة المهمة **جدًّا**، حتى لا نعود إلى الوضعية التي كان عليها المجتمع العربي وغيره في زمن الجاهلية.

مبدأ الولاية: الرسول ﷺ كان يتحدث في تلك الفترة الأخيرة من حياته عن قرب رحيله من هذه الحياة، والرسول كان هو بنفسه مصدر هذه الهداية التي نرتبط بالله من خلالها، التي يصلنا من خلالها وحي الله وهديه ونوره، وكان هو القائم على تطبيق هذا الدين، والقائد الذي

يسير بالبشرية في هذا الاتجاه، يتحدث عن قرب رحيله من هذه الحياة، وأنه سيغادر هذه الحياة، **ويقول: ((إِنِّي أُوشِكُ أَن أُدعَى فَأجيب))**، **يقول لهم في حجة الوداع: ((وَلَعَلِّي لَا أَلقَاكُم بَعدَ عَامِي هَذَا))**، وفعلًا؛ **أقلّ** من ثلاثة أشهر بقي رسول الله ﷺ وتوفي ورحل عن هذه الحياة.

فإذًا، رسول الله ﷺ عندما بلَّغ هذا البلاغ الذي يقول الله عنه: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أتى ليقول للجميع، ولما الأمة معنيةٌ به عبر الأجيال إلى قيام الساعة، ولما أكَّده تأكيدات متكررة من خلال قوله: **((أَلَا هَل بَلَّغت، اللهم فَاشهَد))**، **من خلال قوله: ((فَليُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنكُم الغَائِبَ))**، ليبقى هذا البلاغ للأمة جيلًا بعد جيل؛ **لأنه** يحفظ للأمة أهم مسألة تعتبر مصداقًا لقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أهم مسألة يعبِّر عنها هذا المضمون القرآني، الارتباط بمصادر الهداية.

الرسول قال في بلاغه: ((إِنَّ اللهَ مَولَايَ، وَأَنَا مَولَى المُؤمِنِين))، كيف كانت ولاية رسول الله في امتدادها لولاية الله: ولاية هداية وقيادة، يقود البشرية ويهديها على أساس ذلك الهدى ﷺ **ثم يقول: ((فَمَن كُنتُ مَولَاه))**، هكذا بهذا التعبير الواضح، **ويقصد تلك الولاية التي قال فيها عن نفسه: ((وَأَنَا مَولَى المُؤمِنِين، أَولَى بِهِم مِن أَنفُسِهِم، فَمَن كُنتُ مَولَاه، فَهَذَا عَلِيٌّ))**، وهو إلى جانبه، يمسك بيده، موجودٌ بشخصه واسمه، ويقدِّمه أمام الجميع **((فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاه))**.

هنا الرسول ﷺ وهو يتحدث حتى في ذلك الخطاب عن قرب رحيله من هذه الحياة، لنعرف ما هي المناسبة، بعد مغادرة الرسول ﷺ لهذه الحياة، من هو الذي يمثِّل امتدادًا يوصلنا به، من هو الذي يعتبر- فعلًا- امتدادًا

لمصدر الهداية ذلك، والأمة- حتمًا- ستختلف، والأمة- حتمًا- سيدخل فيها الكثير من أشكال الاستغلال والتلعّب حتى بالعناوين الدينية، هنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأمرٍ من الله وبلاغًا عن الله سبحانه وتعالى بلاغًا عن الله، حسم المسألة، ووضَّح، وبيَّن، وقدَّم هذا البلاغ الذي له تلك الأهمية، بلاغ بمبدأ، إذا غاب أو عُطِّل فكأن هذا الدين لا وجود له، إذا غاب هذا المبدأ أو عُطِّل؛ **تعطلت** ثمرة هذا الإسلام في مشروعه التربوي والحضاري، وفي ثمرة تعليماته وتوجيهاته في الحياة، وتحولت تلك التعليمات وتلك العناوين إلى عناوين معطَّلة، تستغل وتوظَّف توظيفًا آخر، من قِبَلِ جهاتٍ أخرى، كما كانت توظَّف العناوين الدينية في الزمن الجاهلي لاستعباد الناس واستغلال الناس، ويُفترى على الله الكذب.

نصوص نبوية في الإمام علي ومدلولها

ولذلك نجد- مثلًا- فيما يتعلق بالإمام علي عليه السلام نصوصًا أخرى كثيرة؛ **ما** قبل هذا البلاغ، يعتبر هذا البلاغ تتويجًا لها، نص يتحدث عن عَلِيٍّ عليه السلام **يقول:** ((**أَنتَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي**))، لا نبي، أنت ستؤدي هذا الدور ليس من موقع النبوة، ولكن من موقع الولاية، **يقول:** ((**عَلِيٌّ مَع القُرآن، وَالقُرآن مَع عَلِيّ**))، **يقول:** ((**عَلِيٌّ مَع الحَق، وَالحَقُ مَع عَلِيّ**))، فأنت عندما تأتي لتبتعد عن عَلِيّ، لا تبتعد عنه إلا وأنت تبتعد عن القرآن، والمسافة التي فصلت بينك وبين عَلِيّ، عَلِيّ الذي يمثِّل نهجًا، يمثِّل هذا الدين في روحيته، وأخلاقه، وأعماله، وسلوكياته، ومواقفه، وحركته بهذا الدين في هذه الحياة، ودعوته بهذا الدين للبشرية، للناس فيما يقدِّمه إليهم، المسافة التي تفصلك عن عَلِيّ هي مسافة كانت فاصلة بينك وبين القرآن، وبينك وبين الحق.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **كان يتحدث كثيراً عن الإمام عَلِيّ** عليه السلام حتى عن كماله ومؤهلاته الإيمانية، التي جعلته جديرًا بهذا الدور، وضمن الاختيار والإعداد الإلهي، حديث واسع وكثير، ونصوص كثيرة، ((**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه، وَيُحِبُّهُ اللُّه وَرَسُولُه**))، **يتحدث عنه فيقول:** ((**وَهوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ بَعدِي**))، وكل هذه النصوص توارثتها الأمة في اتجاهاتها الثقافية واختلافاتها الفكرية، في مصادرها المعتبرة والمهمة، التي ترجع إليها، وتعترف بها، وتعتمد عليها، لتبقى حجة، لماذا؟ **لأن** الأمة إذا فارقت هذا المبدأ ستكون ضحية، ضحية للتضليل، ستفتح على نفسها كل النوافذ التي يطل منها كل ضال، وكل متجبر، وكل طاغية، ليقدِّم نفسه في موقع القيادة، وليقدِّم نفسه في موقع الهداية.

عندما تنفصل الأمة عن مصادر الهداية، فَتَحَت المجال لكل أولئك من: الطواغيت، والجائرين، والمتسلقين، والظالمين، والمستكبرين، والمضلين، ليقدِّم كلٌ منهم نفسه في موقع القيادة، وليقدِّم الآخر نفسه في موقع الهداية، فذاك ينطق عن الله زورًا ويفتري عليه كذبًا، أو يخلط الحق بالباطل، على مثل ما كان عليه بنو إسرائيل لينفِّق باطله بما يرفقه معه من قليلٍ من الحق، والآخر ليُخضع الناس له، والكل لاستغلال الناس.

والذي حصل في واقع الأمة، عندما الكثير من الناس لم يَرُق لهم هذا المبدأ بكل ما له من جاذبيه، وبكل ما فيه من وضوح، وبكل ما يحققه من ضبط لمسار الأمة ومسيرتها في دينها، وحفاظٍ عليها وعلى دينها، وحفاظٍ على الامتداد لهذا الحق، ليبقى في أجيال الأمة يصلها جيلًا بعد جيل بشكلٍ مضمونٍ وموثوقٍ ونقيٍ وسليم، فَتَحَت المجال، فإذا بها تصيح من كثرة ما

هناك من دَخْلٍ، من كل ما هناك من كثيرٍ كثيرٍ كثير من الدَخْلِ الثقافي والفكري، **وليقول الجميع:** [صحيح، أصبح لنا موروث إسلامي نختلف عليه]، نختلف على كثيرٍ مما فيه من العقائد: أيُّها صحيح، والشرائع: أيُّها صحيح، والأحكام: أيُّها صحيح، **هذا يقول:** [هذا حلال]، **الآخر يقول:** [ذاك حلال، ذاك حرام]، **ذاك قال:** [لا، هو حلال، ذاك واجب]، **الآخر قال:** [لا، هو لا يجوز]... وهكذا اختلاف كبير **جدًّا**، لم تَعُد مسيرة الأمة مستقيمة عندما تنفصل عن هذا المبدأ المهم، الضابط لمسيرتها، والحافظ لاستقامة هذه المسيرة، في عَلِيٍّ بكل ما يمثِّله عَلِيّ، وبكل ما سَبق أن تحدث عنه الرسول به، وهي عبارات مهمة وذات مضمون واضح، لم تكن مجرد عبارات تشجيعية، أن رسول الله يريد أن يشجع الإمام عَلِيّا يقول: [إنه- ما شاء الله- رجال جيد ((**أَنتَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي**))] ليشجعه، **أو ليقول:** [((**عَلِيٌّ مَع الحَق، وَالحَقُّ مَع عَلِيّ**))، ما شاء الله ما أعظمه!]؛ **حتى** يرتاح نفسيًا. لا، هي ذات مضمون هادف، يحدد طبيعة الدور للإمام عَلِيّ عليه السلام بأنه سيمثل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حلقة الوصل والامتداد الأصيل في موقع القيادة والهداية، ليس من موقع النبوة، ولكن من موقع الولاية.

ثم نأتي- أيضًا- إلى نصٍ آخر مهم جدًّا، وأتى في خطاب الغدير، وهو حديث الثقلين: ((**إِنِّي تَارِكٌ فَيكُم الثَّقَلَين، مَا إِن تَمَسَّكتُم بِهِما لَن تَضِلُّوا مِن بَعدِي أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَعِترَتِي أَهلَ بَيتِي، إِنَّ اللطِيفَ الخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُمَا لَن يَفتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوض**))، ولتكون هذه النصوص وهذه الواقعة، التي هي مناسبة الغدير، واقعة الغدير، واقعة ثابتة وقطعية ومعترفًا بها بين الأمة، وليكون نص الثقلين- أيضًا- بلفظه ومضمونه العظيم المهم نصًا معترفًا به ومتواترًا بين الأمة.

فإذا بالمسيرة واضحة المعالم، المسيرة الإسلامية في امتدادها الصحيح، في مضمونها وحلقة وصلها الممتدة إلى رسول الله ﷺ والمضمونة والموثوقة والمأمونة، واضحة، ومعالمها واضحة، والطريق واضح، الانصراف عنه انصراف إلى ماذا؟ انصراف إلى واقع كبير من حالة الفوضى.

الطغاة واستغلال العناوين الدينية

يأتي الكثير من الأدعياء من يقدِّمون أنفسهم باسم الدين وباسم الإسلام وباسم القرآن، وأتى الكثير والكثير من أولئك الطغاة، والجائرين، والظالمين، والمضلين، وإذا بهم يوظِّفون العناوين الدينية، ويستغلونها لصالحهم استغلالًا عجيبًا **جدًّا**، ألم يقدِّم بنو أمية أنفسهم باسم الإسلام؟! ألم يجعلوا طاعتهم والانقياد لهم والخضوع لظلمهم عملًا دينيًا وقربةً دينيةً ومسألةً إيمانية؟! **ولم يكونوا يجهدون أنفسهم بأن يقولوا:** [لا- مثلًا- نحن لسنا ظلمة، نحن نقيم العدل]. لا، يقول لك: [ظالم صح، لكن أطع الظالم وإن قصم ظهرك وأخذ مالك]، أطع، فتُقدَّم الطاعة للظلم، والظالمين، والمستكبرين، والمضلين، والمفسدين في الأرض، الذين لهم برنامج آخر يقيمون الحياة على أساسه، تُقدَّم على أنها ضمن أمر الله ﷻ أن الذي يلزم بها هو الدين نفسه، أليست هذه هي حالة استغلال للدين؟.

أليس النظام السعودي الظالم، المفسد، المنافق، الذي يرتكب أبشع الجرائم والمظالم والمفاسد، والذي هو بؤرة للضلال والباطل والفساد في الأرض، أليس يقدِّم اليوم نفسه بثوب الإسلام، وعناوين الإسلام، وباسم الإسلام؟! أوليس يستغل حتى مشاعر الحج، وحتى سيطرته على مكة وعلى المسجد الحرام كمثل ما كان يفعل المشركون، الذين سيطروا على مكة وعلى المسجد الحرام وعلى شعائر الحج، وأداروها حتى على مدى عشرين عامًا من مبعث رسول الله بالرسالة،

إلى ما قبل وفاته بثلاث سنوات؟! أوليست العناوين الدينية اليوم تستغل هنا وهنا وهنا، فئات كثيرة كما التكفيريون تمامًا، يستغلونها للإضلال للناس، للخداع للناس، للدفع للناس إلى مواقف، لتحريك الناس حيث يشاء ذاك الطاغية أو يريد، في الأخير توظَّف لمصلحة منافقين يعملون لصالح أمريكا وإسرائيل.

هنا ندرك معنى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، إنَ هذا المبدأ العظيم يشكِّل ضمانةً لاستقامة وانضباط مسيرة الإسلام الحق، فيطبَّق في واقع الحياة بشكلٍ صحيح، ويقدَّم في واقع الحياة بشكلٍ صحيح، وليس للاستغلال ولا للاستعباد، وليس لتمكين ذلك الطاغية أو تلك الجهة الظالمة أو المفسدة لتتحول إلى عناوين للاستغلال والاستعباد، وليس ليكون بيد من هبَّ ودبَّ، ليجعل من مقامٍ معين، أو عنوانٍ معين، أو اسمٍ معين مقامًا للتضليل والافتراء على الله بالكذب، بمثل ما كان يحصل في العصر الجاهلي، يوم فصلت البشرية عن مصادر الهداية، **فأتى الآخرون ليقولون:** [قال الله، وأمر الله، وهذا دين الله، ومن يفعل كذلك أطاع الله]، وهم يستغلون الناس تحت تلك العناوين، ويخادعونهم، ويؤثِّرون عليهم بذلك، هذا جانب.

مسؤولية الأمة في فهم الإمام علي عليه السلام

الجانب الآخر: لننظر إلى مسألة الإمام عَلِيّ عليه السلام وولاية الإمام عَلِيّ عليه السلام من حيث ما كان عليه الإمام عَلِيّ عليه السلام من تمثُّلٍ لهذا الدين بشكلٍ تام، استيعاب، التزام، عمل، وعي، استقامة، روحية، خُلق، موقف، عمل، فالإمام عَلِيٌّ عليه السلام كان أرقى الأمة الإسلامية بكلها، وأعظم أصحاب رسول الله، وأعظم المسلمين، وأعظم تلاميذ رسول الله صلى الله عليه وآله حملًا واستيعابًا ووعيًا والتزامًا بهذا الدين، بهذا الإسلام، وتأثرًا بهذا الإسلام، حمله علمًا على نحوٍ لم يحمله

غيره، فكان باب مدينة العلم، **حيث قال الرسول: ((أَنَا مَدِينَةُ العِلمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا))**، وكان هو **(الأذن الواعية)**، وكان هو الذي لم يغمض جفنه حتى يعلم ما نزل على رسول الله ﷺ في ذلك اليوم ثم حمله التزامًا عمليًا في روحيته وأخلاقه، ما حاد عنه، ما فارقه، **فلذلك قال رسول الله: ((عَلِيٌّ مَع القُرآن، وَالقُرآن مَع عَلِيّ))**، **((عَلِيٌّ مَع الحَق، وَالحَقُ مَع عَلِيّ))**، وكان هو الذي سيتحرك بالأمة حينما يتحرك بها بناءً على أساس ذلك الحق، لا يحيد عنه، ولا يزيغ عنه، لا هناك ولا هناك، ولا بذاك الاتجاه ولا بذاك الاتجاه.

فالأمة معنية لتفهم من هو عَلِيّ، ماذا يعني: ((أَنتَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى))، **ماذا يعني: ((فَعَلِيٌّ مَولَاه))**، **((مَن كُنتُ مَولَاه، فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاهُ، اللهُمَّ وَال مَن وَالَاهُ، وَعَادِ مَن عَادَاهُ، وَانصُر مَن نَصَرَه، وَاخذُل مَن خَذَلَه))**، ماذا تعني كل تلك النصوص، ماذا تعنيه تلك الآيات، ماذا **يعنيه**: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟ **لأن** هذا هو الكفيل بأن يحرر الأمة من جديد من كل قوى الطاغوت والضلال التي تسعى- دائمًا- لفصل الناس عن مصادر الهداية؛ **لتستغل** الناس هي، وتتحكم بالناس هي، وتسيطر على الناس هي بالباطل، وتفتري على الله الكذب، ثم يوظَّف لها كل شيءٍ في الدين لخدمتها، الزكاة مال لهم يأكلونه، الحج وسيلة للاستغلال، المساجد ومنابرها في كثيرٍ من الأقطار تتحول إلى بؤر لإضلال الناس، والسعي للتأثير على الناس في ما يعبدهم لهم، **وهكذا أشياء كثيرة جدًّا**: مواقف، ولاءات، قتال... حتى عنوان الجهاد يحركه التكفيريون ويحرِّفونه عن مواضعه، ويتجهون بالناس إلى ما فيه خدمة لذلك الطاغية، أو تلك الجهة، أو تلك الجهة، كل شيء يحرَّف، لكن بالارتباط بمصادر الهداية تغلق تلك النوافذ الكثيرة التي فُتِّحَت من

كل اتجاه، فأطلَّ منها الجائرون والطغاة من موقع القيادة، وأطلَّ منها علماء السوء والمضلون باسم الهداية، فذاك وذاك يغلقه هذا المبدأ العظيم.

الإمام علي منهج عملي

ثم من يأتي ويقول: [أنا من شيعة علي بن أبي طالب، وأنا في هذا النهج الإسلامي الذي يوصلني عليٌّ فيه برسول الله، يوصلني فيه بالقرآن، يوصلني فيه بالحق]، ثم لا يكون متبعًا بمصداقية، لا يكونوا على بصيرة، على وعي، على التزام في مسيرة حياته، في مواقفه، في تحمله للمسؤولية، في الالتزامات العملية، هو بعيد، **أنت لو قلت:** [أنا مع علي]، وأنت تبتعد عن الحق، فأنت ابتعدت عن عَلِيٍّ بقدر ما ابتعدت عن الحق، عندما تقول: [أنا من شيعة علي]، ثم تبتعد عن القرآن، فالمسافة بينك وبين عَلِيٍّ هي بقدر المسافة التي ابتعدت بها عن القرآن، حين تبتعد عن تحمل المسؤولية، أنت ابتعدت عن عَلِيّ بتلك المسافة نفسها، فعَلِيٌّ والحق اقترنا، وعَلِيٌّ والقرآن اقترنا، وعَلِيٌّ يمثِّل نهجًا، وليس يمثِّل مجرد عنوان مذهبي، أو عناوين يدَّعيها الإنسان ويتباهى بها، ويدخل من خلالها في جدل مع هذا أو ذاك.

في النهاية تكون المسألة التزامًا عمليًا، استقامة على منهج الله، اتباعًا للقرآن، تمسكًا بالحق، منهجًا متكاملًا في مبادئه وأخلاقه وقيمه وسلوكه وروحيته، وهنا ترى نفسك تدخل في التولي الواعي للإمام علي عليه السلام، ولرسول الله محمد صلى الله عليه وآله ليمتد بك ذلك إلى الدخول والانضواء تحت ولاية الله في الاتباع لهديه والتمسك بمنهجه.

نكتفي بهذا المقدار من التوضيح، إن شاء الله يكون لنا كلمة قريبة فيما يتعلق بالتطورات السياسية والأوضاع العامة، ولكن خصصنا هذه الكلمة فيما يتعلق بالمناسبة.

نسأل الله ﷻ أن يزيدنا وعيًا وفهمًا بهذه المناسبة وبمبدأ الولاية العظيم، حتى نكون من المتولين له، ولرسوله، وللإمام عَلِيّ عليه السلام ولأعلام الهداية، وحتى لا نزيغ عن نهج الحق، ولا عن نهج الله ﷻ وعن منهجه العظيم، نسأل الله ﷻ النصر لشعبنا المظلوم، والرحمة لشهدائنا، والشفاء لجرحانا، والفرج لأسرانا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٤٠

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألّا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

بمناسبة هذا اليوم المبارك الأغر الثامن عشر من شهر ذي الحجة، الذي هو يوم عيد الغدير، المناسبة الإسلامية العظيمة والمهمة، المناسبة التي تضمنت الإعلان التاريخي العظيم، الذي نزل الأمر من الله ﷻ إلى رسوله وخاتم أنبيائه محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- لتبليغه **في مثل هذا اليوم:** الثامن عشر من شهر ذي الحجة، من السنة العاشرة للهجرة، أثناء عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع، في هذه المناسبة المباركة يحتفل شعبنا العزيز في كثيرٍ من المحافظات والمناطق، ويتجمع الناس لإحياء هذه المناسبة بتعابير

وأشكال متعددة، تتضمن فقرات، وتتضمن كلمات، وكذلك ما يتعلق بالشعر، ومظاهر أخرى من الابتهاج وإظهار السرور والفرح في هذه المناسبة، التفاعل مع هذه المناسبة، نحن أولاً نتوجه بالمباركة والتهاني إلى كل الإخوة والأخوات من المؤمنين والمؤمنات الذين يعترفون للرسول ﷺ بهذا البلاغ العظيم ويؤمنون به، ثم نؤكد على أهمية إحياء هذه المناسبة؛ **باعتبار ذلك:** أولاً من الشكر لنعمة الله ﷻ، الله ﷻ الذي قال في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: من الآية ٣]، فالاحتفال بهذه المناسبة هو من الشكر لهذه النعمة العظيمة من الله ﷻ وهو- أيضاً- من الشهادة بكمال الدين الإسلامي أن الله أكمله وأتمه ليتناول كل شؤون الحياة بمختلف مجالاتها، ولم يترك جوانب رئيسية ومهمة بدون أن يحدد فيها على ضوء دينه وضمن توجيهاته ﷻ الهداية اللازمة التي تصلح بها حياة الإنسان، والشهادة بكمال الدين لها أهمية كبيرة فيما تعنيه من الشهادة لله ﷻ بحكمته، برحمته، بعدله، بقدسيته، والاحتفال- أيضاً- بهذه المناسبة والإحياء لها هو- أيضاً- شهادةٌ للرسول ﷺ بالبلاغ لذلك الأمر الإلهي الذي أمر بإبلاغه في آيةٍ قرآنيةٍ مهمة، سنأتي للحديث عنها، وهو كذلك عملية توثيقية لنقل هذا البلاغ جيلاً بعد جيل؛ **لأن** هذه المناسبة يحتفل بها المؤمنون جيلاً بعد جيل على مر التاريخ، منذ زمن طويل، هنا عندنا في اليمن احتفل بها الآباء، واحتفل بها الأجداد، وتوارثتها الأجيال، فالاحتفال بحد ذاته يمثل عملية توثيقية، وعملية نقل لهذا البلاغ من الأجيال، من جيلٍ إلى جيل، وشهادة للرسول بالبلاغ، وشهادةٌ- أيضاً- أو تفاعلٌ مع هذا البلاغ، تفاعلٌ من خلال الإيمان بهذا البلاغ في نصه، وفي مضمونه، وفي مدلوله، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**.

عندما نأتي إلى هذا البلاغ التاريخي الذي يستحق أن نقول عنه: أنه بلغ أعلى درجات الأهمية، يتضح ذلك من النص القرآني، ويتضح ذلك بالنظر إلى الظروف والوضعية التي نزل فيها هذا البلاغ، وبالنظر إلى الترتيبات التي عملها الرسول ﷺ لتقديم وتبليغ هذا البلاغ المهم- وأيضاً- في مضمون ومحتوى هذا البلاغ، وعلاقته بالأمة في دينها وفي واقع حياتها.

الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة النبوية، يعني: ما قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، في آخر السنة في شهر ذي الحجة، وهو عائدٌ من حجة الوداع، وسميت بحجة الوداع لأن الرسول ﷺ في ذلك الحج أشعر الأمة بقرب رحيله من هذه الحياة، هو قال في خطابه الشهير في حجة الوداع، ((**ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**)) في مناسبة الغدير نفسها، التي ألقى فيها الكلمة أثناء عودته من الحج قال- أيضاً- **كلمته الشهيرة:** ((**يوشك أن أدعى فأجيب**))، **يعني:** أنا على وشك الرحيل من هذه الحياة؛ اقترب رحيلي من هذه الحياة، أكملت مهمتي، أديت دوري؛ **بقي** فقط هذه النقطة التي تحتاج إلى هذا الإعلان العام.

بعد إعلان قرب رحيل الرسول الأكرم.. من سيملأ الفراغ؟

في هذه الظروف التي رسول الله ﷺ يعلن فيها عن قرب رحيله من هذه الحياة، بكل ما لذلك من تأثير كبير في واقع الأمة، ما يحدثه ذلك من فراغ كبير **جدًّا**، ما يتركه ذلك من قلق بالغ على مستقبل الأمة؛ **ما بعد** وفاة نبيها ﷺ فيما كان يمثله رسول الله ﷺ وفيما كان له من أهمية قصوى، وهو الرسول بكل ما تعنيه الرسالة الإلهية، في موقع النبوة والرسالة، يؤدي مهمته كرسولٍ

ونبيٍ لله ﷻ يبلغ رسالة الله، ويقوم هو عملياً بإقامة دين الله، والتنفيذ لتلك الرسالة الإلهية والتطبيق لها، والإشراف على تطبيقها في واقع الحياة، الفراغ الكبير الذي يمكن أن يتركه النبي ﷺ ما بعد وفاته في موقع الهداية والقدوة والقيادة، والتحرك بالأمة في مسيرة الإسلام **بكل جوانبها:** التربوية، والتنفيذية، والعملية، بكل ما يتعلق بها من مسؤوليات، **وبكل ما يرتبط بها من:** إجراءات، وسياسات، ومواقف، وتوجهات، يمكن أن يترك هذا الرحيل بما يتركه من فراغ هاجساً كبيراً لدى الناس، ليست المسألة عادية، من حق الناس أن يتساءلوا وأن يقلقوا تجاه مستقبلٍ يحدث فيه هذا الفراغ، وفراغ كبير.

رسول الله ﷺ بكماله العظيم، وهو خاتم النبيين وسيد الأنبياء والمرسلين، وهو الذي بلغ ذروة الكمال البشري في الكمال الإيماني، في الكمال الأخلاقي، في الكمال الإنساني... في كل جوانب الكمال فيما يمكن أن يصل إليه بشر، وبالتأكيد المسألة في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة، ولذلك كان النبي ﷺ في مراحل متعددة، وفي مناسبات مختلفة كان النبي يتحدث بما يحدد للأمة من يرتبط بالنبي ﷺ ضمن دورٍ محدد لإكمال المسيرة الدينية، لإكمال المسيرة الإلهية، لإكمال مسيرة الإسلام، ففي مناسبات متعددة ومتنوعة كان النبي ﷺ يتحدث عن الإمام عليٍ عليه السلام حديثاً مميزاً، ليس مجرد إشادة تشجيعية. لا، إنما كان يتحدث بعبارات تبيِّن موقع الإمام علي عليه السلام في علاقته برسول الله ﷺ وفي دوره المنوط به ضمن مسيرة إقامة الإسلام، الرسول ﷺ عندما قال في الحديث المعروف بين الأمة، المتواتر بين الأمة باختلاف مذاهبها عن عليٍ عليه السلام: أنه منه **بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه**- كما قال في الحديث ﷺ- **لا نبي بعدي،** فالإمام عليٍ عليه السلام له هذه المنزلة، له هذا الموقع، ويرتبط به هذا الدور:

((**بمنزلة هارون من موسى، إلا...**)) المستثنى من هذا الدور فقط هو النبوة؛ **لأن** هارون كان نبياً، أما الإمام عليٌ عليه السلام فليس بنبي، ختمت النبوة برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يؤدي هذا الدور بصفة الولاية، الامتداد امتداد الولاية، ولهذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحدث في هذا الحديث بعبارة تحدد لنا طبيعة الدور المنوط بالإمام علي عليه السلام المسؤولية التي عليه، ولكن بأجلى بيان؛ **لأن** هذا التوصيف الذي ذكر فيه موسى عليه السلام ثم هارون عليه السلام ثم موقع هارون من موسى -عليهما السلام- وهو موقع الوزير ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه: الآية ٢٩]، المناصر، المعاضد، الخليفة، ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٢] قال له، هذا الدور المنوط بهارون عليه السلام كان واضحاً في القرآن الكريم ومعلوماً في سيرة الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- فأن يقدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المسألة ويقدم لها نموذجاً، ويقدم لها مثالاً واضحاً، يحددها، يبينها، يجليها، هو قدَّم ما يكفي ويفي، ثم في مناسبات كثيرة تحدث فيها عن كمال الإمام علي عليه السلام الإيماني، عندما قال في معركة خيبر قبل فتح الحصن، عندما أراد أن يبتعث علياً عليه السلام لهذه المهمة الاستثنائية وتحدث بذلك الحديث المعبر عن الكمال الإيماني القطعي: ((**رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرارٌ غير فرار، يفتح الله على يديه**))، هذه المواصفات الإيمانية القطعية التي تتحدث عن ماذا؟ عن مكنون القلب ومخفي الصدر، عمَّا في العمق، التي تشهد بشكلٍ قاطع على ما في أعماق الإمام علي عليه السلام من أعلى ومن أسمى ومن أعظم ما يعبر عن الإيمان، الإيمان العظيم، الإيمان الذي يقوم أو ينبعث وينطلق من هذه المحبة المقطوع بها بشهادة الرسول عن الله سبحانه وتعالى: ((**رجلاً يحب الله ورسوله**))، فهو على هذا النحو من الإيمان المقطوع به، **ثم يقول:** ((**ويحبه**

الله ورسوله))، ليبيِّن العلاقة المتبادلة هذه: علاقة الإمام علي عليه السلام بالله ورسوله، بمحبته الإيمانية العظيمة، في محبته لله سبحانه وتعالى المحبة الإيمانية التي قال عنها الله في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٦٥]، حباً يفوق كل حب، حباً يبعث على الانطلاقة العملية؛ **بناءً** على أساس الاستقامة ضمن منهج الله وتعليماته سبحانه وتعالى بكل رغبةٍ وشوقٍ ولهفة، ثم هذه المحبة العظيمة التي ينتج عنها طُهر المشاعر، زكاء النفوس، صفاء النفوس التي تصلح باطن الإنسان؛ **فيصلح** ظاهره، وتسموا وتصلح أعماله، أما في علاقته بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أوعى الأمة وأعظمها معرفةً بعظيم منزلة رسول الله ومكانة رسول الله وأهمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت علاقته بالرسول كمؤمنٍ بهذا الرسول، متبعٍ لهذا الرسول، مقتدي بهذا الرسول، علاقة مميزة، هو عاش في ظل أجواء التربية النبوية التي حظي بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طول مسيرة حياته، حتى لحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى.

كم من مقامات عبَّر عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الإمام عليٍ عليه السلام في منزلته في الإسلام، وفي دوره المهم، وفي مقامه المهم، **عندما كان يقول: ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))**، عندما يردد في مناسبات أخرى الشهادة والنص على- أيضاً- كمالات إيمانية تتعلق بالإمام عليٍ عليه السلام هنا أو هناك، في كل ذلك في كل تلك المناسبات هو كان يؤشر إلى الإمام علي عليه السلام وكان يسعى إلى أن يربط الأمة بالإمام عليٍ عليه السلام ضمن هذا الدور المهم للإمام علي عليه السلام.

وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.. المضمون والدلالة

يأتي البلاغ في مناسبة يوم الغدير ليمثل تتويجاً لكل تلك الإشارات، ولكل تلك التنبيهات، لكل تلك النصوص في تلك المناسبات المختلفة، وليمثل إعلاناً عاماً؛ وقد حضرته جموع الأمة- بمناسبة الحج- التي ذهبت لحجة الوداع، بعد عملية استدعاء الرسول ﷺ استدعاء من جانبه للأمة للحضور في ذلك الحج بأقصى ما يمكن، مطلوبٌ من كل الذين يمكنهم أن يحضروا، أن يحضروا في ذلك الحج؛ **لأن** فيه بلاغات مهمة، ونداءات مهمة، وتوجيهات مهمة، وتعليمات مهمة. فرسول الله ﷺ وهو عائدٌ في تلك الظروف الحساسة المهمة، التي أبلغ فيها الأمة عن قرب رحيله من هذه الحياة، بكل ما لذلك من تأثير، بكل ما يتركه ذلك من قلق في واقع الأمة، وهو في الطريق من مكة يريد العودة إلى المدينة وصل إلى وادٍ ما بين مكة والمدينة، هو إلى مكة أقرب، وهذا الوادي يعرف بخم، وفي هذا الوادي غدير (ماء)، بالقرب من هذا الغدير الرسول ﷺ نزل عليه قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، هذه الآية المباركة والتي هي من آخر ما نزل من القرآن الكريم، والتي عادةً ما نذكر نحن- والكل يذكر- بأنها تضمنت ما يدل على أهمية هذا البلاغ، وبأنه في أعلى درجات الأهمية؛ **لأنه حينما يقول له:** ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وهو قد بلغ التوحيد بأهمية هذا المبدأ العظيم: مبدأ التوحيد لله ﷻ وبحساسيته الكبيرة في الواقع العربي والواقع البشري عموماً، الواقع العالمي آنذاك، بلغ شرائع الإسلام في معظمها، بلغ كذلك المبادئ، المواقف، القيم، الأخلاق، قد خاض مختلف أنواع الصراع

مع المشركين العرب، مع اليهود وحسم الموقف معهم، مع النصارى وحسم الموقف معهم، قد أعلن المواقف الرئيسية واتخذها في كل تلك المراحل الماضية، منذ بعثته بالرسالة وإلى ذلك اليوم، العقائد الرئيسية قد بلغها، معظم القرآن الكريم قد نزل، فالرسول ﷺ **يعني** في المرحلة الأخيرة ما قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر يقول الله له: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، هذه الآية المباركة من أهم الآيات التي ينبغي التوقف عندها ملياً، والتأمل فيها، والتدبر لمحتواها العظيم؛ **لأنها** من آيات الله المهمة التي تضمنت هدياً لنا، ونحن في أمسِّ الحاجة إلى هدى الله ﷻ نحن كأمةٍ مسلمة في أمس الحاجة إلى أن نهتدي بهدى الله ﷻ؛ **لأنه** النور، لأنه النجاة، لأنه الفلاح، لأن في الاهتداء به وعياً والتزاماً عملياً الخير كله، والفلاح، والنجاة، والفوز.

ولذلك هذه الآية المباركة هي قدمت لنا ولفتت انتباهنا إلى أهمية هذا البلاغ؛ لأن الرسول ﷺ لم يكن ممتنعاً عن تبليغ ما أمره الله بإبلاغه، ولا يمكن أن يمتنع من ذلك، أو أن يحاول التنصل عن ذلك أو التهرب من ذلك، هو منذ بداية البعثة الإلهية له بالرسالة إلى الناس- بدايةً من مجتمعه في مكة- صدع بأمر الله ﷻ حتى في أهم المسائل الحساسة آنذاك، في مقدمتها التوحيد، ومبادئ مهمة **جدًّا**، وهو خاض الغمرات للحق، ولإقامة دين الله، ولإقامة رسالة الله في مواطن كثيرة، وواجه التحديات والصعوبات الجمة والمتعددة؛ فهو لا يحتاج إلى أن يخاطبه الله بهذه الطريقة لكي يبلغ، أن يقول له: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، لا يحتاج إلى هذا المستوى من التعبير والخطاب له لكي يبلغ، وإلَّا كان قد يمتنع، أو يرفض، أو يتنصل ويتهرب عن الإبلاغ. حاشاه! هو ﷺ في إيمانه العظيم بالله، في علاقته بالله ﷻ في

كماله العظيم وتهيئته للقيام بمسؤولياته في الرسالة والنبوة، أعلى شأناً من أن يتنصل أو يمتنع عن إبلاغ أي شيءٍ مما أمره الله بتبليغه، هذه لنا نحن، لنا نحن المسلمين، لنا نحن الأمة؛ **لكي** ندرك ماذا يعنيه هذا البلاغ، أهمية هذا البلاغ، عندما يقول: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؛ **لتدرك** الأمة بكلها، لندرك جميعاً مستوى الأهمية لهذا البلاغ التاريخي العظيم، أنه في أعلى درجات الأهمية من حيث موقعه في الدين نفسه، في الهداية الإلهية نفسها، في التوجيهات الإلهية نفسها، في أثر الدين في واقع الحياة، في فاعلية الدين في واقع الحياة، في ثمرة الدين في واقع الحياة، له هذه الأهمية الكبيرة التي لو أهمل بها هذا الجانب وجُمِّد وعُطِّل وشطب، يبقى الدين بكله فيما يبقى منه من طقوس، فيما يبقى منه من أخلاقيات هامشية، يبقى معطلاً، لا تنتج عنه الثمرة المطلوبة كمشروعٍ للحياة، كمنهجٍ للحياة تقوم عليه الحياة في كل مجالاتها؛ **لأن** هذا الدور العظيم للدين، والذي قام به الرسول ﷺ وأحياه في واقع الأمة التي آمنت بهذه الرسالة وأسلمت، هذا الدور، هذه الثمرة في واقع الحياة لا يمكن لها أن تستمر بدون أن يكون هناك من يعمل على هذه الاستمرارية، من يقوم بهذا الدور ومن موقع الولاية إن لم يكن من موقع النبوة والرسالة، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، هذا المستوى من الأهمية الكبيرة.

حساسية الموضوع والترتيبات اللازمة

ثم يقول: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، هذا يدلل على مدى حساسية هذا الموضوع في واقع الناس، وبقيت هذه المسألة حساسة على مر التاريخ مع تعاقب الأجيال، مسألة حساسة **جدًّا**، هي في أعلى مستويات الأهمية، وهي- أيضاً- في أعلى مستويات الحساسية في الموقف

من الكثير من الناس تجاه هذه المسألة، الحساسية تجاهها نظراً لدورها الفعال والمؤثر في واقع الناس، وسنأتي على هذا بنحوٍ من التفصيل.

الرسول ﷺ **عندما نزلت عليه هذه الآية** المباركة هو عمل الترتيبات اللازمة المنسجمة- أيضاً- مع هذه الآية المباركة، ترتيبات تقدِّم هذا البلاغ الإلهي بأهميته، وتلفت الانتباه إلى أن هذا البلاغ هو في غاية الأهمية، والرسول ﷺ كان قديراً في تقديم ما يقدمه وفي تبليغ ما يبلغه من رسالة الله ﷻ وتوجيهاته وتعليماته مع إعطائه الأهمية اللازمة، والتفاعل معه بمستوى ما هو عليه من الأهمية، وهذا كان جزءاً من وظيفته الرسالية، من دوره كنبيٍ ورسول، مما تستلزمه مهمته ودوره في إبلاغ الرسالة وفي تقديم الدين الإلهي، ولذلك رسول الله ﷺ بكماله القيادي والإداري، بكماله في مسألة التبليغ، وقدراته التي وهبه الله ﷻ إياها نفذ هذه المهمة بشكلٍ ملفت **جدًّا**، الوقت كان وقت الظهيرة في شدة حرارة الشمس، المنطقة منطقة مهمة، هذا الوادي يقع عند مفترق الطرق، قبل أن يتفرق الحجيج للذهاب إلى مختلف الاتجاهات للعودة إلى أوطانهم، أمر بعودة السابق وانتظار اللاحق، وجمع الجميع اجتماعاً طارئاً استثنائياً، في ظل ذلك الجو من الحرارة الشديدة، في منطقة واضحة ومكشوفة، والجو- أيضاً- كان صافياً **جدًّا**، في منتصف النهار، لم يكن هناك من ضباب، المنطقة لم يكن فيها ما قد يؤثر على الرؤية، هيأ الجو اللازم؛ لتكون عملية الإبلاغ هذه على أرقى مستويات الوضوح، وألَّا يشوبها أي التباس، اجتمع عشرات الآلاف من الحجيج في تلك اللحظة، وأكتمل الحشد، وعاد الكل إلى ذلك المكان المحدد للاجتماع، من سبقوا عادوا، ومن كانوا متأخرين قد لحقوا ووصلوا، وجمعت أقتاب الأبل بأمرٍ من رسول الله ﷺ؛ **لتكون**

منصةً ليصعد عليها الرسول ﷺ صعد عليها ومعه عليٌ عليه السلام بأمره، والرسول ﷺ خطب في تلك الجموع الغفيرة- وكلها منصتة ومستمعة ومصغية- خطاباً مهماً، كرر فيه الإشعار لأمته بقرب رحيله من هذه الحياة، **دلها على التمسك بالثقلين: (إني تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)**، واصل خطابه في هذا السياق، ثم في المرحلة التي قد شمل فيها الإنصات وعمَّ فيها التركيز، وباتت كل الجموع في كامل الإصغاء والتركيز والانتباه، قدَّم الإعلان الذي يمثل الموضوع الرئيسي للخطاب، **قائلاً: ((يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ، أَوْلَى بِهِم مِنْ أَنْفُسِهِم، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا))** وأخذ بيد علي عليه السلام ورفع يده مع يد علي عليه السلام إلى الأعلى: **((فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ))**، كان هذا الإعلان هو مضمون ذلك البلاغ الذي قال عنه الله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

الرسول ﷺ في مقامه ذلك وفي خطابه ذلك أقام الحجة على الأمة؛ **لأن** هذا البلاغ ستتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، وسيبقى حاضراً في تراث الأمة، وموثقاً بأشكال متعددة في واقع الأمة عبر الأجيال، **الرسول ﷺ في نفس ذلك المقام كان يقول: ((أَلا هل بلغت))**، فيشهدون له بالبلاغ، **فيقول: ((اللهُمَّ فاشهد))**، **((أَلا هل بلغت))** يشهدون له بالبلاغ، **يقول: ((اللهُمَّ فاشهد))**.

ولاية الإمام علي قُدمت بجلاءِ نسَفَ النقاش والجدل

الرسول ﷺ **بالآية المباركة**، بتلك الترتيبات التي عملها، بكيفية تقديمه وإعلانه لهذا البلاغ الذي مثَّل تتويجاً- كما قلنا- لكل ما سبقه من النصوص التي تحدثت عن عليٍ، وعن منزلته، وعن مقامه، وعن دوره في هذه الأمة، كان ذلك النص، كان ذلك البلاغ هو التتويج والإعلان العام وفصل الخطاب في هذه المسألة، ولذلك لم يبقَ هناك أي تساؤلات ولا تحليلات ولا نقاشات تتعلق بفترة الفراغ ما بعد وفاة النبي ﷺ ولا ينقل التاريخ ولا تنقل السيَر أن تلك المرحلة **التي قال عنها الرسول:** ((**إني أوشك أن أدعى فأجيب، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**))، في كل تلك المناسبات التي بلَّغ فيها- تحدث فيها- عن قرب رحيله ووفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى، لم تكن الساحة الإسلامية تعيش حالة النقاش والجدل والاستفهام والأخذ والرد في فترة ما بعد وفاة النبي ﷺ لماذا؟ مع أنها مسألة في غاية الأهمية، كان من الطبيعي **جدًّا**- بعد إشعار الناس بقرب وفاة الرسول، بقرب رحيله ﷺ بوداعه للناس في حجة الوداع- أن تمتلئ الساحة الإسلامية بالجدل والنقاش عن ما يتركه رحيل النبي ﷺ من فراغ في الساحة الإسلامية، أن تمتلئ الساحة بالجدل والنقاش والتحليلات، نحن من واقع التجربة في هذه الحياة كلنا يعلم أن رحيل أي زعيم، أو الحديث عن رحيله بمجرد أن يمرض (أمير، أو قائد، أو زعيم) مرضاً يوشك فيه على مفارقة هذه الحياة، أو يصاب، أو يتعرض لخطورة، يأتي الأخذ والرد والجدل والنقاش عن ما يتركه من فراغ.

الرسول ﷺ **عندما أشعر الأمة بقرب رحيله هو**- في نفس الوقت- سبق ذلك بمؤشرات، وأكثر من المؤشرات، بنصوص واضحة، بتعابير جلية، بأمثلة

حاسمة في إعطاء الصورة بشكلٍ كاملٍ وواضح، **عندما يقول: ((بمنزلة هارون من موسى))**، ومع ذلك توج كل ذلك بهذا الإعلان الهام، النهائي، الحاسم، الفاصل، القاطع، يقول فيه بهذا التسلسل الواضح: **((إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ))**، أنبياء الله هم عباد الله، وهم قاموا بواجبهم في إبلاغ الرسالة الإلهية من واقع توليهم لله ﷻ وعنوان الولاية الإلهية على العباد هي عنوانٌ شامل، عنوانٌ واسع، عنوانٌ كبير في كل جوانبها، هي تشمل كل الجوانب: سواءً الجانب التكويني، أو الجانب التشريعي، أو جانب التدبير، جانب الهداية في مفهومها العام والواسع... مفاهيم واسعة تدخل في هذا، وأنبياء الله هم يأتون ليعيدوا الناس- ضمن مبدأ الولاية الإلهية- إلى التشريع الإلهي، إلى الهداية الإلهية؛ لربط حياة الناس في مختلف شؤون حياتهم على أساسٍ من هدي الله وتوجيه الله ﷻ لتربية المجتمع على أساسٍ من القيم الإلهية، على أساسٍ من الأخلاق العظيمة التي قدمها الله لعباده، والتي أودعها في فطرتهم، الكلام واسع عن هذه المسألة، يأتي دور الرسل والأنبياء- أيضاً- ليمثلوا امتداداً للولاية الإلهية من موقعهم في الرسالة، الله وليٌ لعباده بربوبيته، بألوهيته، بأنه الإله، بأنه الربَّ، بأنه الملك والمالك، بأنه الخالق، بأنه الرازق، بأنه... إلى بقية ما تعنيه أسماؤه الحسنى؛ **أما** الرسول فمن موقعه في الرسالة كعبدٍ لله ﷻ يتحرك للسير بالعباد في واقع عبوديتهم لله ﷻ وفق هدي الله ومنهجه العظيم في كل جوانبه التي تتصل بشؤون الحياة بكلها.

ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **والنبوة قد ختمت يأتي هذا الدور بعد أن قال: ((وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ، أَوْلَى بِهِم مِنْ أَنْفُسِهِم، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ))**، **((فَهَذَا عَلِيٌّ))** عليٌ بأمرٍ من الله ﷻ عليٌ بكماله الإيماني العظيم

الذي جعله بهدايةٍ من الله، بأمرٍ من الله، بتأهيلٍ من الله جديراً بهذه المسؤولية، بمستوى هذه المسؤولية، لائقاً بهذا الدور العظيم، ((**فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ**))، لتكون ولاية الإمام علي عليه السلام امتداداً لولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس من موقع الرسالة والنبوة، ولكن- كما قلنا- من موقع الولاية، **ليعني** هذا أن الامتداد الأصيل، الصحيح السليم في الدور الذي كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القدوة والقيادة والهداية، والعمل على إقامة الدين، والحركة بالأمة في مسيرة حياتها على أساس منهج الإسلام العظيم سيستمر ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خلال علي عليه السلام من موقع الولاية، هذه هي الخلاصة، فلن يكون هناك فراغ، بل سيأتي هذا الدور وهذا الامتداد الأصيل سيكون هو الذي يضبط مسيرة هذه الأمة في حركتها بالإسلام، في التزامها بالإسلام، في سيرها على أساس منهج الإسلام العظيم، وفي نفس الوقت لن يكون هناك الفراغ الذي يمكن أن يمثل ثغرةً كبيرة، ويمكن أن يشكل خطورةً كبيرة تعيش الأمة فيه حالة الفوضى والانفلات الذي يمكن أن يستغله أعداؤها لاختراق هذه الأمة، للتأثير فيها، أعداؤها من الداخل، من المضلين، من الطغاة، من المجرمين، من الانتهازيين، أو من خارج الأمة، من كل الفئات المضلة من خارج الأمة.

الولاية وموقعها المهم في المشروع الإسلامي العظيم!

فإذاً إجراءات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ترتيباته، الإعلان للنص، النص القرآني بنفسه، علاقة الموضوع في موقعه من الدين، وفي أثره في الحياة، كل هذا يدل على أهمية هذا البلاغ، وعلى أهمية الارتباط بهذا البلاغ من واقع الوعي، من واقع الإيمان، من واقع الاستفادة منه حتى ننظر إلى الإسلام نظرةً صحيحة؛ **لأننا** إن فقدنا هذا الارتباط نفقده في حلقة الوصل الأولى في الامتداد الأصيل

منذ وفاة الرسول ﷺ كل هذا سيحدث فراغاً كبيراً في الذهنية العامة، وبالتالي في مشروع الإسلام بكله، سنراه مشروعاً لا رأس له، لا قيادة له، لا معني به، سننظر إليه على أنه مشروعٌ منفلت، مشروعٌ من جاء؛ **يتبناه** يتزعمه، من جاء يخترقه، من جاء يوظف عناوينه، من جاء يقدم نفسه الأمين المؤتمن عليه، من جاء يتحرك تحت عنوانٍ من عناوينه سيجد فرصةً لخداع الكثيرين من قاصري الوعي، من ناقصي الإيمان، من السذج، من الذين لا يتمتعون بالحصانة الثقافية والمعرفية الصحيحة التي تحميهم من التأثر، **معناه** أننا ننظر إلى هذا الدين برؤيةٍ قاصرة ستجعل منه مجرد طقوس وأخلاقيات عامة محدودة، بعيداً عن النظرة إليه كمشروع يبني الحياة، يبني الأمة لتتجه هذه الأمة لبناء الحياة، ننظر حتى إلى الإسلام على أنه مجرد مشروع بسيط، **يعني**: ليس مشروعاً للحياة بكل ما يعنيه في ذلك، ليحقق للإنسان الدور المنوط به كخليفةٍ لله في الأرض، **بل ننظر إليه على أنه يرتبط بالإنسان في جوانب محدودة من حياته وشؤونه:** بعض من الأخلاقيات العادية، طقوس معينة؛ **أما** أن يدير شأن هذا الإنسان، أما أن يحل مشاكل هذه الحياة، أما أن يبني واقع البشرية لتؤدي دورها الحضاري، لتؤدي دورها الاستخلافي في الأرض على أساسٍ صحيح، فهذا سيشطب، سيغيب، أو تقدم رؤية أخرى محرفة، مشوهة، على النحو الذي يقدمه الدواعش والتكفيريون، **معناه** أن نفتح ثغرةً كبيرةً لأعداء الأمة، أعدائها من اليهود القديرين في عملية التحريف، ليتدخلوا هم في واقع الأمة لصنع ولاءات، لصنع ثقافات، لصنع رموز وهمية في عملية التضليل بالأمة التي حذر منها القرآن الكريم، في عملية التطويع التي ينفذون من خلالها للسيطرة على واقع الأمة.

ولذلك يجب أن نفهم أن هذا المبدأ العظيم مبدأ الولاية بمفهوم حديث الغدير، وثقافة يوم الغدير، ومناسبة الغدير، هو يضمن لنا النظرة إلى الإسلام في امتداده الأصيل والسليم والنقي الذي يبني الأمة، ويحمي الأمة من الاختراق، ويحمي الأمة من كل أولئك الطامعين، من كل أولئك المضلين، من كل أولئك الذين قدموا لهم رؤى بديلة تبرر لهم السيطرة على هذه الأمة، إدارة شؤون هذه الأمة من موقع البغي، من موقع الضلال، من موقع الانتهازية، من الجبارين والطغاة والمفسدين والظالمين والجائرين والمستكبرين، الذين ليسوا أمناء على الأمة في أن يديروا شؤونها، في أن يكونوا امتداداً أصيلاً على أساس مبدأ الولاية، **في السير بالأمة على أساس منهجها الإسلامي العظيم في كل مجالاته:** التربوية، التثقيفية... التي تبني الإنسان أولاً حتى على المستوى التربوي، تهدي هذا الإنسان، تزكي هذا الإنسان، تربي هذا الإنسان، تصلح هذا الإنسان، تسمو بهذا الإنسان ليؤدي دوره العظيم في هذه الحياة، الإسلام هو دينٌ عظيم إذا تمسكت به الأمة كما هو في أصالته، في نقائه، في مبادئه الحقيقية، في مشروعه العظيم، في أهدافه الكبيرة؛ **تصلح** البشرية وتصلح الحياة، يصلح واقع الحياة، يحقق للناس الخير، ويحقق للناس العدل، ويسمو بالبشر في أخلاقهم، في تصرفاتهم، في سلوكياتهم، في أعمالهم، يسموا بالإنسان.

مبدأ الولاية ودوره في تصحيح الانتماء للإسلام الأصيل

الدور المناط بالمسلمين، والمسؤولية الملقاة على عاتق المسلمين في العمل على تقديم نموذج حقيقي يعبِّر عن هذا الإسلام؛ **حتى** يكون المسلمون أمةً تحمل هذا المشروع العظيم في رسالته إلى البشرية بكلها، رسالته الهادية، رسالته العادلة، رسالته التي هي خيرٌ لكل البشرية، يحتاج إلى أن يكون القائم

على هذا يمثل امتداداً أصيلًا، صحيحًا، سليماً؛ **حتى** ينهض بهذا الدور، امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله: الإمام عليٌ عليه السلام، ثم يكون الإمام عليٌ عليه السلام هو أرقى نموذج وأعلى ما يعبر عن المعايير والمواصفات والكمالات اللازمة لهذا الدور في الأمة، ونحن نجد أن الذين فقدوا الإيمان بولاية الإمام علي عليه السلام فقدوا حلقة الوصل بالرسول صلى الله عليه وآله خسروا هذا الامتداد الأصيل الذي يحمل إلينا الإسلام، ليس فقط قولاً، وإنما قولاً وفعلاً؛ **والإسلام**- أيضاً- كمشروع لهذه الحياة.

عندما نعود إلى الإمام علي عليه السلام نعود إلى أعظم من يقدم لنا الإسلام في حقيقته، في أخلاقه، كناقلٍ عن الرسول صلى الله عليه وآله وكنموذج حمل الإسلام فكراً، ظهر الإسلام فيه في كل نواحي شخصيته، في كل مجالات حياته، وتحرك بالإسلام من موقع الكمال العظيم الذي تركه فيه هذا الإسلام كمبادئ، وقيم، وأخلاق، ومشروع، ووعي.

وهكذا نحن في هذه المرحلة بأمسِّ الحاجة إلى الإيمان بهذا المبدأ العظيم، الذي يضبط مسار الأمة، الذي يحميها من الاختراق، الذي يجعل من انتمائها للإسلام ارتباطاً، وليس فقط مجرد انتماء شكلي روتيني اعتيادي، يقتصر على التزامات محدودة، ضمن طقوس معينة، ضمن عبادات معينة، ضمن أخلاقيات معينة، ولكن يحوّل انتماءنا للإسلام إلى علاقة وارتباط منهجي للحياة بكلها؛ **حتى** نعرف أننا أمة مستقلة، نعيش حالة الاستقلال التام الذي يفصلنا عن التبعية بكل أشكالها لأعدائنا من اليهود وغير اليهود، لأعدائنا من المستكبرين في هذه الأرض، من الطاغوت المنحرف عن منهج الله سبحانه وتعالى من كل الظالمين والمضلين والمفسدين في الأرض، نرى في الإسلام مشروعاً للحياة نسير عليه، ننعم به بكل ما تضمنه من توجيهات إلهية، نحظى فيه بالرعاية الإلهية، ولهذا أتت الآية المباركة التي قال الله فيها سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: الآية ٥٥]، وهنا يقدم لنا الإمام علياً عليه السلام بمعايير إيمانية ومواصفات إيمانية، بعناوين إيمانية: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥-٥٦]، هكذا تحظى الأمة من خلال هذا الارتباط الذي يصلها بمنهج الله كما هو، بتعليمات الله كما هي، **بمنهج الإسلام بكل أثره في الإنسان:** في نفسية هذا الإنسان، في أخلاق هذا الإنسان، في سلوك هذا الإنسان، في وعي هذا الإنسان، في دور هذا الإنسان؛ **وبالتالي** نحظى برعاية من الله سبحانه وتعالى نحظى بالنصر، بالمعونة، بالتأييد في مواجهة كل الآخرين الذين يسعون إلى الاستحواذ علينا، إلى التغلب علينا، إلى السيطرة علينا من كل كيانات الطاغوت المستكبرة في الأرض، التي لا ترضى لنا بالاستقلال، هذا الاستقلال الذي نبنيه على أساسٍ من هويتنا، من انتمائنا الحقيقي الواعي الصحيح للإسلام، فالولاية تحول الانتماء للإسلام، تجعله انتماءً واعياً، انتماءً إلى المشروع وليس فقط انتماءً إلى الطقوس، وليس فقط انتماءً شكلياً روتينياً، بل انتماءً بناءً، انتماءً صحيحاً، انتماءً عملياً، انتماءً وارتباطاً بمصادر الهداية التي تتحرك بنا في هذا المشروع العظيم في واقع الحياة ليؤتي أثره وثمرته في واقع الحياة.

مبدأ الولاية يفصلنا عن الطغاة والمستكبرين

هكذا نجد أن هذا المبدأ مبدأٌ عظيم ومهم، وأن الرؤية الناقصة كما الرؤية المحرفة أيضاً تفتح المجال لكل من هب ودب أن يأتي حتى باسم هذا الإسلام، **أولسنا نجد الشواهد الماثلة أمامنا في التاريخ:** سواءً في العصر الأموي، أو العصر العباسي... أو غيره، أولسنا نجد الشواهد المثالة أمامنا في واقع الحياة من زعماء، من حكام، من جائرين، من طغاة، من مضلين يقدمون أنفسهم

باسم الإسلام، يتحركون في الساحة بعناوين إسلامية، ثم نجدهم على ارتباطٍ تام بأعداء الأمة من المستكبرين، ارتباط وثيق بأمريكا، ارتباط التبعية، ارتباط الولاء لأمريكا، ارتباط العلاقة بأمريكا التي يتحركون من خلالها في واقع الأمة كأدوات لأمريكا، ثم تأتي العناوين الدينية التي يسعون إلى توظيفها واستغلالها في خدمة أمريكا، نجد ما يمكن أن يحد من هذا بكله، أن يمنع هذا الاستغلال في التوظيف للعناوين الدينية، والاستغلال لها في داخل الأمة الإسلامية من خلال مبدأ الولاية الذي يفصلنا عن كل أولئك المستكبرين، وعن كل أولئك الطغاة والجائرين والمفسدين والمضلين، والذي يربطنا بالمسار الصحيح الذي تحكمه المعايير الإيمانية، والذي يصلنا بالإمام علي عليه السلام بآل الرسول -صلوات عليه وعلى آله- برسول الله محمد صلى الله عليه وآله يصلنا بمصادر الهداية الموثوقة، المأمونة والمؤتمنة حتى لا نضل، مع القرآن الكريم منهجاً، مع أولئك كرموز، وهداة، وقادة، وقدوة، نعرف الحق، نرى طريق الحق، نرتبط بالهداية ضمن رموزها ومنهجها العظيم ومصادرها الصحيحة؛ **فنتحرك** في واقع هذه الحياة ونحن في المنهج الإلهي الذي يفصلنا عن كل المستكبرين والمضلين والمفسدين.

في هذه المرحلة أخطر ما تعاني منه الأمة، وأكبر التحديات التي تواجه هذه الأمة: هي سعي المستكبرين من أعداء الأمة، كيانات الطاغوت المتمثلة بأمريكا وإسرائيل، ومن يدور في فلك أمريكا وإسرائيل للسيطرة علينا كأمةٍ مسلمة، **للتحكم بنا في كل شؤون حياتنا:** السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، للتأثير علينا إعلامياً وثقافياً وتعليمياً، للتحكم بالمناهج، للتحكم بما يؤثر على الرأي العام؛ **بالتلقين** الثقافي والفكري، حتى في الخطاب الديني، وهذا واضح من أوضح الواضحات.

ما يحمينا من كل ذلك، ما يفصلنا عنهم، ما يغلق كل النوافذ بوجوههم هو هذا المبدأ العظيم؛ **لأننا** نخرج من حالة الفوضى، الفوضى الثقافية، الانفلات في الولاءات، الارتباطات غير المنضبطة، البيئة المفتوحة لمن هب ودب أن يتحدث باسم الدين، أن يقدم أي رموز أي ثقافة، والمهم فقط هو العنوان؛ أما المضمون والحقيقة فلا تركيز على ذلك، هذه هي الحالة التي تمثل سلبية كبيرة وخطورة كبيرة في واقع الأمة، هذه الحالة التي فتحت المجال للدواعش، للتكفيريين، لكل الفئات المضلة أن تتحرك في واقع الأمة، هذه الحالة التي أتاحت لأمريكا وأتاحت الفرصة لإسرائيل أن تخترق الأمة إلى عمقها في الداخل، وأن تتبنى لها من يتحرك في داخل هذه الأمة بهذا العنوان أو ذاك العنوان، بذلك الاسم أو بذلك الاسم، بتلك الطريقة أو بتلك الطريقة، ويحاول أن يلبِّس على الأمة. ما يحمينا من كل ذلك هو هذا المبدأ العظيم الذي يضبط مسيرة حياتنا، ويربطنا بمصادر الهداية، ويربطنا بالامتداد الأصيل لحركة رسول الله ﷺ بدوره في الأمة، حتى ندخل ضمن قول الرسول ﷺ : ((**فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ**))، لنؤمن بولاية الرسول، وبالتالي نؤمن بامتدادها في الأمة؛ **لأن** الذي لا يؤمن بامتداد ولاية الرسول في الأمة، وبترها بتراً، وجعلها ولايةً منحصرةً على عهد النبي ﷺ بلا امتداد صحيح يعبر عنها بالفعل، يعبر عنها بالحقيقة، هو ينظر إلى هذا الإسلام- كما قلنا- برؤيةٍ قاصرة، وينظر إلى ولاية الرسول برؤيةٍ بَترت هذه الولاية وقُطِعت أو انفصلت عن امتدادها الصحيح، بكل ما لهذا الانفصال عن امتدادها الصحيح من تبعات كبيرة، على مستوى الضلال الفكري، والضلال الثقافي، والانحراف العملي.

الإيمان بمبدأ الولاية.. ماذا يعني؟

ثم يبقى لنا أن نؤكد على أن الإيمان بهذه الولاية ليس مجرد كلامٍ نقوله، ليس عبارةً عن انتماءٍ مذهبي، كمذهب وانتهى الأمر؛ **إنما** هو علاقة فيها ارتباط مبدئي، وأخلاقي، وعملي، نرتبط بهذا الإسلام في منهجه العظيم، في مشروعه العظيم، فنجعل من عليٍ حلقة الوصل التي تربطنا برسول الله ﷺ تربطنا بهذا الإسلام في مبادئه، بهذا الإسلام في أخلاقه، بهذا الإسلام في مشروعه العملي، بهذا الإسلام فيما يقدمه لنا من وعي، من بصائر، من حقائق، يكون مستوى هذه العلاقة من خلال التفاعل، من خلال تفاعلك أنت بهذه العلاقة، إقرارك بها يساعدك على أن تبني على هذا الإقرار هذا التفاعل اللازم؛ **لكي** تستفيد، لكي تكون ملتزماً بهذه الولاية في واقعك العملي وفي التلقي الثقافي والفكري الذي تعرف به الإسلام كما هو؛ **لتتحرك** على أساس ذلك عملياً بالالتزام في مسيرة حياتك، هذه هي المسألة المهمة **جدًّا.**

من النعمة أن يكون الإنسان مؤمناً، متقبلاً، منسجماً مع رسول الله ﷺ فيما يقدمه، تمثل مسألة التجاهل لهذا الإعلان والبلاغ العظيم، وتمثل مسألة الجحود لمدلوله الحقيقي ومعناه الصحيح، تمثل مشكلةً على البعض من أبناء الأمة، تفصلهم عن هذا الامتداد؛ **فلا** يستفيدون منه كما هو، فيكونون في موقفٍ صعب، في بيئة يسهل اختراقها وتأثير الأعداء عليها، في بيئة يكثر فيها التشويش والاختلال الثقافي والفكري، في بيئة تصعب فيها عملية الوعي والفهم الصحيح والنظرة الصحيحة، في بيئة تعيش حالة الانفلات والفوضى على المستوى الثقافي والفكري؛ **فيسهل** فيها الاختراق ويسهل فيها التأثير.

ولكن من يعيشون حالة الانتماء لهذا المبدأ العظيم عليهم أن يكونوا واعين لما يعنيه هذا الانتماء في تفاعلهم؛ **حتى** يعيشوا ثمرة هذا الانتماء وهذا الإيمان، ثمرته العظيمة التي وعد الله بها برعايته ﷻ حتى يحسوا بهذه العلاقة مع الله، علاقة الولاية الإلهية في الارتباط بالله ﷻ من خلال الارتباط الصحيح والواعي والفاهم والكامل بمشروعه العظيم.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لكي نكون ممن يؤمن بهذا المبدأ العظيم، ويتفاعل معه إيمانياً، فنكسب هذه الثمرة العظيمة: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، وأن يفصلنا عن التولي لأعدائه من اليهود والنصارى، من المستكبرين من كل كيانات الطاغوت وعملائهم وأدواتهم، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّدًا عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهُمَّ برضاكَ عن أصحابِه الأخيارِ المنتجبين، وعن سائرِ عبادِك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَ بَرَكَاتُهُ ؛؛؛

ومباركٌ لكم بهذه المناسبة المباركة: مناسبة يوم الغدير، يوم الولاية، اليوم الذي أعلن فيه رسول الله ﷺ ولاية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، اليوم الذي نزل فيه قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم؛ **قوله** -جلَّ شأنه-:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: من الآية٣]، هذا اليوم المبارك جديرٌ بنا أن نحتفل به، وأن نبتهج به، وأن نفرح بهذه المناسبة العظيمة والدينية المباركة، وشعبُنا احتفل بهذه المناسبة في هذا اليوم-كما في كل عام- ضمن موروثه الإيماني والديني الذي حافظ عليه، ويحافظ عليه

في المستقبل إن شاء الله. كما نبارك أيضًا لكل إخوتنا المؤمنين والمؤمنات بهذه المناسبة في عموم أقطار الأرض، وكل المحتفلين بها في مختلف البلدان.

هذا اليوم المبارك، وهذه المناسبة العظيمة لها أهميتها الكبيرة بالنظر إلى موقعها في الدين، وبالنظر إلى علاقتها بواقع الأمة، وهذا ما ينبغي أن ننظر من خلاله إلى هذه المناسبة، بعيدًا عن النظرة المشوهة التي سعى البعض من قوى الضلال لرسمها عن هذه المناسبة؛ **بغية** تشويه هذه المناسبة العظيمة والمهمة، فماذا تعنيه هذه المناسبة؟

عندما نعود إلى النصوص القرآنية، ونعود إلى النبي ﷺ في بلاغه العظيم الذي بلَّغه في هذا اليوم، سنجد الأهمية- كما قلنا- بالنظر إلى موقع هذه المسألة في الدين، وبالنظر إلى علاقتها بواقعنا نحن المسلمين.

النبي ﷺ في آخر السنة العاشرة للهجرة- يعني: ما قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر- حج حِجة الوداع، وحجة الوداع سميت بهذا الاسم؛ **لأن** النبي ﷺ ودَّع فيها أمته، وأشعر أمته بقرب رحيله من هذه الحياة، وبقرب انتقاله إلى جوار ربه، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، ذات أهمية كبيرة، ومقلقة بشكلٍ كبير للأمة؛ **بالنظر إلى ما بعد ذلك:** بالنظر إلى مستوى الفراغ الكبير والخطير الذي يمكن أن يتركه النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- من بعده، فبالتأكيد سيكون من أهم ما يقدَّم في هذه المناسبة، في هذا الحج (في حجة الوداع)، وبالذات والنبي ﷺ استدعى المسلمين للنفير إلى هذا الحج، وأرسل رسلًا إلى مختلف البلدان الإسلامية يدعوهم إلى الحج، فمن كان يستطيع الحج، فمن المهم أن يحج في ذلك العام؛ **للأهمية** القصوى، فكل ما كان سيقدَّم في هذه

الحجة، بالتأكيد له أهمية كبيرة لمستقبل الأمة، ولما بعد وفاة النبي ﷺ، لكل ما لذلك من أهميةٍ من جانب، وخطورةٍ كبيرةٍ وقلقٍ كبير من جانبٍ آخر.

عندما حج النبي -صلوات الله عليه وعلى آله وسلم- حجة الوداع، قام في أداء مناسكه في الحج بأداء الكثير من البلاغات والإعلانات المهمة المتعلقة بهذه الأمة في دينها وفي حياتها، ثم عاد من الحج، ووصل إلى وادٍ بين مكة والمدينة، وادي خُمّ، بالقرب من غدير ماء، فسمِّي بغدير خم، وعندما وصل إلى هذه المنطقة ولا زالت قريبةً من مكة أقرب منها إلى المدينة، وقبل افتراق الحجاج، قبل مفترق الطرق، ما بعد ذلك سيصل الحجاج إلى مفترق الطرق بالنسبة لوجهات بلدانهم، فالنبي ﷺ عندما وصل إلى هذه المنطقة نزل عليه قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، آيةٌ عجيبة، ومحتواها مهمٌ وعظيمٌ وكبير، وأتت في المرحلة الأخيرة من حياة النبي ﷺ، ما قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر.

المضمون والدلالات المهمة للآية المباركة

من المهم بالنسبة لكل مسلم أن يدرك أنَّ هذه الآية المباركة بتعبيرها الواضح تدل على أمرٍ في غاية الأهمية، أهميته جوهرية، تتعلق بالدين بكله، بفاعلية الدين بكله، بضمان استمرارية الرسالة الإلهية بشكلها الصحيح والتام على مدى الأجيال، ومدى فاعليتها في واقع الأمة، أمرٌ كهذا لا شك أنه في غاية الأهمية، مهما تجاهله الكثير من الناس، ومهما- كذلك- تأثر البعض بحجم الدعاية المضادة لهذه المناسبة، ولهذه الآية المباركة في مضمونها المهم، ومهما

حاول البعض أن يتحايل في تقديم المفهوم لهذا المضمون المهم للآية المباركة، الحقائق الدامغة المتعلقة بهذه الآية المباركة في مضمونها الصحيح تدحض كل الحيَل، وكل التلفيقات، وكل التأويلات الزائفة، لماذا؟ لأن هذه الآية المباركة أتت في آخر حياة النبي ﷺ، وحتى في مضمون النص القرآني في الآية: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، الرسالة على المستوى العقائدي، على مستوى الأحكام الشرعية، على المستوى الأخلاقي، على مستوى الجوانب التربوية وغيرها، البرنامج العام التفصيلي قد بُلِّغ من جانب النبي ﷺ، العلاقات والمواقف من القوى الأخرى قد بُلِّغت، وترتب على تبليغها مواقف عملية، حاول البعض أن يتحيل وأن يلفق أنَّ المقصود بهذا البلاغ الموقف من اليهود.

تعال إلى السيرة النبوية، عندما نزلت هذه الآية ما الذي كان قد تم في الصراع مع اليهود؟ كان النبي ﷺ قد اتخذ المواقف الحاسمة تجاه اليهود في مؤامراتهم على الإسلام، على مستوى التبليغ نزلت الآيات الكثيرة التي تفضحهم، تكشف مكرهم، وكيدهم، وتضليلهم، وخطورتهم، وتوبخهم، وآيات تلعنهم، وعلى مستوى المواقف العملية، دخل في حروبٍ معهم، منهم من طُرِدوا بشكلٍ كامل من الجزيرة العربية آنذاك، ومنهم من خنعوا وخضعوا صاغرين لهيمنة الإسلام، ودفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ومنهم أيضًا من قُتِلوا، الموقف كذلك من النصارى الذين حاربوا رسول الله وحاربوا الإسلام، كان قد اتُّخِذ على مستوى الآيات القرآنية التي نزلت بهذا الشأن وأعلِنت، على مستوى المواقف العملية التي ترتبت على ذلك، كل هذا كان قد بُلِّغ، وكل هذا كانت قد ارتبطت بعملية تبليغه مواقفُ عملية، فإذًا هناك شيءٌ آخر، شيءٌ أهميته ليست فقط لتلك المرحلة، وإنما

لمستقبل الأمة، لمستقبل الرسالة الإلهية في ضمان استمراريتها في مضمونها بشكلٍ صحيح، وفي عملية تطبيقها بشكلٍ صحيح، هذا هو الموضوع المهم.

ولأهمية هذا البلاغ، ولحساسيته البالغة والكبيرة في واقع الناس، أتى أيضًا ما يشير إلى ذلك، أو يتحدث بوضوحٍ عن ذلك في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وبشكلٍ استثنائي، **وفي هذا الموقع بالذات يأتي هذا النص المبارك:** ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، الذي يشير بوضوح إلى مدى حساسية هذه المسألة في واقع الناس، وأنها ترتبط بأمرٍ حساس على المستوى العام، وليس فقط- ربما- عند فئة من الفئات المحاربة للإسلام، بل لها حساسيتها الواضحة حتى داخل المجتمع الإسلامي، داخل البيئة الإسلامية، **عندما يقول:** ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، تفيد هذه الآية المباركة هذه الحساسية الشاملة التي تدخل حتى إلى داخل المجتمع المسلم.

ثم إنَّ هذا البلاغ في تلك المرحلة المعروفة، وميدان هذا البلاغ كان هو الوسط الإسلامي، بَلِّغ مَنْ؟ بَلِّغ الكافرين، أو بَلِّغ اليهود، أو بَلِّغ مَنْ؟ كان هذا البلاغ ميدانه وساحته هو المجتمع المسلم، وبَلِّغه في أوساط المجتمع المسلم، والمناسبة معروفة، تحدثت عنها كتب الأمة في تراثها التاريخي والحديثي.

ولأهمية هذه المسألة ولحساسيتها الكبيرة، يتضح الأهمية الكبرى لهذه المناسبة، ويتضح الأهمية الكبرى لتكرار هذا الإعلان وإبلاغه للأجيال في كل عام، والصدعِ به، والشهادة للرسول ﷺ بإبلاغه، هذه كلها مسائل ذات أهمية كبيرة، **فننظر إلى هذه المسألة من كل هذه الجوانب:** بحسب موقعها في الدين الذي تفيده هذه الآية المباركة بوضوح، بحسب علاقتها بالأمة، وهذا أيضًا

واضح، وسنتحدث عنه أكثر في هذه الكلمة إن شاء الله، وباعتبار حساسيته التي تدفع بعض قوى الضلال، وبعض القوى التي تأثرت بها إلى المحاربة الشرسة لهذه المناسبة، وللحديث عن هذا الموضوع، ولسعيها الكبير لمواجهة هذا المبدأ المهم الذي احتواه هذا البلاغ بكل ما أوتيَت من قوة، وبسعيها الكبير للتلبيس والتضليل بشأن هذه المسألة ذات الأهمية الكبيرة للأمة.

هذا الموضوع بالنظر إلى أهميته من جانب، وحساسيته من جانب، لا بدَّ فيه من الإيمان، لا بدَّ فيه من التقوى، لا بدَّ فيه من النظرة الموضوعية المجرَّدة من الحساسيات، لا بدَّ فيه من أن يتجه الإنسان وهو يعتمد على الله ﷻ، يرجو هدايته، ويرجو توفيقه؛ **حتى** لا يتأثر بحالة التشويش التي تأتي من هنا أو هناك، والتي وراءها بعض قوى الضلال، التي تظهر حساسيةً شديدةً وبالغة، وصدًّا كبيرًا عن هذا الموضوع.

القرآن الكريم كتاب الله فيه الهدى والنور، ونصوصه المباركة- إن تأمل فيها الإنسان- فيها الهداية الكافية، أليس في قوله ﷻ في هذه الآية المباركة: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، هداية واضحة عن الأهمية القصوى لهذا الأمر الذي كُلِّف بإبلاغه، والذي نزلت عليه هذه الآية المباركة بهذه العبارات القوية المؤكدة المشددة في أهمية هذه المسألة، وأهمية تبليغ هذه المسألة؟ بلى، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، والله يعلم أنَّ البعض سيكون لهم موقف الرفض لهذه المسألة بشكلٍ تام، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، الكفر هنا في مثل ما ورد في قوله ﷻ في الحديث عن فريضة الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية٩٧]، يأتي الكفر في

المقام العملي بمعنى الرفض للمسألة، والسعي للتنصل منها بشكلٍ تام.

كيف تحرك النبي لتنفيذ هذا الأمر الإلهي؟

ثم إنَّ النبي صلوات الله عليه وعلى آله بعدما نزلت عليه هذه الآية المباركة والعظيمة والمهمة، وقدَّمت هذا الموضوع بهذه الأهمية القصوى، تحرك صلوات الله عليه وعلى آله لتنفيذ ما تضمنته هذه الآية المباركة من الأمر الإلهي الموجَّه إليه: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، وكذلك حرص على أن تكون عملية تبليغه بما يناسب أهمية الموضوع، **وهذا جزءٌ من مسؤوليته في أدائه لرسالة ربه:** أن يحرص على أن يتعامل مع الموضوع بحجمه، بمستوى أهميته، وأن يقدِّمه كما ينبغي، هذه تدخل ضمن العملية التبليغية بالنسبة له -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-؛ **ولذلك** فهو صلوات الله عليه وعلى آله تعامل مع المسألة بأهميةٍ كبيرة، واتخذ إجراءات تساعد على ذلك، **وتقدِّم هذا البلاغ بهذه الكيفية التي تعبِّر عن أهميته القصوى:** عقد اجتماعًا طارئًا في المنطقة نفسها، وأوقف كل الحجاج الذين كانوا برفقته، من كانوا في مقدِّمة القافلة أعيدوا، وانتظر الآخرين حتى وصلوا واكتمل الجمع، ثم عقد هذا الاجتماع الطارئ والاستثنائي والكبير والمهم، وأدرك الكل أنَّ هناك مسألة مهمة، عُقِدَ لها هذا الاجتماع الطارئ والاستثنائي والمهم، اجتمع الكل، ورصت أقتاب الإبل للنبي- صلوات الله عليه وعلى آله-؛ **لتكون** منصةً يصعد فوقها، ويوجِّه الخطاب من فوقها، وفي رص أقتاب الإبل ما يشهد أيضًا بأن هذا الاجتماع حضره جمعٌ كبير، بحيث كانت أقتاب الإبل التي يستخدمونها للركوب على الإبل كبيرةً، وبني من خلالها منصة مرتفعة وعالية، حتى هذا الإجراء هو إجراءٌ مقصود، وفيه ما يشهد للنبي صلوات الله عليه وعلى آله، ويشهد أنَّ الحضور كان كبيرًا، ولذلك لم يختر أشياء أخرى أو بدائل أخرى.

رسول الله ﷺ صعد فوق أقتاب الإبل، بعد أن بنيت كمنصة مرتفعة، وأصعد معه عليًّا عليه السلام، وخطب خطابًا مهمًّا، والكل مُصغٍ، والكل مركِّز؛ **لأن** الاجتماع وتوقيف عملية السفر والسير لهذا الاجتماع ولهذا البلاغ كانت على النحو الذي يساعد على لفت الأنظار، وعلى التركيز، وعلى الالتفات إلى ما الذي سيقدَّم في هذا البلاغ. خطب خطابًا مهمًّا وعظيمًا، وأشار فيه أيضًا إلى أنه على وشك الرحيل من هذه الحياة، عندما وصل إلى الموضوع الرئيسي، **أخذ بيد عليٍّ عليه السلام وقال: (يا أيُّها الناس: إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه)**، أخذ بيد عليٍّ عليه السلام، **(فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)**، وكان هذا هو الموضوع الرئيسي لهذا الخطاب، وكان هو بذاته البلاغ المقصود في الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وهذا يلفت نظرنا إلى أهمية المسألة، أنَّ لها هذه الأهمية الكبيرة **جدًّا**، أيضًا أتى بعد ذلك، بعد أن أتم الخطاب ونزل من فوق هذه المنصة، وقبل مغادرة المكان نفسه، نزل نصٌّ قرآنيٌّ آخر، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

عندما ننظر إلى هذا البلاغ في محتواه الذي أعلنه الرسول من فوق أقتاب الإبل، (يا أيُّها الناس: إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)، إلى موقعه بين الآيتين المباركتين: **الآية** التي نزلت قبله وأمرت بتبليغه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، **والآية التي نزلت بعده:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، نـدرك الأهميـة الكبـيرة **جـدًّا** لهـذا النـص، لهـذا البـلاغ، ولكـن تحتـاج إلى تفهـم، إلى تأمـل، بالنظـر إلى حجـم الدعايـة المضـادة، إلى حجـم عمليـة التضليـل التـي حاولـت بهـا قـوى الضـلال وفئـات الضـلال أن تتصـدى لهـذه المسـألة، بالرغـم مـن الإقـرار بهـا في تـراث الأمـة، بالرغـم مـن أنَّ تـراث الأمـة عـلى المسـتوى الحديثـي والتاريخـي احتواهـا بشـكلٍ كبـير.

نجـد أيضًـا في آيـة الولايـة، وآيـة الولايـة هـي تتطابـق مـع البـلاغ نفسـه، فهـو مصـداقٌ لهـا أيضًـا، والتـي وردت في سـورة المائـدة أيضًـا، في قولـه ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، نجد أيضًـا تقديـم هـذه المسـألة وهـي قدِّمـت بالمعايـير والمواصفـات الإيمانيـة العظيمـة، المعايـير الإلهيـة المهمـة، نجـد -أيضًـا- أنَّ الموضـوع لـه أهميتـه الكبـيرة في موقعـه في الديـن، وفي علاقتـه بالأمـة، في قولـه ﷻ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

ولاية الله سبحانه.. العنوان المهم الذي يجب استيعابه جيدًا

فالمسـألة هـي في غايـة الأهميـة، عنوانهـا الولايـة، ولايـة اللـه ﷻ، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، **وفي الحديـث النبـوي: (إنَّ اللـه مـولاي)**، ولايـة اللـه ﷻ هـي العنـوان المهـم الـذي **يجـب** أن نسـتوعبه جيـدًا، وأن نبنـي فهمنـا لهـذا الموضـوع عـلى أسـاس مـا ورد في القـرآن الكريـم؛ **لأن** المسـألة في غايـة الأهميـة عـلى مسـتوى الديـن، وعـلى مسـتوى الواقـع الـذي تعيشـه الأمـة.

اللـه ﷻ **هـو ولينـا**، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، وولايـة اللـه ﷻ عـلى عباده هـي ولايةٌ شـاملة كاملة مطلقـة، ليس فيها اسـتثناءات، وليـس لها حـدود معينـة تقتصر على جوانـب معينـة، ثـم تُحذَف عـن جوانـب أخـرى، هـو ولي هـذا العـالم، هـو رب هذا العالم، هـو الـذي خلـق، هـو الـذي فطـر، هـو المدبِّـر، هـو المسـخِّر، هـو جلَّ شأنه الملـك لهـذا العـالم بكلـه؛ **كائناته** وموجوداتـه، والمدبِّـر لشـؤون عبـاده، فولايتـه كـما تشـمل الجوانـب التكوينيـة، هـي تشـمل الجوانـب الأخـرى في واقعنـا -أيضًـا- نحـن البـشر، فيـما يتعلـق بالجانـب التشريعـي، وفيـما يتعلـق بمسـيرة حياتنـا، في إدارة شـؤون حياتنـا؛ **لأننـا** كأمـةٍ مسـلمة، وكأمـة تنتمـي للإسـلام وللإيمـان، نبنـي مسـيرة حياتنـا عـلى أسـاسٍ مـن هديـه، مـن تعليماتـه، مـن توجيهاتـه، وصلتنـا بـه ﷻ لا تقتـصر فقـط عـلى الرعايـة الماديـة، أننـا نلتجـئ إليـه ﷻ ليرزقنـا، وليشـفي مرضانـا، ولنحصـل منـه عـلى بعـض الأمـور الماديـة، وعـلى الرعايـة الماديـة، المسـألة أنَّ إيماننـا وانتماءنـا الدينـي يحتـم علينـا أن نبنـي مسـيرة حياتنـا في كل مجالاتهـا عـلى أسـاسٍ مـن هديـه، عـلى أسـاسٍ مـن توجيهاتـه مـن تعليماتـه، وهـذه الصلـة الإيمانيـة والصلـة الدينيـة هـي التـي تربطنـا بولايـة اللـه ﷻ في واقـع حياتنـا، وفي شـؤوننا وأمورنـا في هـذه الحيـاة، وهـذا هـو الـذي يفصـل مـا بيننـا وبـين غيرنـا مـن البـشر، اللـه ﷻ لـه ولايـة التكويـن، والخلـق، والتدبـير، والقهـر، والسـيطرة عـلى العبـاد، ومصـير العبـاد إليـه، وهـو الـولي الحـق، الـذي لـه الولايـة عـلى عبـاده، ولايـة المِلـك والربوبيـة والألوهيـة، ولكـن -أيضًـا- في هـذا الجانـب في واقعنـا نحـن مـن ننتمـي للإسـلام، مـن ننتمـي للإيمـان؛ **صلتنـا** باللـه ﷻ في إيماننـا بهديـه، وعندمـا نبنـي مسـيرة حياتنـا عـلى أسـاس هديـه وتعليماتـه نحظـى -أيضًـا- بولايتـه ﷻ لنـا في شـؤوننا، وفي هديـه وتدبـيره لأمورنـا وأمـور حياتنـا، في كافـة مجـالات هـذه الحيـاة.

ولذلك الآخرون من البشر، ممن ليس لهم هذه الصلة الإيمانية والدينية بهدي الله ﷻ وتعليماته، هم تحت ولاية الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي مُلكِه، وفي مِلكِه، ومصيرهم إليه، ولكنهم يخسرون هذا الجانب؛ **لأنهم** لم يتصلوا بالله من خلال هديه، لم يصلوا أنفسهم بهدي الله ﷻ، فيبنوا مسيرة حياتهم على أساس هديه وتعليماته، وهذه قضية خطيرة عليهم؛ **لأن** البديل عن ذلك كان هو الطاغوت، الطاغوت الذي يتحكم بهم في مسيرة حياتهم، الذي يأمرهم وينهاهم بناءً على ما يريده هو، قد يكون الطاغوت هذا عبارة عن مضلين تحت عناوين مختلفة، يرجع إليهم البعض من البشر في شؤون حياتهم، في تدبير أمورهم، في إدارة شؤونهم، فيما يفرضونه عليهم، فيما يخططونه لهم، فيما يرتبون واقع حياتهم على أساسه، وناس من البشر طغاة، زعماء من أهل الضلال، من أهل الباطل، من الذين يقدِّمون ما يقدِّمون على حسب مزاجهم، وأهوائهم، ورغباتهم، وطموحاتهم، ومشاريعهم، ودوافعهم، على اختلافٍ كبيرٍ في ذلك. ولكن ما يميز المنتمين للإسلام، المنتمين للإيمان، أنهم يصلون أنفسهم بهدي الله ﷻ، الذي هو صلةٌ بينهم وبين الله ﷻ.

ولهذا يأتي الحديث في الآية المباركة في قوله جلَّ شأنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، الانتماء الإيماني، والانتماء للدين الإلهي، هو انتماء يحظى به الإنسان بهذه الرعاية من الله ﷻ، فيبني مسيرة حياته على أساس توجيهات الله وتعليماته وهديه، وتوجيهات الله وهديه من منطلق رحمته، بحكمته، بعلمه، وما يأتينا من الله ﷻ من تعليمات من توجيهات، ما يرسم لنا فيه مسيرة حياتنا هو الأقوم والأحكم والأفضل والأرقى والأعظم، وفيه الخير كله، الله يقدِّمه لنا

وهو جلَّ شأنه الملك الحق المبين، فما يأتينا منه هو الحق، والله سبحانه ما يقدِّم لنا هو يقدِّمه لنا من منطلق رحمته وهو أرحم الراحمين، فما يأتينا منه فيه الرحمة لنا، وفيه الخير لنا، وفيه صلاح أمرنا وصلاح حياتنا، وفيه حلُّ مشاكلنا، ولهذا ما يأتينا من الله ﷻ هو -أيضًا- ما يرتقي بنا في واقع هذه الحياة، ما يرتقي بنا في أنفسنا، ما يأتينا من الله ﷻ هديه الذي تزكو به نفوسنا، الذي نستنير به في الظلمات، هدىً ونور نستضيء به في الظلمات، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، فهذه الصلة بالله سبحانه وجلَّ شأنه كـوَلِيٍّ لنا ﷻ يتولانا برعايته الشاملة، **بما في ذلك:** جانب الهداية، والتشريع، والتوجيه، ورسم مسيرة هذه الحياة، الله ﷻ بهذه الولاية يرعانا، ينعم علينا، ما يأتينا من تعليمات منه لها هذه الميزة، هذه الأهمية، **هذه القيمة:** أنها حق؛ **لأنها** من الله الملك الحق، أنها من منطلق رحمة الله، وفيها الرحمة لنا، أنها من منطلق حكمته، وهو أحكم الحاكمين، ولذلك هي ما **يجب** أن ننظر إليه أنه الصواب والحكمة، وأنَّ غيره الخطأ، وما يأتينا -أيضًا- منه ﷻ فيه -أيضًا- ما يفيدنا في هذه الحياة لحل مشاكلنا، ما تستقيم به حياتنا على أرقى ما يمكن بالنظر إلى واقع هذه الحياة.

وليس هذا فحسب، مع هذا يأتينا من الله ﷻ رعاية تترافق مع استجابتنا لهذه التعليمات لهذه التوجيهات، يترافق معها وعود من الله ﷻ: ألم يعد بالنصر؟ ألم يعد ﷻ بالبركات؟ ألم يعد ﷻ بالرعاية الشاملة، بالهداية، بالنور... بأشياء كثيرة؟ يترافق معها وعود، في هذه الحياة ما يتحقق لنا في هذه الحياة بناءً على استجابتنا العملية، على تفاعلنا مع هذه التوجيهات، على التزامنا بها، يترافق مع هذا رعاية واسعة في الدنيا، ثم في الآخرة الجنة،

ورضوان الله ﷻ، والسلامة من عذابه -جلَّ شأنه-، فتعتبر هذه الصلة بهدي الله ﷻ، بتعليماته، بتوجيهاته، ورسم مسيرة الحياة على أساسها، تعتبر هذه المسألة هي من خلالها التي نجسِّد فيها التولي لله ﷻ، أنما يأتينا منه من أمرٍ أو نهيٍ أو توجيهٍ أنه المطاع، وأنه الذي نسعى للالتزام به في هذه الحياة، **وأننا نتجه في واقع حياتنا وفي مسيرة حياتنا على هذا الأساس:** على أننا أمةٌ لها منهج، مسيرة حياتها قد رسمها لها الله ﷻ لتتحرك على أساسها وعلى ضوئها، وأن هذا أمرٌ يمثل نعمةً عظيمةً علينا، نعمةً كبيرة، وعندما يقول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، **يجب** أن نستوعب ما تفيده هذه الآية المباركة والعظيمة والمهمة في نظرتنا إلى ما يعنيه كمال الدين بالنسبة إلينا، **وأنه يتناول كل شؤون حياتنا:** المجالات السياسية، المجالات الاقتصادية... كل مجالات هذه الحياة، دين الله، توجيهاته، هديه، تعليماته المباركة والحكيمة والرحيمة والقيِّمة والعظيمة تتناول كل ذلك، إضافةً إلى ما يضمن استمرارية هذه الرسالة بشكلٍ صحيح.

نلاحظ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، أنَّ كل تلك التوجيهات والتعليمات، وأنَّ هذا البرنامج الإلهي الذي رسمه الله لعباده المؤمنين ليبنوا عليه مسيرة حياتهم هو نعمة، نعمةٌ بأثره العظيم في أنفسهم، نعمةٌ بأثره المهم والمبارك في حياتهم، نعمةٌ فيما يتركه من أثر إيجابي في واقع هذه الحياة، فيما يمثِّله من حلول في واقع هذه الحياة، فيما يرسمه للإنسان في مسيرة حياته من أمور صحيحة، بنَّاءة، مثمرة ومفيدة ونافعة.

كيف ندرك أهمية هذه المناسبة؟

وعندما ننظر هذه النظرة: إلى أنَّ هذه نعمة عظيمة من الله ﷻ، وأنَّ كمال الدين يتناول شؤون الحياة بكلها، ويشمل -أيضًا- ما يضمن استمرارية هذه الرسالة الإلهية وهذا المنهج الإلهي بشكلٍ صحيح، وبشكلٍ سليم، فعلينا أن ندرك أهمية هذه المناسبة، وأهمية هذا البلاغ في هذا الموضوع نفسه، كيف ذلك؟

الرسول ﷺ **قال عنه الله** ﷻ **في الآية المباركة:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وهو قال -أيضًا- في النص النبوي في البلاغ في يوم الغدير، **في يوم الولاية: (إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم)**، الموقع الذي للرسول ﷺ وهو عبدٌ لله ﷻ، وهو على رأس المؤمنين، هو أعظمهم إيمانًا، وطاعةً لله ﷻ، وعبوديةً لله ﷻ، والتزامًا بمنهج الله جلَّ شأنه، وتجسيدًا لتلك المبادئ والقيم العظيمة والمهمة، هو له دورٌ محوريٌ في التحرك بالأمة على أساس هذه المنهج الإلهي، هو بلَّغه إلى الناس، وهو -أيضًا- جسَّده والتزم به وتحرك به لتنفيذه في واقع هذه الحياة، هو في موقع القدوة والقيادة والهداية في هذا المشروع الإلهي، وهذا البرنامج الإلهي، وأدَّى دورَه بنجاحٍ كبير، وعلى مستوى عظيم **جدًّا**، أشاد الله به كثيرًا في القرآن الكريم، كم كان حريصًا على هداية الناس، كم بذل من الجهود، كيف كان أداؤه على مستوى عالٍ **جدًّا** في تبليغ هذه الرسالة، في الالتزام بها، في تقديمها كما ينبغي، وحقق الله على يديه النجاح الكبير، لكن الخطورة الكبيرة، والحساسية الكبيرة هي لما بعد وفاة النبي ﷺ، فيما يتعلق بمستقبل هذه الأمة، في هذا الدور المحوري الذي يرتبط بهذا المنهج نفسه، في الحركة بالأمة على أساسه.

النبي ﷺ **مع اقتراب وفاته -أيضًا- هو حريص على هذه الأمة،** وعلى مستقبل حياتها، وعلى مستقبلها المهم **جدًّا** والحسَّاس والخطير، ولكنه لن يكون أرحم من الله، الله هو العالم بعباده، وبمستقبلهم، وبشؤونهم، وله سنته مع عباده، الله ﷻ هو أتى بهذا الأمر إلى النبي ﷺ في هذه الآية المباركة التي يقول فيها: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ليأمره بإعلان هذا البلاغ العام، مع ما سبقه -أيضًا- من حديث، من إشارات، من توضيحات لهذه المسألة فيما يتعلق بالإمام عليٍّ عليه السلام.

ولكننا نلحظ هنا في هذه المسألة بالتحديد، في هذا الموقع، في هذه المرحلة الحسَّاسة والمهمة: أنَّ النبي ﷺ اتجه لإعلان هذه المسألة وتقديمها بأرقى مستوى من التقديم، ولذلك- كما أشرنا في خطابات سابقة- حسم كل جدال، وكل خلاف، وكل كلام في ما بقي من أيام حياته، تلك الفترة الوجيزة، وهدأت الساحة بشكلٍ تام.

لا يمكن للمسيرة الإلهية الدينية والإيمانية أن تكون فقط مؤقتةً بعصر النبي ﷺ، ثم يترك الأمة بعد وفاته في فراغٍ كبير، وفراغٍ خطير **جدًّا، يمكن أن تختلف فيه الأمة على كل شيءٍ في هذا الدين:** على العقائد، على التشريعات، على العبادات، على المعاملات، وأن يختلف المفهوم لديها فيما يعنيه هذا الدين في كثيرٍ من جوانب هذه الحياة، **وأكثر من ذلك:** المسألة خطيرة **جدًّا،** إذا غاب هذا الدور المحوري للنبي ﷺ في الحركة بالأمة على أساس هذا الدين، على أساس هذه المسيرة الإيمانية؛ **فالأمة** معرَّضةٌ لخطورةٍ بالغة، **هذه الخطورة تتمثل بجانبين حسّاسين جدًّا:** هما النقص والتحريف، تتعرض المسيرة الإيمانية لتحريف كبير، وتتعرض -أيضًا- للنقص.

ولذلك في الآية المباركة في قول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، أنَّ كمال الدين وتمام النعمة كان -أيضًا- بما يضمن استمرارية هذا المنهج الإلهي بشكلٍ صحيح، سالمٍ من التحريف، وسالمٍ من النقص، ثم إذا غاب هذا الجانب الأساسي الذي كان به كمال الدين- وهو ما احتواه البلاغ في ذلك اليوم- فلا يمكن لهذه المسيرة أن تستمر إلَّا وتكون ناقصة ومحرَّفة، **لا يمكن للأمة أن تتجاهل هذا المبدأ إلَّا وتتجه إلى النقص، إلَّا وتكون مسيرتها الإيمانية ناقصة، ويدخلها التحريف**، وإذا دخلها النقص ودخلها التحريف، فالنقص الذي يدخل فيها ليس نقصًا بسيطًا، ليس نقصًا لمسألة هامشية، ليس نقصًا في مسألة عادية؛ **إنما** هو نقصٌ في أمرٍ جوهريٍ ورئيسي، يترك تأثيره السلبي في فاعلية بقية الرسالة الإلهية في واقع الأمة، وهو ما هو واضحٌ وجليٌ في قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

الله ﷻ **على مستوى التبليغ قد أكمل هذه الرسالة**، وأتم النعمة، وأكمل هذا الدين، وكان كماله وتمامه بهذه المسألة الجوهرية التي تضمن استمراريته بشكلٍ صحيح على مستوى التبليغ، وعلى مستوى التطبيق، فإذا أتت الأمة هي من جانبها لتنقِّص، وتنقِّص ماذا؟ المسألة هذه الجوهرية، التي هي مسألة ضامنة لسلامة الاستمرارية بشكلٍ صحيحٍ وتام وكامل، فهذا النقص الجوهري والخطير كما هو يؤثر على مسألة التقديم للدين بشكلٍ كاملٍ وصحيح، يؤثر -أيضًا- في واقع الأمة، هذا النقص سيأتي إلى واقع الأمة بخلل كبير **جدًّا**، نقص في قضايا جوهرية، في قضايا أساسية، بها حيوية هذا الدين، بها فاعلية هذا الدين، بها ما يضمن لهذه الرسالة الإلهية أن تستمر؛ **ليس** من موقع النبوة، وإنما من موقع الولاية، من هذا الموقع الذي قال فيه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه)**، هنا الدور المتعلق بولاية الإمام علي عليه السلام، ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يواصل هو التحرك بالأمة، التحرك بالمؤمنين على أساس هذه المسيرة الإيمانية والدينية، على أساس هذا المنهج الإلهي العظيم، وهو في موقع القيادة والهداية، وبما يضمن بقاء واستمرارية تقديم هذا الدين، واستمرار هذه المسيرة الإلهية بشكلٍ صحيحٍ في ما تقدِّم فيه، في مضمونها، في عملية التبليغ لها، في عملية التقديم لها، في عملية التعليم لها، وفي عملية إقامتها في واقع هذه الحياة على مستوى التطبيق والعمل، وهذا دورٌ مهمٌ جدًّا، ودورٌ أساسيٌ **جدًّا**، وفي نفس الوقت حسَّاس، ومن الطبيعي أن يكون حسّاسًا، لماذا؟ لأن هذا المفهوم القرآني، وهذه الطريقة الإلهية التي اعتمدها الله سبحانه وتعالى كما هي؛ **تضمن** الاستمرارية الصحيحة والسليمة والكاملة والتامة للمسيرة الإلهية، هي التي تسد الثغرة أمام كل الجائرين والضالين والمبطلين مِنْ تبوُّئ هذا الدور الذي يؤثر- إن تبوَّؤوه- سلبًا على مسيرة الإسلام بكلها، وهذه المسألة ينزعجون منها غاية الانزعاج؛ **لأنهم يريدون لهذا الدين: إمَّا** أن يكون مجرد طقوس وشكليات، ولا يبقى منهجًا لحياة الأمة تعتمد عليه في مسيرة حياتها بشكلٍ كامل، **وإمَّا** أن يكون عناوين يستغلونها هم، ويكون الفراغ الكبير الذي تركه غياب هذا المبدأ بالشكل الذي يتيح لهم أن يتدخلوا هم، وأن يقدِّموا هم أنفسهم المعنيين بتقديم هذا الدين للأمة، وبإدارة شؤون هذه الأمة على أساسه، وهذه هي المسألة الخطيرة التي أضرت بالأمة كثيرًا.

النتيجة الكارثية لغياب مبدأ الولاية!

عندما نلاحظ ما تعاني منه الأمة في واقعها، نستطيع القول: أنها عانت من النقص، النقص الذي ترتب على غياب هذا المبدأ في واقع الحياة إلى حدٍ كبير، فأصبحت جوانب كثيرة من شؤون حياتها لا تُدار على أساس مفاهيم هذا الدين العظيم، هذه النعمة الكبيرة، **هذا الدين الذي قال عنه الله:** ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، جوانب كثيرة عندما دخل النقص في عملية تقديم هذا الدين، وفي عملية تطبيق هذا الدين في واقع الأمة، كانت النتائج سلبية في واقع الأمة، كم ترك هذا من مشاكل سياسية، ومشاكل اجتماعية، ومشاكل اقتصادية؟ كم أتاح المجال، وكم تهيأ للطغاة والجائرين والمتسلطين أن يسعوا إلى أن يفرضوا أنفسهم على هذه الأمة، وأن يتحكموا بها، وأن يفرضوا هم ما أرادوا عليها؟ ولم تبق المسألة عند هذا المستوى فحسب، بل ترك هذا الفراغ الكبير نتائج سلبية في واقع الأمة، جعل البعض من أبناء الأمة يتجه إلى إيجاد بدائل، وهذه البدائل من أين يذهبون لها؟ من أين يسعون للحصول عليها؟ إلى من يتجهون في الحصول عليها؟ إلى أعداء الأمة بأنفسهم، فتتحول المسألة إلى مسألة خطرة للغاية، أن يتجه بعض أبناء الأمة إلى اليهود والنصارى، وأن يقبلوا بولاية أمر اليهود والنصارى على هذه الأمة، وأن يروا في ذلك الحل لمشاكل هذه الأمة؛ **لأن** هناك مشاكل كبيرة في واقع الأمة، يرى البعض أنَّ الحل لها في الاتجاه إلى الغرب، في أن نقبل بولاية أمر أمريكا، في أن نقبل بولاية أمر إسرائيل، في أن نقبل بولاية أمر الغرب، في أن نذهب إليهم للحصول على رؤى من عندهم، أفكار من عندهم، برامج عمل من عندهم، حلول لمشاكلنا من عندهم... وهكذا تكون حالة النقص الخطرة **جدًّا**، وحالة التحريف السيئة **جدًّا** من الأسباب التي تبني واقعًا مختلًا في

داخل الأمة، واقعًا غير صحي، **واقعًا نستطيع القول عنه:** أنه واقع مرضي على المستوى التربوي والأخلاقي والفكري والثقافي، واقع مأزوم، وواقع مليء بالمشاكل، ونجد فيه الاختلال الكبير على المستوى التربوي والأخلاقي، فتأتي حالة الانحراف وتكبر وتعظم من بعض أبناء الأمة، تنمو حالة النفاق، يتجه البعض من أبناء الأمة هم من أنفسهم لاتخاذ اليهود والنصارى أولياء، يصبحون مهووسين ومعجبين ومغرمين بما عليه أولئك، أو ما يأتي من أولئك.

يرى في ما يمكن أن يأتينا من رؤى من الأمريكيين، أو من الأوروبيين، أا لئك أو من رؤى من الأمريكيين و من غيرهم من اليهود والنصارى، من رؤى، من مفاهيم، على المستوى السياسي، على المستوى الاقتصادي، على المستوى الاجتماعي، أنها رؤى عظيمة، ورؤى مهمة، ورؤى حضارية، ورؤى تصلح واقع الحياة، ورؤى تمثل حلًّا لمشاكل هذه الحياة؛ **لأنه** عندما يغيب ذلك المنهج العظيم عن واقع الحياة في هذه المجالات المهمة والأساسية، يتجهون لإيجاد بدائل، وهذه البدائل يكون حالها كذلك.

فالله ﷻ **من جانبه هو أكمل دينه،** أكمل دينه كمنهج، وأكمل دينه بما يضمن استمرارية هذا المنهج بشكلٍ صحيح، وهو يقدَّم وبشكلٍ صحيح في مقام العمل به في واقع الأمة، أكمله بهذه المسألة، **بهذا المبدأ العظيم:** بمبدأ الولاية، الإمام عليٌّ عليه السلام ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله يؤدِّي هذا الدور في تقديم هذا الدين، والسعي لتطبيقه في واقع الأمة بشكلٍ صحيح، وبشكلٍ كاملٍ وتام، بدون نقص ولا تحريف، وهذا ما تفتقر إليه الأمة اليوم لحل مشاكلها.

حاجة الأمة لإعادة ارتباطها بالمسيرة الإلهية

نحن بحاجة إلى أن نعيد صلتنا هذه، هذه الصلة التي تربطنا بالمسيرة الإلهية، بالمسيرة الإيمانية الدينية بشكلها التام، بشكلها الصحيح، بدون نقص وبدون تحريف، وألَّا نبحث للبدائل عن ذلك من هنا وهنا من جانب أعدائنا، **لن يأتينا من جانب أعدائنا إلا ما هو شرٌ لنا، وخطرٌ علينا، وضرٌ في واقعنا، وما لا ينسجم مع انتمائنا لهذا الدين العظيم، لهذه الرسالة الإلهية العظيمة.** ثم إذا أردنا أن نقفز وألَّا نتصل بهذه الصلة؛ **فلن** يكون أمامنا إلَّا الاختلاف، وهذا ما حصل في واقع الأمة: الاختلاف الكبير، التضارب الكبير فيما يقدَّم باسم الدين من مفاهيم، من عناوين، وتصبح المشكلة كبيرة في واقع الأمة.

فنجد من خلال هذه النصوص القرآنية المباركة والمهمة أهمية هذه المسألة على مستوى الدين؛ **لضمان** استمراريته بشكلٍ صحيح، ولضمان قيامه في واقع الأمة بشكلٍ صحيحٍ وسليم، ثم على مستوى أثره في واقع الأمة، دين الله ﷻ بشكله الحقيقي هو نعمةٌ عظيمة، هو التوجيهات والهداية الإلهية التي أتتنا برحمة الله، وبحكمته، وبهدايته، وبتوفيقه، وبعلمه، و -أيضًا- يتصل بها رعاية إلهية مباشرة، عون من الله، ونصر من الله، وبركات من الله، وتأييد من الله، ورعاية شاملة من الله، ولكن هذا كله إذا تحركنا وفق ما رسمه الله ﷻ لنا، إذا لم يبق لنا هذا الاتصال بشكل صحيح بهذا المنهج الإلهي؛ **فالمسألة** خطيرة **جدًّا**، لم نعد نستشعر أنها نعمة؛ **لما** نفقده منها في واقع حياتنا؛ **لأن** النقص في الجانب الجوهري أضاع هذه النعمة في أثرها في الحياة، فتصبح هذه الأمة أمةً ضعيفة، أمة مليئة بالمشاكل والنزاعات والخلافات، أمةً لا تبني واقعها وترتقي على المستوى الحضاري بناءً على هذا المنهج الإلهي؛ **وبالتالي أمة ضعيفة أمام أعدائها، وأتى قول الله** ﷻ: ﴿وَمَنْ

﴿يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، ليبين لنا ذلك، بما أنَّ الله ﷻ قد أكمل دينه، وبما يضمن استمراريته بشكلٍ صحيح، وجعله نعمةً بكل ما تعنيه هذه العبارة في أثره العظيم في واقع حياتنا، وحل مشاكلنا، وصلاح حالنا، وصلاح أنفسنا، **لكن تبقى المسؤولية علينا نحن:** أن نتجه لنتولى الله ﷻ بهذا المفهوم العظيم، بهذه الصلة من كل واقع حياتنا، لنسير على منهجه كما رسم هو ﷻ، ولنقيم هذا المنهج في واقع حياتنا كما رسم هو ﷻ، وكما قدَّمه جلَّ شأنه لنا، وأن نحرص -أيضًا- في سيرنا على أساس هذا المنهج العظيم أن تكون صلتنا بولاية الله ﷻ هي هذه الصلة، التي تضمن لنا سلامة وصول هذا المنهج إلينا، وسلامة تطبيقه في واقعنا.

بدون مبدأ الولاية لا تكتمل المنظومة الدينية

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وهنا في الآية قدَّم الإمام علياً بمواصفاته الإيمانية الراقية، وقدَّمه في حديث الغدير باسمه وشخصه، بالاسم والإشارة بشكلٍ مباشر، ثم يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، **لا تكتمل للأمة المنظومة الإيمانية والدينية الكاملة، ولا يكتمل لها المنهج الإلهي في واقع حياتها بشكلٍ صحيح على مستوى التبليغ، وعلى مستوى التطبيق، إلَّا بمبدأ الولاية،** أن تتم النعمة في أثرها في واقع الحياة، وأن يكتمل للأمة ما تسعى إليه من أن تكون أمةً عظيمةً، وأمةً قويةً، وأمةً في مستوى مواجهة التحديات والأخطار، وفي مستوى الغلبة لأعدائها.

الأمة ستعيش حتماً حالة الصراع، وحالة الاستهداف.

من أبرز مظاهر النعمة الإلهية، ومن أهم ثمرات مبدأ الولاية الإلهية، ومن أهم تجليات ونتائج الالتزام بالمنهج الإلهي: أن تكون هذه الأمة قوية ومنتصرة، وأن تغلب أعداءها، وهذا فقدته الأمة إلى حدٍ كبير، **مما دفع بالكثير من أبناء الأمة أو بالبعض منهم إلى أن يتجهوا اتجاهًا آخر:** باتخاذ اليهود والنصارى أولياء. **الذين يوالون أمريكا اليوم من أبناء الأمة، هم يتناقضون تمامًا مع هذا المبدأ العظيم، يتخذون أعداء الإسلام أعداء الأمة أولياء، بدلًا من أن يوالوا الله ﷻ، بدلًا من الإيمان بولايته ﷻ.**

فنجد هنا في قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، ضمانةً إلهية، ووعدًا مؤكدًا من الله ﷻ، أن تكون هذه الثمرة؛ **ثمرة التولي لله** ﷻ: وفق هذا المفهوم القرآني العظيم، الذي يصلنا بمنهج الله بشكلٍ صحيح، بدون نقصٍ ولا تحريف.

خلاصة المسألة؛ أنَّ الأمة عانت إلى حدٍ كبير في واقعها من مشكلة النقص والتحريف، وأنَّ هذا النقص في التولي لله، ولرسوله، وللإمام علي عليه السلام وفق هذا المفهوم القرآني، أثَّر عليها في مستوى وعيها وفهمها لهذا المنهج الإلهي، وفي مستوى تطبيقها الصحيح لهذا المنهج الإلهي، وأنَّ هذا النقص الجوهري أثَّر عليها تأثيرًا كبيرًا في واقع حياتها، في الحصول على ثمرة هذا الالتزام بالمنهج الإلهي كنعمة يتحقق للأمة من خلاله كل آثار هذا الدين، ونتائج هذا الدين العظيمة، الآثار المباشرة لهذا الدين في قيمة توجيهاته، فيما يتحقق به من عدل، فيما يتحقق به من خير، فيما يسمو به الإنسان في نفسه، ويزكو، ويهتدي، ويستنير، فيما تصلح به الحياة، فيما يتحقق في واقع هذه الحياة من نصر وبركات وخيرات... إلى آخر ما يترتب على ذلك من الرعاية الإلهية الواسعة، ثم في الآخرة -أيضًا.

كذلك نجد -أيضًا- أنَّ التأثير السلبي لغياب ونقص هذا المبدأ الجوهري في مدى تفاعل الأمة معه، أثَّر على هذه الأمة بشكلٍ كبير في فهمها للدين، وفي اختلافها على هذا الدين، وعلى مفاهيم هذا الدين، مما أثَّر عليها بشكلٍ كبير؛ **حتى** غيَّر البعض نظرتهم إلى هذا الدين، فلم يعودوا يرون فيه أنه نعمة، بل يرى البعض فيه أنه عبء، وينشغل البعض بكل جهدهم وبكل اهتمامهم في البحث عن بدائل عن هذا الدين في شتى مجالات الحياة، مما يزيد الأمة شقاءً وخسرانًا، ويمكِّن أعداءها منها.

سدُّ هذه الثغرة في البحث عن بدائل من هنا وهناك، بدائل تمكِّن أعداء هذه الأمة من رقاب هذه الأمة، من السيطرة على هذه الأمة، بدائل تذهب بالبعض من أبناء هذه الأمة- بالرغم من انتمائهم إلى هذا الدين- إلى أن يستوردوا من أعداء الأمة ما يعتمدون عليه في مسيرة حياتهم بإعجاب، باندهاش، بتفاعل، بنظرة غريبة **جدًّا؛ غير** صحيحة وغير واقعية؛ **لأن** ما يأتينا من الأعداء ليس إلَّا ضارًا لنا، لا يخدمنا، ولا يصلح لحياتنا، ولا يفيدنا في واقع حياتنا، ولا يبنينا أمةً عظيمة، أمةً لها شرف الانتماء لهذا الدين، للرسالة الإلهية بكل ما تمثله من شرفٍ كبير، ومن خيرٍ عظيم في الدنيا والآخرة.

فالآيات القرآنية بمجموعها: في آية البلاغ، وفي نص البلاغ -أيضًا- (النص النبوي من النبي ﷺ)، وفي آية الولاية في سورة المائدة، وفي النص القرآني المبارك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، كل هذا يبيِّن لنا أهمية هذه المسألة، وأن نجعل من هذه المناسبة محطةً لترسيخ هذه المفاهيم القرآنية، وللسعي نحو إعادة هذه الصلة من خلال التولي لله ولرسوله وللذين آمنوا، وفق هذا المفهوم القرآني الذي يعزز ارتباطنا بشكلٍ صحيح وبشكلٍ تام بهذه الرسالة الإلهية، وبهذا المنهج الإلهي؛ **وبالتالي** نحظى بولاية

اللـه ﷻ وبرعايتـه، بولايتـه هـدىً ونـورًا، بولايتـه نـصرًا، بولايتـه بـركات، وبولايتـه -أيضًا- رعايـةً شـاملة لنـا في مختلـف شـؤون حياتنـا، ورعايـةً منـه ﷻ ورحمـةً منـه جـلَّ شـأنه في الدنيـا وفي الآخـرة، هـذا مـا **يجـب** أن نسـتوعبه مـن هـذه النصـوص المباركـة، وأن نجعـل مـن هـذه المناسـبة محطـةً مهمـةً لترسـيخه في واقـع حياتنـا.

وولايـة اللـه ﷻ كـما نجـد في النصـوص القرآنيـة- جذَّابـةٌ جـدًّا، ولا يوجـد بديـلٌ عنهـا إلَّا ولايـة الطاغـوت، وولايـة الطاغـوت هـي امتـداد لولايـة الشـيطان، هـي خـسرانٌ في هـذه الحيـاة.. إنَّ مـا يفيدنـا كأمـةٍ مسـلمة، وحتـى عـلى مسـتوى أي مجتمـع، أو أي مسـتوى مـن أبنـاء هـذه الأمـة، أي فريـق مـن أبنـاء هـذه الأمـة يتجـه هـذا الاتجـاه، فهـو الاتجـاه الصحيـح، وآيـات اللـه فيـه واضحـةٌ وجليـةٌ وبيِّنـة، ووعـود اللـه ﷻ فيـه وعـود صريحـة ومؤكَّـدة وبيِّنـة. ومـن يتحـرج هـو مـن يتجـه نحـو الطاغـوت، أو نحـو اتخـاذ اليهـود والنصـارى أوليـاء، نحـو السـعي لإيجـاد بدائـل عـن منهـج اللـه ﷻ، عـن هديـه، عـن تعليماتـه، مـما هـي مسـتوردة مـن قـوى الطاغـوت والـشر والاسـتكبار في هـذا العـالم، هـم مـن هـم في الموقـف المحـرج، المخـزي، السـيء **جـدًّا**، الضـار بأنفسـهم، والضـار بأمتهـم.

أسـأل اللـه ﷻ أن يوفِّقنـا لأن نكـون ممـن يتـولاه، ويتـولى رسـوله، ويتـولى الإمـام عليًّـا عليه السلام، ويتـولى أعـلام الهدايـة، وأن يصلنـا بهديـه بتوفيقـه ونـوره، وأن يوفِّقنـا للعمـل بمـا يرضيـه، إنه سـميع الدعاء، ونسـأله جلَّ شـأنه أن يرحم شـهداءنا الأبرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنه سـميع الدعاء.

والسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

ونبارك لكل إخوتنا وأخواتنا من المؤمنين والمؤمنات بهذه المناسبة المباركة السعيدة: مناسبة عيد يوم الغدير.

وكالعادة في هذه المناسبة نتحدث عنها، عن الاحتفال بها، عن البلاغ النبوي الذي بلَّغه الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فيها؛ **لأنه** مما ينبغي الحديث عنه في هذه المناسبة، ولو في كل عام، أن يتحدث الإنسان عن المناسبة، عن أهميتها، عن قيمتها على المستوى الديني، وعلى مستوى أثرها في واقع الأمة، عن البلاغ النبوي نفسه؛ **حتى** يُعلَن في كل مرة، وحتى يتجدد سماعه، والتأمل فيه، والاستفادة منه.

شعبنا اليمني هو يحتفل بهذه المناسبة كموروثٍ إيماني في كل تاريخه عبر الأجيال، فليس احتفاله بهذه المناسبة عادةً جديدةً، أو أمراً طارئاً في واقعه، بل هو موروثٌ- كما قلنا- إيمانيٌ استمر عليه شعبنا جيلاً بعد جيل، من ضمن موروثه الإيماني، الذي ورثه في إيمانه، في هويته الإيمانية، التي أشاد به الرسول -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- عليها، **عندما قال: ((الإيمان يمان، والحكمة يمانية)).**

الهدف من إحياء هذه المناسبة

وهذه المناسبة هي جديرةٌ بالاحتفال بها؛ لأن الاحتفال بها أيضاً هو تعبيرٌ عن الشكر لله ﷻ، والإقرار بنعمته العظيمة، التي قال عنها في القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: من الآية٣].

فالاحتفال بالمناسبة يعبِّر عن:

- **الإقرار بتمام النعمة، الإقرار لله ﷻ؛ لأنه بالفعل أتمَّ نعمته، وأكمل دينه.**
- **وهو أيضاً تعبيرٌ من تعابير الشكر لله ﷻ على هذه النعمة العظيمة.**
- **كما أنه أيضاً شهادةٌ للنبي** -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- بالبلاغ لأمرٍ كان بالغ الأهمية في تبليغه، إلى درجة أن يقول الله له بعد قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: من الآية٦٧]، هذا البلاغ الذي استشهد النبي أمته عندما بلغهم إياه بقوله لثلاث مرات: **((أَلَا هل بلغت؟)) وهم يعترفون له ويقولون:** نعم، ونشهد لك أنك بلغت الرسالة، **فيقول: ((اللهم فاشهد))**، بلاغ في غاية الأهمية.

نحن نشهد للنبي في كل عام، وفي كل مناسبة، وفي كل مقام نتحدث فيه عن هذا النص النبوي، عن هذا البلاغ النبوي، نشهد للرسول -صلوات الله

وسلامه عليه وعلى آله- بأنه قد بلَّغ، وهذه الشهادة لها أهميتها، ويُبنَى عليها التزامات عملية في واقع الحياة.

- **ثم هو أيضاً مما يساهم في حفظ هذا البلاغ**، في أن يبقى أيضاً في الأجيال متردداً صداه في الأمة جيلاً بعد جيل، في ألَّا يُنسى في إطار محاولات التعتيم من البعض من أبناء الأمة، الذين يستاؤون حتى من الحديث عن هذا البلاغ، بالرغم من إقرارهم به، **فمن المساهمة في حفظ نصٍ نبويٍ من أهم ما في السنة النبوية: أن** نحتفل بهذه المناسبة، **أن** نتحدث عن هذا البلاغ، **أن** نتحدث عن دلالاته، عن أهميته، عما يعنيه، هذه مسألة لها أهمية، وقيمة كبيرة، وفائدة مهمة **جدًّا**.

- **وأيضاً من التعبير عن الإيمان بمحتوى هذا البلاغ**، وعن الإقرار بمحتوى هذا البلاغ، وعن التفاعل الإيجابي مع رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- فيما يتعلق بهذا البلاغ، هذا فيما يتعلق بالاحتفال.

المناسبة.. أصلها وموضوعها المهم

أمَّا فيما يتعلق بالمناسبة في أصلها، وهي اجتماع النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- بالمسلمين في الثامن عشر من شهر ذي الحجة، في آخر السنة العاشرة للهجرة النبوية، فهذا أمرٌ متفقٌ عليه بين الأمة، وأمرٌ ثابتٌ، ومتواترٌ، ومقطوعٌ به، لا شك فيه أبداً.

ونأتي إلى الحديث عن أصل هذه المناسبة، وعن موضوعها المهم **جدًّا**، الذي هو أيضاً ليس موضوعاً وقتياً، **يعني:** لم تكن المسألة اجتماعاً لموضوع يختص بتلك الظروف، بذلك الوقت، بتلك المرحلة، ثم لا علاقة له بالأمة في امتداد مستقبلها جيلاً بعد جيل، **حتى- مثلاً- يقول البعض:** [خلاص، ذلك

اجتماع حصل، كان له موضوع يتعلق به، انتهى الموضوع، ما الفائدة في أن نتحدث عن هذا الموضوع سنوياً، أن نحتفل به، أن نعقد اجتماعات كبيرة، وتجمعات ضخمة للحديث عن هذا الموضوع الذي قد مضى وانتهى]، ليست المسألة كذلك، هذه مسألة لم تكن وقتيةً حصريةً على مرحلةٍ معينةٍ وزمنٍ معين، الموضوع موضوعٌ يتعلق بالأمة، لمستقبلها على امتداد مستقبلها إلى قيام الساعة، وهذا ما سيتضح أكثر في سياق الحديث- إن شاء الله- عن هذا البلاغ، وعن الآيات القرآنية المباركة، والنصوص النبوية الأخرى ذات العلاقة.

النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- في السنة العاشرة من الهجرة، وما قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر- **يعني:** في مرحلة حسَّاسة وخطيرة **جدًّا**، وذات أهمية كبيرة، وحساسية كبيرة، ومرحلة لها علاقة بمستقبل الأمة- حجَّ حجة الوداع، وعرفت بحجة الوداع، لماذا؟ لأن النبي ﷺ أشعر أمته، وبيَّن لأمته أنه وفاته قد قربت، وأنَّ رحيله من هذه الحياة الدنيا قد أزف، وأنه على مقربةٍ من اكتمال مهمته الرسالية في ظل حياته، وهو يعيش في أوساط البشر، وفي أوساط الأمة؛ **ولذلك** سميت بحجة الوداع.

والنبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- عندما استعد للحج، سبق ذلك: بلاغات ورسائل إلى بقية أبناء الأمة، إلى بقية المسلمين في مختلف المناطق التي قد دخلت في الإسلام، يحثهم على أن يحضروا في ذلك الحج، في ذلك العام، حضوراً استثنائياً، بحيث يشمل هذا الحضور مجاميع كبيرة **جدًّا**، ويكون حضوراً حافلاً **جدًّا** من أبناء الأمة، على نحوٍ غير مسبوق؛ لأن ذلك الحج في ذلك العام سيرتبط به مواضيع في غاية الأهمية للأمة، في مستقبل الأمة، وهو مناسبة استثنائية، وأيضاً ستشهد فيه الأمة هذا الوداع من النبي

لها، الذي سيتضمن تعليمات مهمة **جدًّا** تتعلق- كما قلنا- بمستقبل الأمة.

وفعلاً كان الحضور كبيراً، توافد المسلمون للحج من مختلف المناطق التي قد دخلت في الإسلام، على نحوٍ غير مسبوق، وبلغ عدد الحجيج- حسب التقريب في بعض الروايات- بما يقارب المائة وعشرين ألفاً من الحجاج، وهذا كان عدداً كبيراً مقارنةً بأعداد السكان آنذاك في إطار المناطق التي قد دخلت في الإسلام، حتى أنه قد يصل إلى نسبة مئوية، نسبة كبيرة من المسلمين من الذين استطاعوا أن يحجوا وحجوا، وحضروا في ذلك العام.

والرسول -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- حضر الحج، وأقام شعائر الحج بالمسلمين، ثم قدَّم لهم كثيراً من التعليمات، وأشرف على عملية الحج، وإقامة الحج في ذلك العام وفق الطريقة الإسلامية المتكاملة، **بحيث يكون لهذه الفريضة أثرها ودورها المهم على كل المستويات:** التربوية، والثقافية، والفكرية، ولتعزيز الروابط بين أبناء الأمة، وحسب أهداف ومقاصد الحج، التي كان الرسول ﷺ يؤديها بالوفاء والتمام والكمال.

الأمر الإلهي بالبلاغ المهم والحساس!!

ولكن يتضح ويتجلى أنَّ المسألة لم تنته عند ذلك المستوى، لم تنته باكتمال أداء فريضة الحج، فالرسول ﷺ بعد اكتمال الحج، تحرَّك ومعه بقية الحجيج إلى أن وصل إلى منطقة قريبة من مكة، لا تزال أقرب إلى مكة منها إلى المدينة، وهي قبل أن يتفرَّق الحجيج إلى مختلف بلدانهم، هذه المنطقة هي عبارة عن وادٍ يسمى خماً، ويدعى بخم، هذا الوادي لا يزال أقرب إلى مكة منه إلى المدينة، وفي هذا الوادي لا يزال كل الحجاج الذين حجوا في تلك السنة، لا يزال كلهم أو أكثرهم موجودين مع الرسول ﷺ.

عندما وصل النبي إلى هذا الموضع، نزل عليه قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: الآية٦٧]، هذه الآية المباركة تتميز بأنها بهذه اللهجة، بهذا المضمون الساخن القوي، الذي يعبِّر عن موضوع في غاية الأهمية، وفي غاية الحساسية، **له هاتين الميزتين:**

- **أنه في غاية الأهمية**
- **وفي غاية الحساسية.**

قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، يعبِّر عن الأهمية القصوى لهذا الموضوع، وقوله -جلَّ شأنه-: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يعبِّر عن الحساسية البالغة لهذا الموضوع، وهذه مسألة واضحة بأدنى تأمل، بأدنى تأمل واضحة وجلية.

وهذا الموضوع له علاقة بحيوية واستمرارية وفاعلية الرسالة الإلهية في كل مضامينها، في كل مواضيعها، في كل مبادئها، في كل قيمها، في كل أخلاقها، أن تبقى مستمرةً بفاعليتها وأثرها في الحياة، أن تبقى مستمرةً بكمالها، ونقائها، وصفائها، دون أن تتلوث بالتزييف والتحريف، ولتكتمل في أثرها في واقع الحياة، وفي الناس أنفسهم، **إذاً هو موضوع في غاية الأهمية.**

عندما نزلت هذه الآية المباركة، من المعروف للجميع أنَّ النبي -صلى الله وسلم عليه وعلى آله- كان قد **بلَّغ** في رسالة الله العقائد، بدءاً من عقيدة التوحيد، ونسف الشرك بكل أشكاله، العقائد بشكلٍ عام وتفصيلي، **وبلَّغ** الشرائع، **وبلَّغ المواقف،** وتحرَّك فيها عملياً، جسَّدها في أرض الواقع، انطلق على أساسها في مسيرته العملية، وبشكلٍ يكاد أن يكون مكتملاً، **يعني: على المستوى**

العقائدي: اكتملت العقائد، على المستوى التشريعي: اكتملت الشرائع، على مستوى المواقف: كان قد أتمها، بما في ذلك الموقف من أهل الكتاب، الموقف من اليهود، الموقف من النصارى آنذاك، في مؤامراتهم على النبي والرسالة الإلهية والإسلام والمسلمين، قد بُلِّغت المواقف، واتخذت المواقف، إلى درجة أنَّ المعركة آنذاك قد حسمت مع اليهود، واليهود البعض منهم قد قتلوا، البعض منهم قد طردوا من الجزيرة العربية، البعض منهم قد خضوا لحكم الإسلام، ودولة الإسلام، وأصبحوا يدفعون الجزية، وخنعوا، وكذلك الموقف من النصارى، الموقف من المشركين... الموقف من كل فئات الضلال أعلن واتخذ، حصلت مواقف عملية في أرض الواقع؛ ولذلك ما من جديدٍ يتعلق بهذه المسائل، **ما من جديد في إطار مناسبة نزول هذه الآية المباركة يتعلق بهذه الأمور:** لا على المستوى العقائدي فيما يتعلق بمعرفة الله ﷻ وجوانب معينة، وبدءاً بموضوع التوحيد، **ولا في مستوى الشريعة:** الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الجوانب العبادية، جوانب المعاملات... إلى غير ذلك، على مستوى المواقف.

ثم إنَّ الموضوع هذا الذي تتحدث عنه الآية، هو موضوع له صلة بفاعلية- كما قلنا- واستمرارية مضمون ومحتوى الرسالة الإلهية، في أن تكون هذه الرسالة قائمة في واقع الحياة، مستمرة في واقع الحياة بكل نقائها، حاضرةً بكل آثارها، وثمراتها، ونتائجها في واقع الأمة، وفي أنفس الناس.

فإذا جئنا لنتأمل هذه النقطة، ثم نتأمل الجانب الآخر، وهو قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فيما يُعبِّر عنه هذا النص القرآني المبارك من حساسية كبيرة تجاه هذا الموضوع، بالرغم من هذه الأهمية له، حساسية واسعة، حساسية واسعة، حساسية موجودة وحاضرة حتى في الساحة الإسلامية، نطاق هذه الحساسية في هذا التعبير القرآني هو الناس،

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، يشمل ذلك حتى الكثير من المسلمين، حتى البعض في داخل الساحة الإسلامية، البعض الذين قد تصل بهم حساسيتهم تجاه هذا الموضوع بالذات، إلى درجة ألَّا يقبلوا به، ألَّا ينسجموا مع محتوى ذلك البلاغ، ألَّا يتفاعلوا معه، أن يرفضوه، أن يكفروا به كفر الرفض له، عدم القبول به نهائياً، عدم الاستساغة له أصلاً، عدم التقبل له على الإطلاق، فلذلك ختمت بعد قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، ختمت الآية المباركة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾.

ويأتي الحديث عن الكفر أحياناً في مقامات عملية مهمة، كما ورد في قصة الحج، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: من الآية٩٧]، فيأتي الحديث في مقامات عملية كثيرة؛ لأنه يَعبَّر أحياناً عن الرفض للموضوع أصلاً، وعدم التقبل له، وهو هكذا في هذا السياق، بعد أن يتحدث عن نطاق الحساسية في قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، يتحدث عن أسوأ ما يمكن أن ينتج عن هذه الحساسية لدى البعض، الذين قد تصل بهم إلى مستوى أن يكفروا بهذا البلاغ، ألَّا يتقبلوه نهائياً، **يعني:** أنها حساسية شديدة، تصل بالبعض إلى هذه الدرجة، هذا أقصى مستوى للحساسية تجاه هذا الموضوع: أن يكفروا به، والبعض قد يستسيغه مع امتعاض؛ **نتيجةً** للجهل بقيمة ومحتوى هذا البلاغ، وايجابياته، وأنه ليس هناك أصلاً ما يبرر الحساسية تجاهه.

الاجتماع الاستثنائي لسماع الأمر الإلهي

الرسول ﷺ **بعد نزول هذه الآية المباركة في ترتيباته العملية**، وفي بلاغه، يعرِّفنا أولاً بمحتوى هذا البلاغ، وبمستوى أهمية هذا البلاغ، **فنجد** أهمية داخل الآية، **ونجد** ما يعبِّر عن هذه الأهمية، وما ينسجم مع هذه الأهمية، من خلال الترتيبات والبلاغ النبوي للنبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- وعلى الفور نادى لاجتماعٍ عامٍ، وشاملٍ، وطارئٍ، واستثنائي، في وقتٍ حساس، في وقت الظهيرة، وحرارة الشمس على أشدها، في مكان عند ذلك الوادي، عند غدير مياه بالقرب منه، في ساحة واضحة ومكشوفة، عندها ثلاث شجرات، وعلى الفور أتى النداء ليبلِّغ كل المسلمين الذين قد تقدَّموا أن يعودوا، والمتأخرين أن يلحقوا، وحتى تم الاجتماع للكل، عندما اجتمع الكل في تلك الساحة، وهم جموعٌ غفيرةٌ **جدًّا**، ورصَّت أقتاب الإبل للنبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله؛ **حتى** تكون منصةً ظاهرةً بارزة يصعد عليها، ليبلغ هذا البلاغ الذي تحدثت عنه الآية المباركة.

وبعد اكتمال الجمع، وحضور الجميع، وإصغائهم، في وقت حرارة شديدة **جدًّا**، لكن حتى تلك الترتيبات والإجراءات، وأشبه ما تكون بنفير، وأكثر ما تكون أيضاً بإشعار بأن هذا اجتماع في غاية الأهمية، لموضوعٍ مهمٍ **جدًّا**، لا يحتمل حتى التأجيل إلى أن تزول حرارة الشمس، وفي وقتٍ كان الجو فيه صافياً، **ليس هناك أي عوائق عن الرؤية:** لا ضباب، ولا أي حواجب، أي سواتر... أي أشياء تعزل البعض حتى لا يشاهدوا رسول الله ﷺ، لا، الرؤية متاحة، كل الأجواء تساعد على إيصال هذا البلاغ بشكلٍ تام.

صعد النبي ﷺ **فوق أقتاب الإبل**، ومعه عليٌّ عليه السلام، أخذ معه علياً إلى فوق أقتاب الإبل، وبدأ خطاباً موجَّهاً إلى الأمة، خطاباً مهماً وعظيماً، حمد الله فيه، وأثنى فيه على الله سبحانه وتعالى، وتحدث- بما أشار إليه أيضاً أثناء حجة الوداع، وفي عدة مقامات ومناسبات في تلك الآونة الأخيرة- تحدَّث عن قرب رحيله من هذه الحياة، **وقال كلمته المشهورة: ((إني أوشك أن أدعى فأجيب))، يعني:** أنا على وشك الرحيل من هذه الحياة الفانية، أن أجيب وألبي نداء الله سبحانه وتعالى، وألتحق بالرفيق الأعلى، وبكل ما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة فيما يتعلق بالأمة، بالنظر إلى حجم ومستوى الفراغ الكبير والخطير، الذي يمكن أن يكون نتيجةً لرحيل النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-، هذه النقطة الحسَّاسة، **هذه هي النقطة التي تمثل إشكالية كبيرة في واقع الأمة:** أنَّ رحيل النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- بالنظر إلى دوره في هداية الأمة، وقيادة الأمة- سيترك فراغاً كبيراً، وخطيراً في نفس الوقت على هذه الأمة، وعلى مستقبل هذه الأمة.

فكان حديث النبي يتجه لمعالجة هذه المسألة، للحديث عن هذه النقطة بالذات؛ **ولذلك** كان من ضمن ما تحدث عنه في خطابه في الغدير- كما هو معروف في مصادر الأمة المعتبرة لدى مذاهبها- **كان من ضمن حديثه أنه قال: ((وإني تاركٌ فيكم الثقلين))، لاحظوا عبارة: ((تاركٌ فيكم))، يعني:** هذا الفراغ الذي سيتركه رحيلي؛ **أنا** سأترك لكم لما يسد هذا الفراغ بكل ما يمثله من خطورة، **((وإني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله))**، وسمَّاه بالثقل الأكبر، وتحدث عن عظمته وشأنه الكبير والمهم، **ثم قال: ((وعترتي أهل بيتي، إنَّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض))**.

وهكذا تحدث النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-، إلى أن وصل إلى الموضوع الرئيسي للبلاغ النبوي، والكل قد أصبحوا في تمام الإصغاء والاستماع، بعد المقدمة التي تحدث عنها، الكل جاهز لأن يسمع المحتوى الرئيسي للبلاغ النبوي الذي تحدثت عنه الآية المباركة، وقصدته الآية المباركة: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

ثم قال: ((يا أيُّها الناس: إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا- وأخذ بيد عليٍّ عليه السلام وهو معه، وعليٌّ عليه السلام معروف لدى الأمة الإسلامية، لدى المجتمع الإسلامي آنذاك- **فهذا عليٌّ-** وأخذ بيده ورفع يده ويد عليٍّ- **فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله))**، فكان هذا هو المحتوى للبلاغ النبوي الذي قصدته الآية المباركة، واستشهد النبي أمته على أنه أقام هذا البلاغ، وشهدوا له بذلك، **((ألَا هل بلغت؟))**، شهدوا وأقروا، **((اللهم فاشهد))**، كررها لثلاث مرات.

النبي صلى الله عليه وآله **بترتيباته تلك**، بلَّغ بما ينسجم مع الأهمية التي أشارت إليها الآية المباركة، وببلاغٍ مبين؛ **لأنه** دائماً يؤدِّي وظيفته كرسولٍ لله في البلاغ المبين على أكمل وجه، وأتم وجه، لم يبق أي التباس، أو أي غموض يعود- سواءً- إلى طريقته في تقديم الموضوع، أو في تعبيره عن الموضوع، هو يبلِّغ البلاغ المبين؛ **لأن** هذا من صميم مسؤوليته -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

عندما نتحدث عن هذا البلاغ الذي أتى على إثْره مباشرةً النص القرآني المبارك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، نجد أنَّ هناك انسجام تام **ما بين** محتوى النص المبارك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، **وما بين** قوله ﷻ -وجلَّ شأنه: ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾، هناك انسجامٌ تام، وهناك تكامل ما بين النصين المباركين؛ **لأنه** لا شك أنَّ الموضوع الذي به كمال الدين، به تمام النعمة، هو الموضوع الذي به يُحفظ الدين الإلهي، تحفظ المسيرة الإيمانية للأمة، تستمر الرسالة الإلهية بأثرها، بكمالها، بنقائها، **فهناك انسجام واضح جدًّا ما بين الأمرين: ما بين** أن يكون الموضوع الذي لو لم يبلَّغ؛ **لكان** ذلك يشكِّل إشكالية كبيرة على مستقبل الرسالة الإلهية، **وما بين** الموضوع الذي إن بُلِّغ؛ **يُحفَظ** به الدين، يستمر به الدين الإلهي بكماله، ونقائه، وفاعليته، وأثره.

ثم نأتي إلى موضوع الولاية، باعتبار أنَّ هناك أيضاً في القرآن الكريم الآية القرآنية المباركة التي أتت أيضاً في سورة المائدة، وسورة المائدة هي من آخر سور القرآن نزولاً، والبعض من آياتها أيضاً من آخر الآيات نزولاً على مستوى الآيات، هي على مستوى السور، ثم هناك فيها ما هو على مستوى الآيات القرآنية.

أتى في الآيات القرآنية قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، الآية المباركة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾، وما بعدها آية: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، لها صلة وعلاقة تامة أيضاً مع موضوع البلاغ النبوي في يوم الغدير، فالموضوع هو نفس الموضوع، والتسلسل هو نفس التسلسل.

الآية المباركة أتت أيضاً في سياق مهم، وسنأتي للربط ما بين موضوع السياق، الذي هو يحذِّر من الولاء لليهود والنصارى، واتخاذهم أولياء، وتحدث عن المنافقين، وما يتعلق بذلك، ثم أيضاً ما يتعلق بموضوع

الولايـة، ومبـدأ الولايـة، نتحـدث عـن هـذا في سـياق الحديـث إن شـاء اللـه.

ولاية الله.. العنوان المهم والشامل!

الآيـة المباركـة تتحـدث عـن ولايـة اللـه ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، وهـذا العنـوان مهـمٌ **جـدًّا؛ لأنـه** يتصـل بعلاقتنـا باللـه ﷻ، وهـذا موضـوع **يجـب** أن يكـون محـط اهتـمام لـدى كل مسـلم، لـدى كل مسـلم، أو كل مسـلمة، مسـألة في غايـة الأهميـة، ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، هـذا العنـوان المهـم **جـدًّا**، سنسـلط الضـوء عـلى مـا ورد في الآيـات القرآنيـة، عـلى ضـوء مـا في القـرآن الكريـم، عـلى بعـضٍ مـما ورد عنـه في القـرآن الكريـم؛ **ليتبـين** لنـا أهميـة هـذا المسـألة **جـدًّا**.

ولايـة اللـه ﷻ هـي تشـمل مجـالات حياتنـا كافـة، كل البـشر في واقـع الحيـاة يقـرُّون باللـه ﷻ، وبأنـه الـرب والخالـق، والملـك، والمالـك، والـرازق، هـذه مسـألة يتفـق عليهـا البـشر، والحـالات النـادرة في الإلحـاد والجحـود، هـي حـالات مكابـرة، مكابـرة للفطـرة، وحـالات سـقيمة، لا تسـتند إلى أي مسـتند، هـي حـالات سـخيفة، حـالات مكابـرة، **كـما لـو أتى أحـد مـن البـشر ليقـول:** لا يوجـد ليـل، ولا نهـار، ولا بـشر، ولا شيء مـن الأشـياء التـي نعلـم بالـضرورة وجودهـا؛ **لذلـك فالمسـألة معروفـة في الفطـرة البشريـة لـدى كل فئـات البـشر:** اليهـود، والنصارى، والمسـلمين، والمشركـين... ومختلـف الفئـات عـلى هـذه الأرض.

المشركـون بشـكل عـام يقـرُّون باللـه، يقـرُّون بوجـوده، يقـرُّون بأنـه الخالـق، أنه الـرب، أنـه الإلـه، هـذه مسـألة يعترفـون بهـا، وإن كانـت مشـكلة المشركـين في أنهـم أضافـوا إلى الألوهيـة آلهـةً أخـرى، في مسـتويات ومراتـب وفـق خرافاتهـم وكفرهـم، ولكنهـم مـن حيـث المبـدأ يقـرُّون باللـه ﷻ، ومعهـم في ذلـك حتـى إبليـس، إبليـس (الشـيطان الرجيـم) يقـرُّ باللـه، وبأنه الـرب، والإلـه، والملـك، والمالـك، والـرازق، والخالـق،

هذه المسألة محل إقرار من الجميع، عقدة إبليس: هي تتعلق بولاية الله ﷻ، وفي استخلافه آدم خليفةً له في الأرض، هذه مثَّلت عقدة لدى إبليس؛ **بسبب** ما يعيشه من حالة الكبر، فلم يقبل بذلك، فعقدته في امتداد ولاية الله ﷻ.

أيضاً ولاية الله في إطار معين، فيما يتعلق بالربوبية، والخلق، والرزق، والملك، وتدبير شؤون السماوات والأرض على المستوى التكويني، هذا أيضاً محل إقرار لدى البشر، وحتى لدى إبليس كما قلنا، وهذه مسألة واضحة في القرآن الكريم.

مثلاً فيما يتعلق بإبليس، الله يحكي لنا قصته في القرآن الكريم في سورة البقرة، في سورة الأعراف، في سورة الحجر، في سورة ص... في سور متعددة من القرآن الكريم، كيف كان يعترف بالله، هو أصلاً كان يعبد الله، وكان قد وصل إلى مستوى أن يبقى في إطار الملائكة، وهو يعبد الله ﷻ بينهم، عندما قال الله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: من الآية٣٠]، ثم خلق آدم، واستخلفه في الأرض، وأمر بالسجود له، استكبر إبليس، ولم يرض بذلك، لم يقبل بذلك، لم يقبل بالسجود آدم، وكان له موقف مستاء **جدًّا** من استخلاف آدم، واستخلاف البشرية على الأرض؛ **ولذلك** قال كلمته بعد ذلك، بعد أن لُعِن، بعد أن أمر الله بطرده، فماذا قال آنذاك؟ نجد أنَّ إبليس طلب من الله ﷻ أن يُنْظِره، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: الآية٣٦]، يعترف بالله، وبأنه الرب، ويقرُّ بيوم القيامة، يوم البعث، هو لا ينكر ذلك، يقرُّ بالله، وباليوم الآخر، وبالبعث، وبالجنة، وبالنار، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٦-٤٠]، إبليس هو يُقرُّ أصلاً بأكثر مما يُقرُّ به بعض

المشركين، وبعض الكافرين، وبعض البشر، هو يُقرُّ أيضاً بأنَّ الرسالة الإلهية، وأنَّ الدين الإلهي هو الحق، ويُقرُّ بأنَّ ما يعمله هو من جانبه هي عملية إغواء، عملية باطل، يُقرُّ أنه على باطل، ويُقرُّ بأنَّ دين الله هو الحق، وأنَّ منهج الله هو الحق، وأنَّ رسالة الله هي الحق، ويُقرُّ على نفسه بأنه في باطل، وأنَّ كل ما يسعى له هو الإغواء للبشر في عملية الانتقام منهم.

بل هو أيضاً يؤمن بالله ﷻ أنه عزيز، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، يستثني دائماً عباد الله المخلصين، فهو يقسم بعزة الله، يؤمن ويقرُّ بأن الله عزيز بكل ما يعنيه هذا الاسم العظيم من أسماء الله الحسنى.

الله يخبرنا أيضاً عن الكافرين والمشركين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: من الآية٨٧]، يُقرُّون بالله بأنه الخالق، أكثر من ذلك: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: من الآية٣١]، مسألة الرزق في إطار التدبير الإلهي، في شؤون الخلق، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: من الآية٣١]، **لاحظوا** على مستوى التدبير التكويني، وأوسع من ذلك في قوله: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: من الآية٣١]، هم يُقرُّون بذلك، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: من الآية٣١].

فالبشر بشكلٍ عام يقرُّون بالله ﷻ، يقرُّون بجوانب من ولاية الله ﷻ في إطار التدبير التكويني، **في إطار مجالات من شؤون الحياة:** في الرزق، في الحياة، في الموت... في جوانب كثيرة، **ولكن مشكلة الكثير من البشر:** هي في امتداد ولاية ﷻ إلى بقية شؤون هذه الحياة، إلى الجانب التوجيهي في هذه الحياة، إلى مسيرة الحياة في مختلف شؤونها ومجالاتها فيما يتعلق بدور الإنسان العملي، في مسؤولياته، فيما يتعلق بمسيرة حياته وشؤونه العملية والحياتية،

هنا يأتي الموقف من بعضهم، فهم بدلاً من أن يؤمنوا بامتداد ولاية الله ﷻ، لتشمل هذه الجوانب، هم يرتبطون بولايةٍ أخرى، يعبِّر عنها القرآن الكريم بولاية الطاغوت، ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، هم ينفصلون عن مصادر الوصل بولاية الله ﷻ، فيما يتعلق بالجانب التوجيهي والإرشادي والعملي المتصل بشؤون الحياة، ومجالات الحياة المتعلقة بأعمال الإنسان، وأنشطته، واهتماماته، وحركته في هذه الحياة، **هنا** تكمن المشكلة، **هنا** تكمن العقدة.

بين ولاية اللّه وولاية الطاغوت.. مقارنة ونتيجة

وإذاً نأتي إلى المقارنة بين ما يعبِّر عنه القرآن الكريم بولاية الله في امتدادها في هذا الجانب، واتصالها به، وفي ولاية الطاغوت، وارتباط الفئات الأخرى من المشركين والكافرين والمنافقين بها.

الله ﷻ في هذا التصنيف، فيما يتعلق بالجانب التوجيهي، وفيما يتعلق بامتداد الولاية في مسيرة الحياة، يقول في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: الآية٢٥٧]، فنجد هذا الفرز، وهذا التقسيم بين الولايتين.

ولاية اللّه سبحانه.. عزة وكرامة

ولاية الله ﷻ في امتدادها المتعلق بمصادرها وقنواتها، **والمتعلق** أيضاً بمنهجها ومشروعها، **والمتعلق** أيضاً بميدانها ومجالها، يؤكِّد لنا في الآيات المباركة أنها تشمل كل هذه الجوانب، يعني: ولاية الله ﷻ في امتدادها، هناك من يعبِّر عن هذه الولاية، من هو امتداد في حركته بهذه الولاية، هم رسل الله، ابتداءً هم رسل الله وأنبياؤه، هم المصادر، هم قنوات

الوصل بهذه الولاية التوجيهية الإرشادية، التي يلحق بها أيضاً جوانب أخرى من تدبير الله ﷻ ذات صلة بها، ذات علاقة بها، **وأيضاً فيما يتعلق بمنهجها:** كتب الله ﷻ، وما هو امتداد لكتب الله ﷻ، **ثم أيضاً في مجالها:** أنها تشمل مجالات الحياة، شؤون الحياة المختلفة للإنسان.

الله ﷻ يؤكِّد هذه الولاية، ولهذا عندما يأتي بهذا التعبير في قوله جلَّ شأنه: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، فالإخراج للذين آمنوا، الذين لهم هذه الصلة بولاية الله ﷻ، هذا الإيمان بولاية الله ﷻ، فهم وفق هذا الإيمان، وفق هذه الصلة، يتلقون من الله ﷻ التوجيهات، التعليمات، الهداية، التزكية لأنفسهم، وهم من خلال هذا الوصل في هذه الولاية الإلهية، يحظون من الله ﷻ بالرعاية، يحظون منه بالهداية، يحظون منه بالنصر، بالتأييد... بأشكال واسعة من رعايته الواسعة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ﴾، تصل إليهم منه عبر تلك المصادر والقنوات التي هي صلة، امتداد لهذه الولاية، تحمل وتجسِّد هذه الولاية في الواقع البشري، تصل التوجيهات الهادية لهم، وباستجابتهم لتلك التوجيهات، لتلك التعليمات، بتلقيهم لتلك الهداية؛ **يتم** إخراجهم من الظلمات، الظلمات التي هي عبارة عن مفاهيم خاطئة، عقائد باطلة، ثقافات ضالة، إذا أخذ بها الإنسان؛ **تحجبه** عن الحقيقة، تعميه عن الحق والحقيقة، تغطي ما بينه وبين الحق والحقيقة، فيأخذ تصورات أخرى، وأفكاراً أخرى؛ **وبالتالي** يبني عليها توجهات تنحرف به عن صراط الله المستقيم، تنحرف به عن السبيل الذي يصله بالله ﷻ، يصله بالغايات العظيمة التي وعد الله بها في الدنيا والآخرة، تتيه به تلك المفاهيم وتضيعه، فهي ضلال؛ **لأنها** ضياع،

لأنها حجبٌ عن الحقيقة، لأنها تعمي عن إبصار الحق، وإبصار الحقيقة.

فالله ﷻ في ولايته للذين آمنوا، يؤكِّد هذه الولاية في مثل هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، يؤكِّدها في قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، يؤكِّدها في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: من الآية٦٨]، يؤكِّدها في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: من الآية١٩].

في هذا التعبير: ﴿وَلِيُّ﴾، ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، فيه أيضاً ما يفيد طبيعة هذه العلاقة العظيمة الراقية، والتي أساسها التكريم، التكريم من الله لعباده الذين آمنوا؛ **لأن عبارة: (ولي)**، لها أيضاً فيما تعبِّر عنه من رعاية، من هداية، من رحمة، من تكريم، لها- ربما- دلالة أكثر وأوسع، **حتى أوسع في هذه الخصوصية بالذات من عبارة: (رب)، من عبارة: (إله)، من عبارة: (ملك)، لها أيضاً فيما يتعلق بهذه الصلة:** صلة رحمة، رعاية، صلة رأفة من الله ﷻ.

(وليكم): يرعاكم، يرحمكم، هو ﷻ يقدِّم لكم الهداية التي تحميكم من أن تظلموا، من أن تذلوا، من أن تقهروا، من أن تهانوا، هو يريد لكم أن تكونوا أعزاء، أن تكونوا كرماء، هو يقدِّم لكم ما يبنيكم لتكونوا أمةً قويةً وعزيزة، هو يصلكم بهذه الصلة من تعليماته وتوجيهاته، التي أيضاً يرفقها بمعونته، وبمعيته، وبنصره، وبتأييده، وبرعايته الواسعة.

ولهذا حتى في التعبير، حتى في كيفية التوجيه من الله ﷻ في القرآن الكريم، نجد أنَّ القرآن في توجيهاته التي تتجه إلى الذين آمنوا، الذين لهم هذه الصلة بولاية الله ﷻ، يأتي بطريقة عجيبة، فيها تكريم، فيها رحمة، لا يأتي- مثلاً- عبارة عن مراسيم ملكية، وأوامر جافة، قرار ملكي، **أو مرسوم ملكي:** [افعلوا كذا وكذا]، ثم ينتهي الموضوع، **قرار وأمر صارم ملكي:** [افعلوا كذا وكذا]، وانتهى الموضوع.

تأتي معظم التوجيهات إلى الذين آمنوا في القرآن الكريم، معظم التعليمات تأتي في القرآن الكريم بخطاب فيه تكريم، حتى أنَّ القرآن بكله خطاب فيه تكريم، فيه تعبير عن رحمة الله ﷻ ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: الآية٢]، تأتي العبارات التي **فيها** الترغيب، **فيها** الوعد بالخير الكبير من الله ﷻ، **فيها** التعبير عن رحمته ﷻ، **فيها** الثناء، **فيها** الإشادة، **فيها** التكريم لمن يتقبلون تلك التوجيهات، وفي نفسها توجيهات كريمة، توجيهات عظيمة، توجيهات حكيمة، تسمو بالإنسان، عندما ينفِّذها، عندما يلتزم بها، هداية عظيمة يسمو بها الإنسان، يكرم بها الإنسان، يعلو شأنه، وهكذا نجد أنَّ هذه العلاقة في معنى الولاية التي تفيد أنَّ الله وليكم ﷻ، بكل ما يعبِّر عنه ذلك من رعايته، من رحمته، من هدايته، هو عنوانٌ جذَّاب، وعنوانٌ عظيم.

ولاية الطاغوت.. ذلة وشقاء

بينما إذا جئنا إلى ولاية الطاغوت، فحتى مسمى ولاية، هو باعتبار أنَّ الذين يتولون الطاغوت، يجعلون منه ولي أمرهم، يرتبطون به لتلقي التوجيهات والتعليمات، يتصلون به في كل شؤون حياتهم، يعتمدون عليه في أمور حياتهم، ومواقفهم، وولاءاتهم، بهذا الاعتبار سميت ولاية.

أمَّا من حيث المعاني الأخرى: في الرحمة، والرفق، والرأفة، والتكريم، فهي مجردةٌ من هذا المضمون، لا صلة لها بذلك، ولاية الطاغوت كما عبر عنها في القرآن الكريم في قوله -جلَّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، الطاغوت هو مصدرٌ للضلال، مصدرٌ ظلاميٌّ، يضل من يرتبط به، يظلم من يرتبط به، يضيع من يرتبط به، ينحرف به عن السبيل الأقوم، عن السبيل الأكرم، عن الطريق الصحيح،

عن الصراط المستقيم، يتيه به؛ فيضيعه في هذه الحياة، يضيع جهده في هذه الحياة، وفي نهاية المطاف يصل به إلى نار جهنم، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الإتِّباع للطاغوت، والارتباط به، هو على هذا النحو، على هذه الشاكلة: ضلال، ضياع، انحراف على المستوى الثقافي، على المستوى الفكري، على المستوى العملي والسلوكي، على مستوى جهد الإنسان الذي يبذله في هذه الحياة، وجهته في هذه الحياة، كل ذلك في نهاية المطاف يتيه به، يحمِّله الأوزار والذنوب، يشقيه في الدنيا بأنواع متنوعة من الشقاء، ويصل به إلى نار جهنم في الحياة الآخرة والعياذ بالله.

الولاية للطاغوت، الطاغوت: هو كل الجهات أو المناهج التي تفصلك عن امتداد الولاية الإلهية، **في** منهجها الحق، **في** قنواتها ومصادرها الحق، **في** مجالها في هذه الحياة.

المرتبطون بولاية الطاغوت.. فئاتهم وأصنافهم

المرتبطون بولاية الطاغوت هم أصناف، في مستوى هذه الولاية؛ **لأن** البعض- مثلاً- حدود الولاية الإلهية عندهم في الإطار التكويني: أنَّ الله هو الخالق، هو الرازق... وما إلى ذلك، وفي حدود معينة من مستوى التدبير الحياتي، **كما قلنا:** في مسألة الرزق مثلاً، ولكن عندهم في معتقدهم، في ثقافتهم، التي هي أيضاً منشؤها الطاغوت، الذي مصدره الشيطان، وصلته بالشيطان في نهاية المطاف، أنَّ الله لا ولاية له عليهم، ولا امتداد لولايته عليهم في شؤون حياتهم، في مجالات حياتهم المختلفة، في نظم شؤون حياتهم المختلفة، يعتبرون هذا شيئاً لا تمتد إليه ولاية الله، فهم يتصرَّفون في هذه الحياة في أعمالهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم، في ولاءاتهم، في عداواتهم، في مسيرة حياتهم، وفق اعتبارات أخرى،

وفق أهواء أخرى، وفق أمور أخرى، توجيهات أخرى، تعليمات أخرى، لا صلة لها بالله ﷻ، هذه فئة، فئة لم تقبل بالمنهج الإلهي في مسيرة الحياة.

وفئة أخرى أكثر منها في ذلك، يعني: إلى درجة أنها لم تقبل حتى بمصادر الهداية، وقنوات الهداية، **يعني:** الفئة هذه من الذين ينضوون في إطار ولاية الطاغوت، كفروا برسل الله ومنهجه، لا يؤمنون بالرسل والأنبياء كمصادر وامتداد لهذه الولاية الإلهية في الجانب التوجيهي والإرشادي، وما يلحق به، وما يتبعه، وكفروا بكتب الله ورسله، واتصلوا أصلاً بشكلٍ مباشر بالطاغوت.

هناك فئة أخرى من الفئات المرتبطة بالطاغوت، التي هي في إطار ولاية الطاغوت، ولم تؤمن بامتداد ولاية الله ﷻ في الجانب التوجيهي والإرشادي، وما يلحق به، وما يتبعه، هي فئة المنحرفين، ومنهم فئة المنافقين، هي فئة منحرفة، فهم مثل هذه الفئة، إمَّا لها موقف في مستوى امتداد ولاية الله ﷻ في شؤون الحياة، في المجالات العملية في مختلف المجالات، أو في المصادر الإلهية، في قنواتها وامتدادها، التي هي امتداد لولاية الله ﷻ، فعندهم مثلاً نظرة مختلفة إلى مستوى ولاية الرسول، حدود ولاية رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

مثلاً من أمثال هذه الحالة من الانحراف، التي ترتبط بولاية الطاغوت، مع إيمانها ببعض رسل الله، ببعض كتبه، **لكن دخلت في ذلك عملية تحريف وانحراف:** أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، الله قال عنهم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: من الآية٥١]، مع أنهم يُقرُّون بالبعض من رسل الله، وبالبعض من كتب الله، لكنهم في حالة الانحراف والتحريف أصبحوا يرتبطون عملياً وواقعياً في شؤون حياتهم بولاية الطاغوت، وابتعدوا عن ولاية الله ﷻ.

ولاية الطاغوت ليس فيها أي جاذبية، هي ضلال منبعٌ للضلال، للتيه بالإنسان، وهي أيضاً ظلم، هي مصدر للظلم، مصدر للفساد، مصدر للشر، مصدر للمنكر، مصدر للانحطاط بالإنسان، مصدر لضرب القيم الإنسانية الفطرية؛ **ولهذا** يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: من الآية١٩]، هو في سياق ولاية الطاغوت التي هي مصدر للظلم، ثم هي في نهاية المطاف امتداد لماذا؟ امتداد للشيطان، والشيطان كما قال الله عنه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: من الآية٦]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾، وحزبه يرتبطون به في ولاية الطاغوت، ولاية الطاغوت امتداد للشيطان؛ **ولأنها** امتداد للشيطان حتى في الموقف، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية٧٦]، فتصل حالة الارتباط بالطاغوت إلى الولاء له، إلى أن تكون القضية التي يقاتل من يقاتل ممن يرتبط بولايته فيها من أجلها، هي تمكين الطاغوت، هي فصل الناس عن ولاية الله ﷻ في امتدادها في الهداية، والمنهج، والرموز، تصل المسألة إلى هذا المستوى.

نعود إلى ولاية الله ﷻ، ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، **(وَلِيُّكُمُ)**: يرعاكم، يزكيكم، يمنحكم من عزته، لا يريد لكم أن تُظلَموا، يتولى شؤونكم، تتلقون منه الهداية، والتوجيهات، والرعاية، والتعليمات، والنصر، في إطار مهامكم ومسؤولياتكم ومسيرة حياتكم، **وهذه نقطة مهمة**.

الموقع الذي يكون فيه الذين آمنوا في إطار الولاية الإلهية، هو موقع مسؤولية، هو موقع مهام كبرى، هو موقع أدوار أساسية **جدًّا**؛ **ولذلك** هم في

موقع المسؤولية يتلقون هذه التعليمات من الله ﷻ، وهو يستخلفهم في أرضه، وهو ﷻ يوجههم بتعليماته العظيمة، وهو يريد لهم أن يكونوا أمةً عظيمةً قويةً عزيزة، تقوم بأدوارها ومسؤولياتها ومهامها الكبيرة والعظيمة والمقدَّسة.

ولاية الرسول ودورها في امتداد الولاية الإلهية

امتداد هذه العلاقة، والوصل لنا بالله ﷻ في إطار هذه العلاقة يأتي عبر من؟ يقول الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾؛ **لأننا** عبر رسوله ﷺ نتلقى هذه التعليمات، هذه التوجيهات، يأتي الدور للرسول ﷺ في امتداد هذه الولاية الإلهية إلى واقعنا البشري في العملية التوجيهية والإرشادية التي نرتبط بها في كل شؤون حياتنا، ليكون دوراً مهماً وأساسياً.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، ولاية الرسول ﷺ في مسؤوليته بالرسالة الإلهية، يبلِّغ هذه الرسالة يبلِّغنا عن الله ﷻ، ويجسِّد مبادئ هذه الرسالة، ويقودنا في الواقع العملي في الحركة بنا في مسيرة حياتنا على أساس هذه الرسالة، ويؤدِّي أدواره التي هي امتداد للولاية الإلهية، فيما يتعلق بمسؤولياته تجاهنا، والتي عبَّرت عنها آيات كثيرة في القرآن الكريم، وهو يهدينا بهذا الهدى الذي يصله من الله ﷻ، وهو يعلِّمنا الكتاب والحكمة، وهو يزكينا، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ آل عمران: من الآية١٦٤]، فهو في إطار ولايته هذه، هو يزكينا، هو يعلِّمنا الكتاب والحكمة، هو يقودنا في مسيرة هذه الحياة، في إطار الالتزام بتلك الرسالة الإلهية، بما فيها من التعليمات، من التشريعات، من الهداية الواسعة، يتحرك بنا

على هذا الأساس، وفي إطار هذه الولاية يمتد دوره كمعنيٍّ بقيادتنا، له علينا حق الطاعة، إلى درجة أن يعبِّر الله ﷻ عن هذا الدور في قوله -جلَّ شأنه: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: من الآية٦]، له علينا هذه الولاية التي هو فيها أولى بنا حتى من أنفسنا، فأمره علينا فوق أمرنا، فوق خيارنا، فوق قرارنا، فوق حتى اختيارنا، ما يأمرنا به، ما يوجهنا إليه.

وهكذا يأتي القرآن الكريم ليؤكِّد على هذه المسألة كثيراً، وفي نفس الوقت يطمئننا أنَّ النبي ﷺ هو بنفسه عبدٌ لله ﷻ، يذوب في العبودية لله، ما يأمرنا به، إنما هو بأمر الله، ما يوجهنا إليه، إنما هو بتوجيه الله ﷻ، هو ﷺ في المقدِّمة الأكثر عبوديةً لله، الأعظم التزاماً، استقامةً، تطبيقاً لمنهج الله وتعليمات الله ﷻ.

هو الذي وُصِف في القرآن بعبوديته لله، حتى أنه ليكفي لأن يقول في القرآن الكريم: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: من الآية١]، لينصرف هذا المعنى إلى رسول الله ﷺ؛ **لأنه** عبَّد نفسه بشكلٍ تامٍ لله ﷻ، وعلى أرقى مستوى في الواقع البشري، يكفي في بعض الآيات المباركة أن يشير إلى الرسول بهذا التعبير، بأن يصفه بالعبد؛ **لأنه** فعلاً عبَّد نفسه على نحوٍ تام، ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأعراف: من الآية١٥٨]، كان يقول، وعلَّمه الله أن يقول، وهو يقولها بكل مصداقية: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام: من الآية٥٠]، ملتزماً كل الالتزام بمنهج الله ﷻ.

اهتمام الرسول بالأمة وحقه علينا في الطاعة والتعظيم

ثم هو يجسِّد ولاية الله ﷻ فيما يحمله تجاه المؤمنين من رحمة، من حرص، من اهتمام، روحية هذه الولاية، أثر هذه الولاية في نفسه، في علاقته بالأمة، في علاقته بالمؤمنين؛ **ولذلك** يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية١٢٨]، تجد هذه مواصفات عظيمة **جدًّا**، لها دلالات كبيرة **جدًّا**، ففي إطار ولاية الله ﷻ، نعرف أنَّ الله رحيم، أنه جلَّ شأنه يخرجنا من الظلمات إلى النور، أنه يرعانا، أنه ينصرنا، أنه يهدينا، أنه ينعم علينا، أنه يرعانا برعايته الواسعة **جدًّا**، هكذا رسوله في امتداد ولايته، وهو يتحرك بنا في واقع هذه الحياة، وهو يصلنا بهذه الولاية كامتداد لها في عملية التبليغ، وفي عملية التحرك بنا في إطار هذه الولاية، ومنهجها العظيم، هو يحمل هذه الروحية تجاهنا، وهي روحية مرتبطة بهذه الولاية الإلهية، هي امتداد لها في نفس الوقت، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، هو يحمل تجاهكم هذه الرحمة، إلى درجة أنه يعزُّ عليه، يؤلمه أن يلحق بكم أي عنت، أي ضرر، أي مشقة، فهو بكم رؤوفٌ رحيمٌ، وعليكم حريص، حريصٌ عليكم أن تكونوا أعزاء، أن تكونوا كرماء، أن تكونوا عظماء، أن تكونوا أمةً تنهض بمسؤولياتها المقدَّسة، تدعو إلى الخير، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تنشر الحق والخير في ربوع المعمورة، أمةً قائمةً بالقسط، أمةً صالحة، أمةً تسمو، وتزكو، وتَصلُح، وتُصلِح في أرض الله وعباد الله، هو يحمل تجاهكم هذه الرحمة، هذا الاهتمام الكبير بأمركم، لا يريد لكم أن تكونوا أمةً ضعيفة، لا يريد لكم أن تضلوا، لا يريد لكم أن تقهروا، لا يريد لكم أن يلحق بكم أي مشقة، أو أي ضرر، أو أي عنت.

وهكذا يأتي التأكيد في القرآن الكريم على دور النبي ﷺ كهادي وكقائد، ويقول الله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: من الآية٥٤]، يؤكِّد على أهمية الطاعة له، وأنَّ هذا جزءٌ أساسي في علاقتنا به في إطار ولايته علينا، إلى درجة أن يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: من الآية٨٠]، **وكان بعض المسلمين لديهم نقص كبير في فهم هذه المسألة:** في استيعاب ولاية الرسول عليهم، في امتداد هذه الولاية في شؤون حياتهم، في مواقفهم، في أعمالهم، في توجهاتهم، في ولاءاتهم، في عداءاتهم، فكان عندهم نظرة قاصرة، يرون دور النبي ﷺ يقتصر على أمور محدودة **جدًّا**، فلا يتحرجون من معصيته في أمور ومسائل كثيرة، هذه كانت مشكلة كبيرة.

في إطار هذه الولاية، ولاية الرسول علينا، له علينا حق الطاعة، حق التعظيم والتوقير، ولهذا أتى في ضمن التوجيهات الإلهية في القرآن الكريم، حتى لمن عاصر النبي ﷺ وعاش في ظله، يقول الله لهم: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: من الآية٢]، فله علينا الحق في أن نعظمه، أن نجله، أن نوقره، أن نستشعر وأن نعرف عظمته وأهميته، وكماله العظيم، ومنزلته العالية عند الله ﷻ، ننظر إليه بقدسية، ولذلك يحذر حتى من رفع الأصوات فوق صوته، ويهدد بأن ذلك قد يصل في أثره السلبي على عمل الإنسان أن يحبط، ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

يقول أيضاً: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: الآية٦٣]: **لأن** البعض كان يدعوهم

النبي لاجتماع، فيتهربون من الحضور، وأحياناً حتى بعد أن يكونوا قد حضروا، يبدأ الاجتماع، يتحدث إليهم، فيحاولون أن يتسللوا وأن يخرجوا بطريقةٍ خفية، دون أن يشعر بهم الآخرون، فكان هذا يسبب مقتاً لهم من الله ﷻ، كان هذا يدل على قصور كبير في إيمانهم، في وعيهم، في إدراكهم واستيعابهم وإيمانهم بطبيعة هذه العلاقة بالنبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

الرسول ﷺ في ولايته علينا هي ولاية توجيهية شاملة، نرتبط به من خلالها كقائد، وكقدوة، نتأسى به، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: من الآية٢١]، نطيعه، نوقره، نعظمه، نعظم ما يأتينا منه، نتقبل ما يدلنا عليه، ما يأمرنا به، ما يوجهنا إليه، نسعى لأن نسير في نهجه، وهو يتجه ليبنينا في كل جهوده، لنكون أمةً قويةً، عزيزةً، كريمةً، ولنفوز في الدنيا والآخرة، يريد لنا الخير، يريد لنا أن نكون بمستوى النهوض بمسؤولياتنا العظيمة.

بالنسبة لموقف الكافرين من ولاية الرسول -صلوات الله عليه على آله- فهو موقف معروف، كفروا وجحدوا ذلك بشكلٍ كامل، لكن- كما قلنا- كان هناك بعض المنتمين للإسلام لديهم نظرة قاصرة تجاه ولاية النبي، فكان عندهم ضعف في مدى الاحترام للنبي، التوقير للنبي، التعظيم للنبي، حتى لربما- وهذا شيءٌ أكيد- في فهمهم لعظمة رسول الله، لشخصية رسول الله، لمنزلته عند الله، لكماله العظيم، كان عندهم نقص في كل ذلك، كانوا ينظرون إليه، بعضهم كان لديهم ملاحظات، ملاحظات على رسول الله ﷺ، بعضهم يتهمونه ببعض الاتهامات، يسيئون إليه، يتعاملون معه بطريقة غير مؤدبة، **بعضهم أيضاً- مثل:** المنافقين- كان لهم أيضاً نظرة مختلفة تجاه ولاية الرسول ﷺ، وهذا ما

تحدث عنه القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: من الآية٦٠]، فهم على مستوى الانتماء الإيماني يعلنون انتماءهم للإيمان، الإيمان بما أنزل الله إلى الرسول، الإيمان بالرسول، الإيمان بكتب الله، لكنهم مع ذلك، مع هذا الانتماء، مع هذا الإقرار، قال عنهم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠-٦١]، فهم على مستوى الاحتكام، على مستوى القضايا وشؤون الحياة، يريدون أن يحتكموا فيها إلى من؟ إلى الطاغوت، بعيداً عن الرسول، إلى من هو منفصل عن الرسول ﷺ، عن منهج الله الحق، إلى آخرين يريدون أن يرتبطوا بهم في ذلك، من ليس لهم هذا الارتباط بمصادر الهداية الإلهية، لا بمنهج الله، ولا برسول الله، يريدون أن ينفصلوا عن ذلك، وأن يكون لهم تعليمات وحاكمية أخرى، تفصل في شؤون حياتهم وقضاياهم، بعيداً عن ذلك، هذه نظرة، نظرة البعض من المنافقين، ورثها المنافقون في كل عصر، في كل جيل من أجيال الأمة.

ولاية الإمام علي.. حلقة الوصل للأمة بالرسول الأكرم

هنا عندما نكمل الحديث عن ولاية النبي ﷺ كامتداد لولاية الله، وبهذا الاختصار، على ضوء بعض الآيات القرآنية، نستكمل على ضوء الآية القرآنية المباركة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: الآية٥٥]، لم يكف هنا في الحديث عن ولاية الله وامتدادها أن يقتصر على قوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، ثم يكفي ذلك، فيكون رسول الله ﷺ، مع منهج الله الحق،

هو الامتداد للولاية الإلهية في واقعنا البشري، لم يكفِ ذلك، أضاف قوله -جلَّ شأنه-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

يذكر المفسرون أن الآية في هذا النص، قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، تتحدث عن الإمام عليٍّ عليه السلام، الذي تصدق بخاتمه وهو راكعٌ وهو يصلي صلاة النافلة، في مسجد رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

الآية القرآنية بالتأكيد أنها تتحدث عن مناسبة معينة، وعن شخص معين، سياقها يشهد على ذلك، ثم أيضاً ما ارتبط بها من كلام الرسول؛ **لأن** الرسول صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية بيَّن أن مصداقها هو الإمام عليٌّ عليه السلام، مصداقها الذي نزلت فيه وقصدته في هذا النص: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

طبعاً سنتحدث عن بعض ما يفيده قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، بعض ما يعبر عنه، ما يدل عليه، **ولكننا نركز هنا على نقطتين:**

في الآية المباركة ركَّزت الآية أن تقدم الامتداد للولاية الإلهية، وهي في إطار مسيرةٍ إيمانية بالعنوان الإيماني، وبالمعيار الإيماني، وبالكمال الإيماني، فامتداد هذه الولاية ما بعد محطة الرسالة ﴿وَرَسُولُهُ﴾ امتداد هذه الولاية في عنوانٍ إيماني، في إطار الكمال الإيماني، والإمام عليٌّ عليه السلام كان يجسد هذا الكمال الإيماني على أرقى مستوى، وهذا ما سنتحدث عنه بتفصيلٍ أكثر.

لم يكف- كما قلنا- أن يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، لماذا؟ لأن ولاية الله سبحانه وتعالى في امتدادها في الهداية، في امتدادها التوجيهي والارشادي، في

امتدادها بحركة هذا الدين، وبالأمة في إطار هذا الدين، والقيام بهذا الدور المهم، في تجسيد مبادئها وقيمها وأخلاقها، لا بدَّ له من الاستمرارية، وإلا فالفراغ نتيجةً لرحيل النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- سيفقد الأمة الصلة برسولها نفسه، برسولها نفسه، بولايته نفسه.

ولهذا نجد أنه قال في نص حديث الغدير، حديث الولاية: ((فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه))؛ لأن علياً يؤدي دور حلقة الوصل برسول الله، دور الامتداد لولاية رسول الله في الأمة، يصلنا برسول الله، بتوجيهات رسول الله، بالمبادئ التي أعلن عنها رسول الله، يواصل هذا الدور في مسيرة الأمة، في تزكية الأمة، في هداية الأمة، في قيادة الأمة، في تجسيد تلك المبادئ، تلك القيم، في الحفاظ عليها نقيةً لا يشوبها التحريف، ولا يشوبها التزييف، وهذا دورٌ محوريٌ مهمٌ **جدًّا**، إن فقد هذا الدور، فالفراغ الرهيب **جدًّا**، الفراغ الكامل، الذي يفترضه البعض، سينتج عنه كارثة كبيرة **جدًّا** في واقع الأمة، سينتج عنه انفصال عن الارتباط بهذه الولاية، في أشياء كثيرة، في جوانب كثيرة.

لو كان بالإمكان الاستغناء عن هذا الدور، وأن نكتفي بقوله: ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، لما كان هناك من حاجة إلى أن يقول في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ويقدم تلك المعايير والمواصفات، ثم يقول ثانيةً: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، **لما كان بحاجة إلى أن يقول في نص حديث الغدير: ((فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه))**، إلا لأن المطلوب أن يستمر هذا الدور في الحركة بالأمة على أساس الهداية الإلهية، بشكلٍ مضمونٍ ووثيقٍ ونقيٍ وسليمٍ وتام؛ **لأن** هذه مسألة مهمة **جدًّا**، ولأنه في غاية الأهمية أتى: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؛ **لأن** المطلوب هو الاستمرارية، استمرارية مسيرة الهداية الإلهية في واقع الأمة،

استمرارية الدين الإلهي بكل نقائه، استمرارية إقامته في واقع هذه الحياة بشكلٍ سليم، بشكلٍ صحيح، بعيداً عن التزييف والشوائب التي تؤثر على ذلك.

فلذلك لأن ولاية الله ممتدة في واقع عباده، ومسيرة حياتهم، في هذا الجانب الذي يقوم به الرسول في الهداية، وما يتعلق بها من رعاية، وامتدادها أمرٌ ضروريٌ في سنة الله في عباده، وإلا فسيكون للفراغ أثره السلبي **جدًّا** ما بعد النبوة، فيأتي الاستمرار ليس من موقع النبوية، ليس من موقع النبوة، وإنما من موقع الولاية.

من النصوص النبوية المؤكدة لولاية الإمام علي

ونجد أيضاً النصوص التي لها أهمية كبيرة جدًّا، وتؤكد على هذا المعنى، نصٌ نبوي مهم، معروفٌ بين الأمة **جدًّا**، مشهورٌ بين الأمة، ثابتٌ بين الأمة، هو ما يعرف بحديث المنزلة، عندما قال رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- لعليٍّ: ((**أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعد**))، وهذا النص أتى في أكثر من مقام، ففي مقام آخر يقول: ((**علي مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**))، هذا النص المهم يفيدنا عن منزلة الإمام عليٍّ عليه السلام، عن موقعه، هذا الموقع المهم، الذي يمثل دوراً أساسياً **جدًّا** في استكمال هذه المسيرة، في النهوض بهذه المسؤولية، في القيام هذا الدور، في استمرار مسيرة الهداية الإلهية، في كماله أيضاً، أنه أكمل هذه الأمة بعد نبيها، كما كان هارون أكمل أمة موسى في كماله الإيماني، هل يمكن لأحد أن يقول كان هناك من أمة موسى من هو أكمل إيماناً من هارون؟ لا. أو من دوره في النهوض بالرسالة الإلهية مع موسى في مستوى هارون في أمة موسى؟ لا.

ولذلك نجد أن هذا النص العظيم، المهم، الثابت، المعترف به بين الأمة، هو يقدم لنا دلالات متعددة وذات أهمية كبيرة؛ **لأنه** يبين لنا دور الإمام علي عليه السلام من جوانب كثيرة، إسهامه الكبير والعظيم في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في مناصرته، ومعاضدته، والقيام معه بدور كبير في نصرته، والحركة بالإسلام، والدفاع عن الإسلام، وعن كماله الإيماني العظيم، ثم أيضاً عن موقعه المستمر والمكمل للدور ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، **ليس من موقع النبوة: ((إلا أنه لا نبي بعدي))، ولكن من موقع الولاية: ((فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه)).**

الإمام علي.. كماله ومؤهلاته المتميزة

كمال الإمام علي عليه السلام على المستوى الإيماني مسألة معروفة جدًّا، ولو تحدثنا عنها، فالحديث عنها يطول جدًّا، إلا أننا يمكن أن نشير بإشارات مختصرة:

الكل يعرف أن علياً عليه السلام كان له ميزة في مسيرته الإيمانية: هي بالاختصاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه تربى منذ طفولته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وربّاه على مكارم الأخلاق ليله ونهاره، وأنه لم يسبق إيمانه أي شرك، ولا أي شائبة، ولم يتأثر بأي شيءٍ من خارج الإسلام، ولا من دنس الجاهلية، وفي نفس الوقت كان لديه- بإعدادٍ إلهي، وبتهيئةٍ إلهية- قابلية عالية **جدًّا**، أن يحظى بتلك التربية المباشرة، المستمرة، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منذ الطفولة، وبذلك الإعداد من جانب النبي، في كل تلك المراحل إلى حين وفاة النبي، ومع ذلك ماذا؟ كان لديه هو فيما هيأه الله له قابلية عالية **جدًّا**، للاستفادة مما يربيه النبي، ويعلمه النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

ثم فيما يأتي في القرآن الكريم من حديث، البعض منه في آيات عامة، مصداقها الأعظم والأول هو الإمام علي عليه السلام، نموذجها المتكامل والأول

هو الإمام عليٌّ عليه السلام، فتقدم أيضاً تعريفاً عنه، وتقدمه كنموذج، وتقدمه كقدوة، وتكرر هذا في القرآن الكريم، وتحدث المفسرون، والمحدثون، والمؤرخون، وأصحاب أسباب النزول عن ذلك، عن علاقتها بالإمام عليٍّ عليه السلام.

فنجد مثلاً في بعضٍ من الآيات القرآنية، والنصوص النبوية، التي تتحدث لنا عن كمال عليٍّ، وتجمع ما بين الحديث عن سره وباطنه، مع علانيته وظاهره، وعلى نحوٍ قاطع، خبرٌ من الله، ومن رسول الله عن الله سبحانه وتعالى، فمن ضمن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: الآية٢٠٧]، الكل يقر بأن المصداق الأول لهذا النص القرآني، لهذه الآية المباركة، من أمة محمد، هو الإمام عليٌّ عليه السلام، النموذج الأكمل والمصداق الأول، فهو الذي باع نفسه من الله سبحانه وتعالى، باع نفسه بشكلٍ كاملٍ من الله سبحانه وتعالى، واتجه في كل مسيرة حياته وقد باع نفسه من الله، يعمل كل ما يعمله من أجل الله، وفي سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، ولنصرة دين الله سبحانه وتعالى، وهو حاضرٌ في كل لحظة، وبدون استثناء، لأن يلقى الله سبحانه وتعالى، وأن يضحي بحياته؛ **ولذلك** انطلق على نحوٍ عظيمٍ ومتميز لنصرة الله سبحانه وتعالى.

ثم تبين لنا الآية إخلاصه العظيم لله سبحانه وتعالى: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، فهي تتحدث لنا عن مكنون علي، عمَّا في أعماق قلب علي، عليٌّ الذي عقد العزم في قرارة نفسه، على أن يضحي بنفسه في سبيل الله، وأن يجعل كل حياته في سبيل الله سبحانه وتعالى، يعمل ليله ونهاره، يقف كل المواقف مهما كانت خطورتها وحساسيتها، وهو في تمام الاستعداد والجاهزية العالية للتضحية بروحه، للتضحية بحياته، وبإخلاصٍ تامٍ لله سبحانه وتعالى.

﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾، فهو في كل مسيرة حياته يتحرك ابتغاء مرضات الله، رضوان الله هو هدفه الرئيسي، ليس له أي أهداف أخرى، ليس هناك أي شوائب أخرى، أي دوافع أخرى، أي عوامل أخرى، تؤثر على مقصده، على هدفه، على نيته، على اتجاهه، وهذا إيمانٌ خالص، هذا توجهٌ صادقٌ يشهد به القرآن الكريم.

فكانت تضحياته، مواقفه، بطولاته، التي اشتهرت في التاريخ، التي أصبحت من أشهر المشهورات، ومن أبرز ما نقله التاريخ، بطولاته وتضحياته العظيمة، فكان معروفاً باستبساله العظيم، وتفانيه العظيم، في سبيل الله ﷻ، ودوره المتميز في كل مواطن الاستبسال، في كل مواطن التضحية، في كل مقامات الجهاد في سبيل الله ﷻ.

فبرز هو كجندي أول في نصرة النبي والإسلام:

- **في بدر.**
- **في أحد.**
- **في الخندق.**

في كل المقامات.

فلذلك كان هو الخصم المخاصم الأول في قول الله ﷻ: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: من الآية١٩]، في واقعة بدر.

ثم هو كان الذي استحق ذلك الوسام الكبير في غزوة أحد، عندما قال جبريل عن ذلك المستوى من التفاني والاستبسال: ((**إن هذه لهي المواساة**))، **وحين هتف الهاتف: ((لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي)).**

ثم كان من أعظم ما يعبر عن الموقف العظيم، عن الموقف الإيماني الذي يعبر عن الإيمان، يجسِّد مبادئ الإيمان في كماله العظيم، يجسِّد قيم الإيمان

في مستواها العظيم، عندما قال النبي عن خروجه يوم الخندق، **وهو يلقى عمرو بن عبد ود: ((برز الإيمان كله، إلى الشرك كله))**، هكذا هو علي، يعبر عن الإيمان كل الإيمان، في كمال الإيمان، وعلى أرقى مستوى من الإيمان.

ثم في دوره المحوري في غزوة خيبر، أيضاً يتحدث عن عمق علي: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرارٌ غير فرار، يفتح الله على يديه))، يتحدث بخبرٍ عن الله، بما أخبره الله به، عن عمق علي، عن محبة عليٍّ لله ولرسوله، محبةً إيمانيةً عظيمة، كان لها ذلك في روحية علي، في استبسال علي، في فاعلية علي، في دوره العظيم **جدًّا**، فيما يفتح الله به على يديه، فيما تحقق على يده من نتائج وثمار عظيمة.

ثم نجد أيضاً في الحديث عن إخلاص علي، عن مكنون علي، عن عطف علي، عن حنان علي، ما يجسد القيم الإيمانية في جوانب أخرى، في مثل قوله ﷻ وهو يتحدث عن علي وفاطمة الزهراء، تلك الأسرة المباركة: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨-١٠]، نجد هنا الحديث عن إخلاصهم، إخلاصهم العظيم، عن أن الهدف دائماً هو رضوان الله ﷻ بالنسبة لهم.

الإمام علي عليه السلام هكذا كان، تتجسد الحالة الإيمانية لديه في كل ما يعمله، في كل ما يقدمه، في كل ما يعطيه، وهو يقدمه من أجل الله ﷻ، دون أي شائبة، من رياء، أو مقاصد أخرى، مقاصد معنوية، مقاصد... حتى على مستوى الشكور: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، يقدم ما يقدمه خالصاً من أجل الله ﷻ، بدافعٍ إيماني خالص، ليس عنده أي استغلال

للآخرين، أي أهداف من الآخرين، ليس عنده أي توظيف شخصي، لمكاسب شخصية، وأطماع وأهداف شخصية، لأي شيءٍ كان أبداً، فهو يقدم ما يقدمه، يعمل ما يعمله، خالصاً من أجل الله ﷻ، بروحيةٍ إيمانيةٍ عظيمة، تصل به حتى على مستوى الإيثار على نفسه، في طعامه الذي لا يمتلك غيره، في قوته الذي لا يتوفر له سواه، في أن يقدم ما يقدمه وهو يحمل حالة الإخلاص على أرقى مستوى، على نحوٍ كاملٍ وعظيم، الخوف والخشية من اليوم الآخر، حساب هذا اليوم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

فيتحدث لنا عن أعماق علي، حتى في قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: من الآية٥٥]، هذا مؤشر والإمام عليٌّ في أعظم مقام، مقام العبادة لله، مقام الصلاة التي يقيمها، يقيمها بخشوع، بتوجهٍ ذهنيٍ نحو الله ﷻ، في موقفٍ عظيم، ومقامٍ عظيم، وبالنسبة له، قيامه لله في صلاته يختلف عن قيام أيٍّ منا في صلاته لله ﷻ، حتى في تلك اللحظة الأهم، حتى في ذلك الموقف الأعظم، لا يغيب عن الاهتمام بسائلٍ يدخل المسجد، يطلب الناس، لا أحد يعطيه شيئاً، فيؤشر له بخاتمه، ليستلمه، ويتصدق به، هذا الاهتمام الكبير بأمر الفقراء، بأمر الأمة، بأمر الناس، بروحيةٍ إيمانيةٍ عالية، بدافعٍ إيماني خالص، هذا هو الذي يقدمه القرآن كمؤهل للإمام عليٍّ عليه السلام، مؤهلٍ إيماني، للقيام بهذا الدور، للاستمرار بهذا الدور، في العناية بالأمة، في الاهتمام بأمر الأمة.

كما يقدم لنا هناك رسول الله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية١٢٨]، هنا يقدم علياً في كمال إخلاصه، في كمال محبته، في دوره العظيم، إسهامه الكبير، في قيام هذا الدين، في نصرة هذه الرسالة، في الرحمة بالأمة، في الحرص عليها، في الاهتمام بأمرها.

نصوص مهمة لطمأنة الأمة

مع ذلك أيضاً تأتي كثير من النصوص ذات الأهمية الكبرى، التي تكشف لنا أيضاً جوانب أخرى مما يتعلق بالإمام عليٍّ عليه السلام، وتمثل ضمانات تطمئن الأمة، ضمانات كافية يقدمها النبي، يبلغها عن الله سبحانه وتعالى في نصوص نبوية، تطمئن هذه الأمة، تطمئنها عن أن هذا الرجل- الذي هو الإمام عليٌّ عليه السلام- في جانب الإيمان هو أيضاً على مستوى الهداية الإلهية، على مستوى علاقته بهدى الله، معرفته بهدى الله سبحانه وتعالى، معرفته بالحق، والتزامه بهذا الحق، وتمسكه بهذا الحق، على نحوٍ لا ينفك عنه أبداً، فلا هو ممن قد يجهل الحق، في موقفٍ من المواقف، أو موضوعٍ من المواضيع، أو قضيةٍ من القضايا، ولا هو ممن قد يجهل ما يرشد إليه القرآن، أو يهدي إليه القرآن، في مقامٍ تحتاج فيه الأمة إلى هدايةٍ لها من خلال القرآن الكريم في ذلك.

فيأتي الحديث عن الإمام علي عليه السلام في علمه بالحق، في علمه الواسع **جدًّا**، في هدايته، في ارتباطه بالقرآن، في ارتباطه بالحق، بشكلٍ وعلى نحوٍ يفيد أن المقام ليس المقام عن دورٍ محدود، دورٍ شخصي للإمام علي عليه السلام، عن مسألة عادية في إطار شخصية الإمام علي عليه السلام، بل بحديثٍ يقدم على علاقتها بالأمة، وعلى أنه دورٌ يرتبط بهذه الأمة، والأمة على علاقةٍ به، وهو أمرٌ يعنيها هي، هي المخاطبة بذلك، هي ضمانات تقدم إليها هي.

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما يعلن للأمة وهو يقول لها: ((عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي))، ليس لأمرٍ يخص علياً في إطارٍ فرديٍ شخصيٍ يعيشه بمفرده، كعضوٍ عاديٍ من أعضاء المجتمع الإسلامي، وكواحدٍ من الصحابة، المسألة ليست كذلك، هو خطابٌ للأمة، **الأمة تُقَدَّم لها ضمانة:** بأن هذا الرجل الذي سيواصل

هذا الدور في هداية الأمة، في الحركة بالأمة على أساس هدى الله ﷻ، هو مع القرآن، هو يعرف القرآن، هو عالمٌ بالقرآن، هو الذي أتى عنه التعبير في آيةٍ أخرى في قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: من الآية٤٣]، هو اهتدى بالقرآن، هو يتمسك بالقرآن، هو لا يفارق القرآن في أي قرارٍ يتخذه، لا يفارق القرآن في أي عملٍ يعمله، لا يفارق القرآن في أي هدىً يقدم، وأي مفاهيم، أي تعليمات، أي توجيهات، هو مع القرآن دائماً، مع القرآن وهو يعلم هذه الأمة على ضوء ما تضمنه القرآن الكريم، وهو يرشد هذه الأمة، مع القرآن وهو يوجه هذه الأمة، مع القرآن في المواقف التي يقف بها، ويدعو هذه الأمة إلى أن تقفها، مع القرآن في كل أحواله، في كل مواقفه، في كل قراراته، في كل توجهاته.

النبي عندما قال للأمة: ((عليٌّ مع الحق، والحق مع علي))، هو كذلك في هذا السياق، في إطار هذا الدور الذي يتحرك به في الأمة، الأمة التي يراد لها أن تكون متمسكةً بالحق، أن تكون عارفةً بالحق، أن تكون ثابتةً على الحق، أن تقف المواقف الحق، أن تكون على الحق في مسيرة حياتها، أن تكون على الحق في مواقفها، في كل توجهاتها، عليٌّ يتحرك بها على هذا الأساس، **((والحق مع علي))** بكل ما يعنيه ذلك، **كما قال: ((والقرآن مع علي))**.

عندما قال عن عليٍّ عليه السلام أنه يقاتل على تأويل القرآن، وذلك في مستقبل الأمة، قاتل مع النبي على تنزيله، وفي مستقبل الأمة، وما بعد وفاة النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، أنه يقاتل على تأويل القرآن، هو يبين طبيعة هذا الدور المرتبط في الحفاظ على المفاهيم القرآنية، بعد أن عجز المحرفون عن تحريف النص القرآني، يتجهون إلى التحريف في التأويل، في المضمون، في المفاهيم، في المعاني، في الدلالات، فيأتي هذا الدور للإمام علي

عليه السلام: ((**فمن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه**))، وهو يحمي هذه المفاهيم، وهو يتحرك بالأمة وفق المفاهيم القرآنية الصحيحة، التي لا يشوبها تحريف، ويتصدى للآخرين، الذين ينحرفون عملياً، ثم يبررون انحرافهم العملي من خلال تزييف للمفاهيم، للتأويل، فقاتل على تأويل القرآن.

وصولاً إلى نصٍ ذي أهمية كبيرة جدًّا هو: قول النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه: ((**لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق**))، الرسول صلى الله عليه وآله في الإيمان به والمحبة له كان علامة فارقة بين الكفر والإسلام، والإمام عليٌّ عليه السلام في داخل الانتماء الإسلامي هو علامة فارقة بين الإيمان والنفاق، بكل ما لذلك من أهمية كبيرة **جدًّا** في داخل الساحة الإسلامية، وهذا ما يفيده النص النبوي، فيما يتعلق بحب الإمام علي أنه من الإيمان، وفي بغضه أنه نفاق، مؤشر على النفاق، علامة واضحة على النفاق، دلالة بينة على النفاق، بكل خطورة النفاق، الذي يعبر عن حالة انحراف كبير في داخل الأمة.

مبدأ الولاية حماية للأمة من الانحراف الداخلي

الدور المهم جدًّا للإمام علي عليه السلام فيما يتعلق بهذه المسألة يذكرنا في سياق الآية المباركة، آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقد أتت بعد التحذير الشديد من التولي لليهودي والنصارى، وما يشكله ذلك من خطورة على الأمة، الأمة في إيمانها، وفي دينها، وفي ثباتها على دينها، وفي سلامة دينها، في سلامتها على المستوى المعنوي، على المستوى التربوي، وفي سلامتها على المستوى الثقافي والفكري، وفي سلامة دينها على المستوى العملي، في الآيات المباركة من سورة المائدة، أتت هذه الآية في هذا السياق؛ **لتبين** لنا كم أن مبدأ الولاية يمثل ضمانة، ضمانة مهمة، لحماية الأمة من الانحراف الداخلي، الذي يشكل

ثغرةً كبيرة لصالح من؟ لصالح اليهود والنصارى، ولصالح حركة النفاق، التي تسعى للانحراف بالأمة، وإخضاع الأمة تحت ولاية اليهود والنصارى، وهذه مسألة مهمة في عصرنا هذا بشكلٍ كبير **جدًّا**، مسألة تعنينا نحن في هذا الزمن.

ولذلك نلحظ هنا أهمية ولاية الإمام علي، فيما تعنيه من حمايةٍ لنا نحن في هذا الزمن، وأن المسألة ليست وقتية، تجاه هذا الخطر الكبير، الذي يهددنا في الإيمان، يهددنا في الاستقامة على دين الله، في الثبات على دين الله، وفق الآيات المباركة من سورة المائدة، تشكل مسألة الولاء لليهود والنصارى حالة خطيرة **جدًّا** على الأمة في واقعها الديني، وبالتالي في واقع حياتها، في أن تبقى أمةً قويةً مستقلةً، تعيش ثمرة الإسلام في واقع الحياة.

والحالة التي هي حالة انحراف هي حالة عبَّر عنها القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ [المائدة: من الآية٥٢]، حالة اختلال على المستوى التربوي، يُعَبَّر عنه بالمرض، تفقد الأمة سلامتها التربوية، تنشأ في داخل القلوب مظاهر سلبية، تنشأ أشياء سلبية فتاكة، تتعارض كلياً مع الأثر التربوي للإيمان، في نفسية الإنسان، تخسر تلك القلوب الزكاء، تخسر أيضاً المعاني الإيمانية الراقية **جدًّا**، التي تسمو بالإنسان وتزكو بالإنسان، تنشأ آفات وعلل تربوية خطيرة، تساعد على الانحراف بالإنسان، من ثمراتها، **من نتائجها السلبية جدًّا**: المسارعة في الولاء لليهود والنصارى.

وبالتالي ينشأ عن ذلك- على المستوى العملي- حالة ارتداد عن الدين، قد يصل بالبعض إلى مستوى الخروج عن الإسلام بشكلٍ كامل، والبعض لا، قد يأتي ارتداد عن الدين في مبادئ مهمة من هذا الدين، في قيم مهمة، بحيث يبقى فقط حالة شكلية روتينية، وبعضٍ من الطقوس، في نفس

الوقت تتحول تلك الجماهير، تلك الفئات من أبناء الأمة، التي تنحرف هذا الانحراف، في حالةٍ من الطاعة، في حالةٍ من الولاء لليهود والنصارى، فتتجه- وهي تحمل عنوان الإسلام في انتمائها- تتجه في الواقع العملي لطاعة اليهود والنصارى، ولتقديم ما يخدمهم، وللعمل فيما هو مصلحةٌ لهم، فتتحول الحالة إلى حالة نفاق، تتحول الحالة إلى حالة نفاق، ينحرف عن الإيمان.

هنا نجد كم مسألة ولاية الإمام علي عليه السلام ذات أهمية كبيرة **جدًّا؛ لأن** حبه علامة فارقة بين الإيمان والنفاق، ولأنه أيضاً علامة فاصلة بين الزيف والحق، والحقيقة والأصالة، تبقى أصالة الإسلام متمثلةً بالإمام عليٍّ في منهجه، في مواقفه، في مسيرته، يمثل هو حلقة الوصل السليمة، الموثوقة، التي تصلنا برسول الله، فتقدم لنا الدين نقياً، سليماً من كل الشوائب.

يبقى مبدأ الولاية في الولاء للإمام عليٍّ عليه السلام، وبالتمسك بالثقلين، يصوننا على مستوى الولاء، فلا ننحرف في ولائنا، وعلى مستوى المنهج، والموقف، والعمل، والمسيرة العملية، فلا ننحرف، ولا نعيش حالة الفوضى والانفلات فيما يتعلق بالولاء، أو الفوضى والانفلات فيما يتعلق بالجانب الثقافي والفكري والعناوين الدينية.

ما هو البديل عن مبدأ الولاية؟

البديل عن مبدأ الولاية هو ماذا؟ هو ذلك الفراغ، هي تلك الفوضى، هي حالة الانفلات، التي تجعل الأمة ضحية لكل الانتهازيين، لكل المضلين، لكل المفسدين، حينها حتى المعيار الإيماني، إذا لم يكن له نموذجه، إذا لم يكن له من يمثله، حتى هو ممكن أن يتقمص بخداع، ولذلك تأتي مسألة العناوين الإيمانية والدينية في واقع الأمة عبر تاريخها وإلى اليوم، حتى المنافقين يحكي عنهم القرآن أنهم يتحدثون أحياناً تحت عناوين إيمانية: ﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية٨].

بل فيما يأتي عن النبي -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- **أنه يأتي تحت العناوين الدينية**، وتحت العناوين الإيمانية، من يصلون إلى درجة ((**أن تحقروا صلاتكم عند صلاتهم، وقراءتكم للقرآن عند قراءتهم للقرآن**))، **يعني:** من هم أكثر منكم حتى في مسألة الطقوس الدينية، حتى في مسألة القراءة والتلاوة للقرآن الكريم، من يتفوقون عليكم في ذلك، إلى درجة أن تحقروا صلاتكم عند صلاتهم، فترون صلاتكم لا شيء أمام صلاتهم، وقراءتكم للقرآن لا شيء أمام قراءتهم، إلى هذا المستوى يمكن التزييف للعناوين الدينية، والاستغلال للطقوس والشعائر الدينية، من الفئات المنحرفة، ثم- في نفس الوقت- تنحرف بالأمة في ولائها، وتنحرف بالأمة في منهجيتها العملية عن منهج الله، فلا تصلها بولاية الله في الهداية، وهنا تفتح الثغرة الكبيرة، التي يمكن أن يستغلها اليهود والنصارى.

اليهود- في الدرجة الأولى- هم قديرون على لبس الحق بالباطل، هم ماهرون في عملية التزييف على المستوى الديني، وعلى مستوى المفاهيم والثقافات، وعلى مستوى أيضاً الرموز والولاءات، فيمثل هذا ثغرةً ينفذون من خلالها إلى استغلال الأمة، مع وجود الانتماء الإيماني والديني؛ **لأن** مجرد الانتماء الإيماني والديني لا يكفي.

هو يحذرنا أن الأمة معرضة لأن تتخذ اليهود والنصارى أولياء مع وجود الانتماء الإيماني، حينما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: من الآية٥١]؛ **لأن** ذلك ممكن، ممكن مع وجود الانتماء الإيماني أن تتخذ اليهود الصهاينة أولياء، في الوقت الذي لا تزال- على مستوى الانتماء- تنتمي للإيمان.

يمكن أن يحصل الارتداد عن الدين، عن مبادئ مهمة من الدين، عن أساسيات من هذا الدين، عن مسؤوليات مهمة في هذا الدين، عن أشياء مهمة في هذا الدين، وأنت- في نفس الوقت- تنتمي للإيمان، ولهذا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، ثم بعدها يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: من الآية٥٤]، ويأتي بسلسلة مواصفات تعبر عن الثبات والاستمرارية بشكلٍ صحيح على أساس هذا الدين في كماله ونقائه، يختمها بالآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

فإذا بنا نرى أن المسألة تعنينا في هذا الزمن، وأكبر تهديد في هذا العصر، وأكبر خطر في هذا العصر، يهدد الأمة في دينها واستقلالها، ويهدد الأمة في دينها ومبادئها وقيمها العظيمة، في المبادئ والقيم ذات الأهمية الكبيرة في الدين، الخطر الذي يهددنا من أعدائنا في سعيهم للسيطرة علينا، وهم يسعون للسيطرة علينا عن طريق الاختراق الثقافي والفكري، والاختراق الداخلي، الذي يمهد السبيل أمامهم للسيطرة التامة علينا، والاستغلال لنا، والاستغلال لكل ما لدينا من إمكانيات وقدرات وثروات، هنا منبع الخطورة علينا، فتمثل الولاية مسألةً مهمة في أن تحمينا من هذا الاختراق، ومما يلحق به، من إمكانية السيطرة علينا والاستغلال لنا.

ولذلك يأتي أيضاً بعد ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: الآية٥٦]، لكي نحظى بهذه الرعاية الإلهية، التي تحمي لنا مبادئنا وقيمنا، بنقائها وأصالتها، ويحمينا من النفاق، والانحراف في الولاء، والانحراف على المستوى العملي، ولكي نحظى برعاية الله ونصره وتأييده، ولكي نكون من حزبه الغالب، **لا بدَّ لنا من هذا:** أن نتولى الله، ورسوله، والذين آمنوا.

فيكون التولي لله مرتكزاً أساسياً تحظى الأمة من خلاله بنصر الله، مرتكزاً أساسياً لتصحيح واقع الأمة، لمعالجة وضعها الداخلي، للعناية بكل متطلبات التقويم والتصحيح، والإصلاح لكل مجالات الواقع وعلى نحوٍ متكامل، وفي كل المجالات، وبفاعلية، فالمسألة مهمة لنا، من حيث التهديدات التي تعاني منها الأمة، والمخاطر التي تعنينا كأمة، في ظل الوقت الذي يسعى فيه أعداؤنا من اليهود الصهاينة، تسعى قوى الطاغوت- على رأسها أمريكا وإسرائيل- لفرض ولايتها علينا.

نحن أمام هذا التهديد، أمام هذا الخطر الواضح: تسعى قوى الطاغوت في عصرنا- وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل- لفرض ولايتها علينا، للتحكم بنا في كل شؤون حياتنا، للتدخل في كل مجالات حياتنا، للتحكم بنا في كل واقع حياتنا، للسيطرة الكاملة علينا، وعلى كل ما في أيدينا، وما معنا من ثروات وإمكانات البشر، والجغرافيا، وما معهم.

والثغرة الكبيرة التي ينفذون من خلالها هي حالة الفوضى، حالة الانفلات، التي تؤثر على الإنسان، وتجعله قابلاً لأن يتجه بولائه نحوهم، وحالة الاختراق الثقافي والفكري، عندما لا نتصل بهذا الوصل، الذي يصلنا برسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-، وفق ما تدل عليه النصوص القرآنية، الآيات المباركة، والنصوص النبوية عن رسول الله ﷺ، الحديث عن هذه المسألة يمكن أن يطول **جدًّا.**

نكتفي بهذا المقدار.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

الفهرس

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٣هـ ٣

١ .أعظم تكريم للإنسان أن يكون وليه هو الله ٥
٢ .ولاية الرسول هادياً وقائداً ومعلماً ٧
٣ .الإمام علي يواصل مشوار الرسول الأكرم ٨
٤ .الرسول يؤكد مكانة ودور الإمام علي ٩
٥ .الإمام علي ونظرته للحكم والسلطة ١٠
٦ .واقع الأمة اليوم.. كارثة كبرى ١٢
٧ .الحل الصحيح للخروج من المأزق ١٤

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٤هـ ٧١

١ .لماذا يستاؤون من هذه المناسبات؟ ١٩
٢ .مبدأ الولاية منهج ومسار للحياة ٢٠
٣ .مبدأ الولاية.. الارتباط والتسلسل ٢٣
٤ .الإمام علي حلقة الوصل الوثيقة للأمة بنبيها ٢٤
٥ .الإمام علي نموذج المؤهلات والمعايير القيادية ٢٦
٦ .الولاية الإلهية لمواجهة الولاية الأمريكية ٢٩

٣١ الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٥هـ

١ .إحياء هذه المناسبة شهادة وتخليد للبلاغ النبوي ٣٣
٢ .مبدأ الولاية وأهميته في الإسلام ٣٥
٣ .ولاية الله تعالى ٣٦
٤ .ولاية الرسول ٣٧
٥ .ولاية الإمام علي ٣٨
٦ .الإمام علي في النصوص النبوية ٣٩
٧ .الإمام علي النموذج الراقي للحاكم المسلم ٤١
٨ .المرحلة تحتم علينا الارتباط الواعي بمبدأ الولاية ٤٤
٩ .ضرورة التعاطي المسؤول مع اتفاق السلم والشراكة ٤٥
.١٠ وللجنوبيين.. دعوة أخوية صادقة ٤٧
.١١ المستوى الأمني.. لماذا غض الطرف؟ ٤٩

٥١ الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٧هـ

١ .النص القرآني الساخن.. الأبعاد والدلالات ٥٣
٢ .التحضيرات للبلاغ المهم ٥٥
٣ .نص البلاغ ثابت مقطوع بصحته لدى الأمة ٥٦
٤ .مبدأ الولاية.. معراج للنصر وخلاص من القهر ٥٨
٥ .ولاية الله رحمة للبشرية ٦١
٦ .ولاية الرسول امتداد لولاية الله ٦١
٧ .ولاية الإمام علي امتداد لولاية الرسول ٦٢
٨ .الإمام علي والمؤهلات البارزة المميزة ٦٤
٩ .بقدر تفاعل الأمة مع مبدأ الولاية تجني الثمرة ٦٦

١٠. تجريد الأمة من القيم وآثاره الكارثية ٦٧
١١. النظام السعودي ولعبته الشيطانية ٧٠
١٢. النظام السعودي وباء يضرب الهوية ٧١
١٣. لنجعل من التحديات فرصة للتغيير والبناء ٧٣
١٤. العدوان وحربه الاقتصادية ٧٦
١٥. بالتحرك الجاد نقهر المفسدين الطامعين ٧٩
١٦. نصيحة صادق أمين.. وطمأنة أخ مشفق ٨٢

٨٥
١. أهمية الإحتفال بيوم الولاية ٨٦
٢. أهمية الذكرى ٨٨
٣. الضمانة الإلهية ٩١
٤. البلاغ التاريخي العظيم ٩٢
٥. ماذا تعني الولاية؟ ٩٥
٦. المدلول الشامل للولاية ٩٧
٧. ولاية اللّه.. بين النظرة الصحيحة والخاطئة ٩٩
٨. الرؤية الكهنوتية للولاية ١٠١
٩. النظرة القرآنية للولاية الإلهية ١٠٢
١٠. يخرجهم من الظلمات إلى النور ١٠٤
١١. ولاية الرسول في مفهومها العظيم ١٠٦
١٢. الامام علي نافذة النور بعد الرسول الاكرم ١٠٩
١٣. ثقافة الغدير تقفل الباب على كل الطغاة والمتسلطين ١١٠
١٤. الإسلام الأصيل منهج للخلاص ١١٢
١٥. الموقف المخزي! للأنظمة العميلة تجاه ما يجري في بورما ١١٢

١٦. قبل الختام.. نقطة مهمة! ١١٤

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٣٩هـ ١١٥

١. الأهمية الكبرى لبلاغ يوم الولاية ١١٦
٢. الترتيبات الكبيرة للبلاغ الساخن ١١٩
٣. الخطاب التاريخي العظيم ١٢٠
٤. يوم كمال الدين ١٢١
٥. الربط بمصادر الهداية أعظم نعمة على البشرية ١٢٢
٦. ما ذا يعني الطاغوت؟ وما هو دوره الخطير؟ ١٢٤
٧. قوى الطاغوت وخداعها للناس ١٢٦
٨. الانفصال عن مصادر الهداية ونتائجه السيئة ١٢٩
٩. حق التشريع لله وحده ١٣٠
١٠. قوى الطاغوت ومساعيها الشيطانية ١٣٥
١١. مبدأ الولاية لاستمرار الاتصال بمصادر الهداية ١٣٩
١٢. نصوص نبوية في الإمام علي ومدلولها ١٤١
١٣. الطغاة واستغلال العناوين الدينية ١٤٤
١٤. مسؤولية الأمة في فهم الإمام علي ١٤٥
١٥. الإمام علي منهج عملي ١٤٧

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٤٠هـ ١٤٩

١. بعد إعلان قرب رحيل الرسول الأكرم.. من سيملأ الفراغ؟ ١٥١
٢. وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.. المضمون والدلالة ١٥٥
٣. حساسية الموضوع والترتيبات اللازمة ١٥٧

٤ .ولاية الإمام علي قُدمت بجلاء نسَفَ النقاش والجدل ١٦٠
٥ .الولاية وموقعها المهم في المشروع الإسلامي العظيم! ١٦٢
٦ .مبدأ الولاية ودوره في تصحيح الانتماء للإسلام الأصيل ١٦٤
٧ .مبدأ الولاية يفصلنا عن الطغاة والمستكبرين ١٦٦
٨ .الإيمان بمبدأ الولاية.. ما ذا يعني؟ ١٦٩

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٤١هـ ١٧١

١ .المضمون والدلالات المهمة للآية المباركة ١٧٣
٢ .كيف تحرك النبي لتنفيذ هذا الأمر الإلهي؟ ١٧٧
٣ .ولاية الله سبحانه.. العنوان المهم الذي يجب استيعابه جيداً ١٧٩
٤ .كيف ندرك أهمية هذه المناسبة؟ ١٨٤
٥ .النتيجة الكارثية لغياب مبدأ الولاية! ١٨٨
٦ .حاجة الأمة لإعادة ارتباطها بالمسيرة الإلهية ١٩٠
٧ .بدون مبدأ الولاية لا تكتمل المنظومة الدينية ١٩١
٨ .الأمة ستعيش حتماً حالة الصراع، وحالة الاستهداف ١٩٢

الولاية بالمفهوم القرآني ١٤٤٢هـ ١٩٥

١. الهدف من إحياء هذه المناسبة ١٩٦
٢. المناسبة.. أصلها وموضوعها المهم ١٩٧
٣. الأمر الإلهي بالبلاغ المهم والحساس!! ١٩٩
٤. الاجتماع الاستثنائي لسماع الأمر الإلهي ٢٠٣
٥. ولاية الله.. العنوان المهم والشامل! ٢٠٧
٦. بين ولاية الله وولاية الطاغوت.. مقارنة ونتيجة ٢١٠

٧. ولاية اللّه سبحانه.. عزة وكرامة ٢١٠
٨. ولاية الطاغوت.. ذلة وشقاء ٢١٣
٩. المرتبطون بولاية الطاغوت.. فئاتهم وأصنافهم ٢١٤
١٠. ولاية الرسول ودورها في امتداد الولاية الإلهية ٢١٧
١١. اهتمام الرسول بالأمة وحقه علينا في الطاعة والتعظيم ٢١٩
١٢. ولاية الإمام علي.. حلقة الوصل للأمة بالرسول الأكرم ٢٢٢
١٣. من النصوص النبوية المؤكدة لولاية الإمام علي ٢٢٥
١٤. الإمام علي.. كماله ومؤهلاته المتميزة ٢٢٦
١٥. نصوص مهمة لطمأنة الأمة ٢٣١
١٦. مبدأ الولاية حماية للأمة من الانحراف الداخلي ٢٣٣
١٧. ما هو البديل عن مبدأ الولاية؟ ٢٣٥

تم بحمد الله